عبد الكريم العلاّف

بغداد القديمة

كتاب مصور ضم صفحات مطوية عن الحالة الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية من عهد الوالي مدحت باشا إلى عهد الاحتلال البريطاني

الدار العربية للموسوعات

بغداد القديمة

بغداد القديمة

كتاب مصور ضم صفحات مطوية عن الحالة الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية من عهد الوالي مدحت باشا إلى عهد الاحتلال البريطاني.

من سنة 1286 هـ 1869 م
من سنة 1335 هـ 1917 م

تأليف
عبد الكريم العلاّف

تصدير
العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

تقديم
السيد إبراهيم الواعظ

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الثانية

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

كافة المراسلات تعنون بإسم:

الدار العربية للموسوعات

ص.ب: 13/5348 تلفاكس: 05/459981 - 05/459982

هاتف خليوي: 03/388363 - 03/525066

بيروت . لبنان

تصدير

بقلم الاستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي

بين ظاهر الحياة من شتى نواحيها الاجتماعية والعمرانية والثقافية والسياسية في الجيل الماضي وما يماثلها في الجيل الحاضر فروق بعيدة فنحن لانعيش اليوم كما عاش آهل جيل آو أجيال مضت لشانها. وكثير منا لا يعرف كيف كان يعيش الناس في تلك الفترة الماضية. ولا يعلمون ماهي عاداتهم في مطاعمهم ومشاربهم أوفي ملابسهم ومساكنهم آو في مراتبهم. ولايعرفون كذلك ماهي وسائلهم في الثقافة. وماهي صنائعهم آو حرفهم ومهنهم.وماهي مكانتهم التي يتبوأونها في سلم المدينة والحضارة إلي غير ذلك من الأحوال والأوضاع.

اجل ما اكثر من يجهل منا أوضاع بلادنا في جيل مضى. ومن أمتع البحوث التاريخية واكثرها فائدة واحسنها عائدة آن يتصدى كاتب آو أديب من الذين عاصروا آهل تلك الفترة واخذوا عن أهلها آو تحدثوا عنهم. وراقبوا سير التطور والتجدد الطارئ على مظاهر الحياة المذكورة.

لقد احسن الأديب المتفنن السيد عبد الكريم العلاف صنعا في وضع هذا السفر الذي تضمن نبذة صالحة من أخبار تلك الفترة الماضية. ووصف أوضاع بغداد،وأحوالها والإلمام ببعض خططها وهندستها المعمارية على ما كانت عليه في ذلك الحين . هذا إلى التعريف بطبقة

من رجالها على اختلاف مناحيهم سواء أكانوا من الحكام أو الوجهاء أم من العلماء والشعراء والأدباء.والمقرئين المجودين وحفظة الكتاب الكريم. ولم يغفل التعريف ببعض ألذ عار ومخيفي السبل وقاطعي الطرق على وجه لا يخلو من الطرافة.ومرد كثرة عدد هؤلاء إذ عار ومخيفي السبل في رأي هذا الأديب إلى مظالم الحكام والى فساد السياسة وضياع العدالة.وهو يدعو الى التزام العفو والصفح عن العقوبة لان فرض العقوبة الشديدة في كثير من الاحيان يدل على الضعف اكثر مما يدل على القوة.

عنى المؤلف مضافا الى ذلك بذكر جملة من الأندية والمجالس الأدبية حتى مجالس الأنس والطرب. ولم ينوه بهذا الضرب من المجالس على علاوتها .بل استهجن ما تشمل عليه أحيانا من الجنون والخلاعة والخروج عن الآداب.ونـدد بذلك ودعى الى الحشمة والمحافظة على الاتزان.

وللاطلاع على رأي المؤلف الأديب في هذا الشان يحسن قراءة الفصول التي كتبها عن الملاهي في بغداد.

لذلك يسرنا تقديم هذه الطرف التاريخية العراقية الى القراء ولا شك انهم سيرون فيها جهدا لطيفا لمؤلف الكتاب والله ولي التوفيق.

المقدمة

بقلم المرحوم الأستاذ السيد إبراهيم الواعظ

الأستاذ الأديب عبد الكريم العلاف أحد أولئك الكثيرين الذين تخرجوا على يد أستاذهم الكبير والعالم المتضلع والفقيه الممتاز والشاعر الأديب الشيخ عبد الوهاب النائب عليه رحمة الله ورضوانه فان هذه المدرسة وهي مدرسة جامع الفضل وقد أسست على العلم والتقوى وكان علمها المفرد وعيلمها الفذ الأستاذ النائب مستمرا على التدريس فيها ليلا ونهارا مدة تجاوزت الخمسين عاما تخرج منها مجموعة قيمة من رجالات العلم والأدب ببغداد فمن أديب لايجارى وأديب لا يبار وشاعر ملهم وكاتب بليغ وخطيب مصقع وفقيه متضلع ومفسر محقق ومحدث صادق ومدرس حاذق وقد اصبح كثير من المتخرجين من هذه المدرسة ذوي مناصب مرموقة وشهرة ذائعة في الأوساط العراقية وقد كان للأستاذ العلاف صفة خاصة من المتخرجين وله ولع فني الموسيقى وتحبير المذكرات عن الحوادث المختلفة فمن جملة ما ألف وكتب كتابه الفريد في بابه (الطرب عند العرب) طبع هذا الكتاب واصبح مرجعا مهما للموسيقى العراقية والموسيقيين وكتاب (المواهب في ذكرى عبد الوهاب النائب) والذي يدلنا على خلق سام ووفاء لأستاذه النائب رحمه الله واخيرا لم يرد أن يختم حياته بدون أن يخلدها تخليدا يبقى على كر العصور ومر الدهور فقد وضع هذا الكتاب الذي أقدمه اليوم الى قراء

العربية عامة والعراقية خاصة فقد جمع في فصولــــه وبيــن ســطوره حوادث لم تكتب وقضايا لم تسجل وصورا عـــن الحالــة الاجتماعيــة والمعاشية في بغداد خاصة والعراق عامة تعيد الى الكــهول والشــيوخ ذكريات قيمة مرت عليهم مرور صور السينما وكأنها لم تقع

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وتوضح للشباب العراقي ما كانت عليه بلاده في السنين الماضيــة من حالة اجتماعية ومعاشية وغيرها من سجلات الحياة. واني اقدم هــذا الكتاب القيم الى القراء الكرام اكبر في المؤلف الفــاضل هــذه الهمــة القعساء والجهد العظيم الذي صرفه في جمع ما جمع بين صحائف هــذا الكتاب رغم المرض الذي لم يزل يلازمه وقد عطل يده اليمنــى التــى كانت ناصره وعضده في التأليف والكتابة سائلا المولى تعالى أن يشفيه مما هو فيه ويوفقه لاخراج أمثال هذه النــوادر اللطيفــة والمواضيــع الظريفة انه سميع مجيب.

السيد إبراهيم الواعظ

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المتعال الدائم بلا زوال والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه اولي الرفعة والكمال.

وبعد لقد عنى المؤرخون بتدوين أحوال سكان بغداد منذ أول تشييدها واتخاذها عاصمة وعنوا بتدوين تطوراتها الاجتماعية والسياسية والعمرانية والجغرافية ولذلك رأينا المكتبة العربية زاخرة بالمجلدات الضخمة التي حفلت بأخبار بغداد وما يتصل بأحوال أهلها وولاتها وحكامها وعلمائها. وامتلأت بطون الكتب بأحاديث شتى عن تصوير وقائعها وكانت الأجيال تتناقلها حتى اليوم وتستزيد منها، غير أن فترة قصيرة من أيام العهد العثماني في بغداد تدون عنها الأخبار بما تنفع الغلة وتشفي العلة واخص تلك الأيام والعهد ما يبدا من سنة ١٢٨٦ هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م حيث كان مدحت باشا المصلح الشهير واليا عليها فلا تجد ألا نتفا قليلة من أوضاع سكان وأحوال هذه المدينة التاريخية الخالدة وما فيها من ثقافة وعادات وتقاليد واعمال وأزياء ومدارس ومعاهد وعمارات وطرق وطوائف واجتماعات ومجالس ومقاهي ونوادر ومتاجر ومصانع واسواق وخشية أن تظل هذه الفترة مجهولة لدى الأجيال القادمة انتهزت الفرصة لجمع ما تفرق من أخبارها والاستماع إلى روايات المعمرين من الجيل الماضي وأحاديث ممن

يروون عنهم طبقة عن طبقة كما رجعت إلى الصحف التي كانت تنشــو في تلك الفترة والرسائل المتفرقة المخطوطة والمطبوعة وجمعتها إلـــى بعضها وصنفتها وحصلت على تصاوير شمسية(فوتغــراف) للتعريــف ببعض تلك الأحوال وأولئك الرجال لعلي أكون قـــد خدمــت الناحيــة التاريخية للباحثين والمتطلعين إلى معرفة شئ من هذه الحقيقة في تاريخ بغداد حتى لا تنقطع سلسلتها وتنطوي صفحات كتابها ولعلي أيضاً قـــد بذلت جهداً في هذا السبيل يحقق الغاية المتوخاة ويلقي ضوءا في ظـــلام التاريخ القريب والله من وراء القصد .

المؤلـــــــــــف

تأريخ بناء مدينة بغداد

ومن الأسماء التى أطلقت على مدينة بغداد اسم بغداذ وبغدان ومغدان وبغداد والمنصورية نسبة لمؤسسها الخليفة المنصور واشتهرت كذلك بدار السلام والزوراء ومما جاء في تاريخ الأمم والملوك للطبري أن مدينة بغداد حين أمر المنصور ببنائها أراد أن ينظر إليها عيانا فأمر أن تخط بالرماد ثم أقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلاتها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ودار عليها ينظر إلى ما خط من خنادقها ثم أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب قطن ويصب عليه النفط فنظر إليها والنار تشتعل ففهمها وأمر أن يحفر الأساس على ذلك الرسم ثم ابتدئ في عملها ، وقيل إن أبا جعفر لما أمر يحفر الخندق وإنشاء البناء واحكام الأساس أمر أن يجعل عرض السور في أسفله خمسين ذراعاً وقدر أعلاه بعشرين ذراعا وبنيت المدينة مدورة وذلك عام ١٤٥هـ وجعل أبوابها أربعة على تدبير العساكر في الحروب وبنى قصره في وسطها والمسجد (الجامع) حول القصر ،وان الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فضة و(الروزكاري) أي العامل اليومي بحبتين إلى ثلاث حبات وقد عمل في البناء نيف ومئة الف عامل وتوسط قصر الخليفة (باب الذهب) أو (القبة الخضرآء) ولم يلبث المنصور إن بنى قصر الخلد ، والواقع أن المنصور هو باني القسمين الغربي والشرقي من بغداد على كلتي الضفتين وتوالى خلفاء العباسيين

بعد ذلك وكان همهم أن يعلوا شأن بغداد ويرفعوا قدرها ويجعلوا منها قبلة العلماء ومحطاً للناظرين.

ولعل أصدق وصف لما بلغته بغداد من شأو في ذلك الزمن ما جاء في كتاب (الأعلاق النفيسة) لابن رسته إذ يقول إنها وسط الدنيا وسرة الأرض والمدينة العظمى التى ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة سكنها أصناف الناس من جميع البلدان وهي مدينة بني هاشم ودار ملكهم ومحل سلطانهم وباعتدال هوائها وعذوبة مائها حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وتفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والنظر والتميز .

وذكر الجاحظ في بغداد على لسان بعض الجند إنها الدنيا كلها معلقة بها وصائرة إلى معناها وجميع الدنيا تبع لها وكذلك أهلها لأهلها وفتا كها لفتا كها الخ..

ووصف ابن خلكان وابن الأثير لشارع أبي جعفر انه أحسن ما يكون واحفله من الشوارع واتساع بلغ آنذاك أربعين ذراعا طوله من دار الخلافة إلى محلة باب الشام على استقامة واحدة ليس في الإمكان أصبح منها.

وجاء في مقدمة ابن خلدون وصف لبغداد في ذلك العصر ولبغداد جسران معقودان والناس يعبرونها ليلا ونهارا رجالا ونساء فلهم من ذلك نزهة متصلة من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجداً منها بالجانب الغربي ثمانية وبالجانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جداً وكذلك المدارس إلا أنها خربت ، وحمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمامات وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به

فيخيل لرائيه انه رخام اسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة تنبع أبدا به ويصير في جوانبها كالصلصال وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار مطلي به نصف حائطها مما يلي الأرض والنصف الأعلى مطلي بالجص الأبيض الناصع الضدان بها مجتمعان مقابل حسنهما ، وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان أحدهما يجري بالماء البارد .

هذا قليل من كثير مما جاء عن بغداد في كتب التأريخ وقد أرخت عام بناء مدينة بغداد بقولي :

بغداد مشرقة وفي	إشراقها عمَ الصفاء
فيها الخلافة والثقا	فة والضيافة والسخاء
قد شادها المنصور لّما	ضاق بالوطن الفضاء
وسعى لنهضتها فلم	يوقفه كدُ أو عناء
فالكرخ يزهو والرصا	فة منعش فيها الهواء
غنت بمربعها القيا	ن وقد سما فيها الغناء
وبنى الحصون لكي تؤ	من في المقاصير النساء
مذ راق صرح بنائها	تاريخها نجز البناء

سيرة الولاة العثمانيين وإصلاحات

مدحت باشا

انتزع العثمانيون بغداد من أيدي الفرس الذين حكموها من سنة ٩١٤ هـ يقابلها سنة ١٥٣٥ م فظلت بغداد تحت حكمهم ٤٠٠ سنة إلى احتلالها من قبل الجيش البريطاني وقد تولى ولاة كثيرون وهم في الغالب من ذوى العقليات الصغيرة الضيقة ولم يكونوا من ذوى النزعة الإصلاحية فتركوا بغداد في غمرة من الفقر والجهل والمرض والحالة الاقتصادية المتدهورة وكان الشعب يعاني ألواناً من الاضطهاد والاستبداد والتعسف ولم يكن هم الولاة إلا جباية الضرائب وجمعها وإرسالها إلى عاصمة السلطنة العثمانية أستانبول ، ولكن بعض الولاة وهم أفراد قلائل يبذلون جهوداً في نشر العلم وتكريم رجاله كما أن أغلبية الشعب كانوا كالبقرة يستدر لبنها ويؤكل لحمها لا إرادة لها في شئون السياسة ولا سلطان لهم في حكم أنفسهم ولا يرتفع لهم صوت إلا في النادر وقد كان مصير من يدعو إلى الإصلاح والتحرر الاضطهاد السجن والنفي فكانت طبقات هذا الشعب من علماء وحكام وتجار وزارعين وملاكين وفلاحين وعمال مسخرين جميعا لخدمة السلطة والعمل على تثبيت قدمها وليكن الشعب بعد ذلك في ظلام دامس ونوم

عميق وسبات مطبق حتى ظهور الوالي مدحت باشا في عهد السلطان عبد العزيز بن السلطان عبد المجيد.

وفي ١٨من شهر المحرم سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م استقبلت بغداد طلائع عهد جديد أعقبه تباشير نهضة شاملة انتشرت بسرعة في أطراف العراق.

مشاريع مدحت باشا:

قام مدحت باشا في أول يوم تسلمه منصة الحكم بحملة إصلاحية واسعة النطاق مستنيرا بعقله الراجح وثقافته العالية، وبذر بذور صالحة في تربة بغداد البكر فقامت في غضون ثلاث سنوات من حكمه مشاريع عمرانية وثقافية دلت على عظمته وحسن إدارته وسنذكر هذه المشاريع واحدة بعد الأخرى.

جريدة الزوراء:

كان لمدحت باشا مشاريع لها مكانتها تستحق الذكر وقد أراد أن يدون ما يقوم به من المشاريع النافعة والأعمال الخالدة فاصدر جريدة باسم الزوراء في وقت كان العراق لا يعرف عن الصحافة شيئا وقد صدر العدد الأول منها في بغداد نهار الثلاثاء ٥ربيع الأول سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م وكانت تنشر في اللغتين التركية والعربية

واستمرت تصدر طول أيامه وبعده حتى احتلال البريطانيين بغداد سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٧م.

طرق المواصلات:

وعلى ضوء جولة مدحت باشا العمرانية شرع في تبليط سوق(البلانجيه) ويسمى (بولنجيه) وهو اليوم شارع المأمون وجرى تبليطه تبليطا بارزا بجلاميد من الصخر وفي ذلك الوقت أطلق عليه(عقد الصخر) وقد شعر مدحت باشا أن وساط النقل لا زالت بدائية لا تكاد تسد حاجات الذين كانوا يتطلعون إلى ما يخفف عنهم عناء السير والانتقال بواسطة ركوب الحيوانات من بغداد للوصول إلى الأمكنة النائية أو زيارة المراقد المقدسة في ضواحيها كبلدة الكاظمية التي دفن فيها الأمام موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام فبادر مدحت باشا إلى مشروع (الترامواي) بين بغداد والكاظمية وجعله شركة مساهمة اشترك فيها جماعة من سكان بغداد والكاظمية ومدت سكة الحديد التي تسير عليها عربات (الترامواي) التي تجرها الخيل.

ونظمت الشركة إدارة للنقل وظلت سائرة بانتظام حتى سنة ١٩٤١م حيث تقرر تصفية أعمال الشركة وانتهى هذا المشروع بعد أن استعيض عنه بالسيارات الكبيرة والصغيرة التي بدأت تنقل الركاب من الزائرين وغيرهم حتى استحدثت مصلحة نقل الركاب في العاصمة واستعملت السيارات الضخمة المريحة لتسهيل نقل الركاب في

شوارع بغداد وضواحيها البعيدة وتخليص الناس من حرارة القيظ وقــر الشتاء في الليل والنهار.

النقل النهري:

تقع بغداد في قلب العراق وفي ملتقى الطرق النهرية نظرا إلـــى مركزها التجاري فان البضائع المستوردة إلى إيران من طريق الموصل والبصرة لابد أن تدخر في المستودعات ببغداد وخانتها وكانت وســائط النقل التي تنقل الأموال بين بغداد والبصـــرة مختصــرة فــي السـفن الشراعية.

وان الذهاب والإياب يستغرق وقتا إذ لا تقل المدة عن شهر كــامل وان على الذي يريد السفر إلى البصرة يعد العدة كاملة من الزاد والغذاء لهذه الرحلة ناهيك مشقة السفر لاسيما إذا كان الهواء معاكسا لمجـــرى النهر فيضطر الملاحون إلى سحب السفينة بواسطة الحبال التـــي تشــد بأعلى ساريتها ورأس مقدمتها وكثيرا ما كنت أســمع الملاحيــن وهــم يجرون السفينة يرددون كلمة (ياموليسة) ولم أدر ما معنى هذه الكلمـــة وبعد التحري الدقيق عنها علمت أنها مجرد دعاء إلى الله تعالى وهو يــا مولاي سهل ولكثرة ترداد هذه الكلمة خففت وصارت (ياموليسة) ولقــد وقعت على قصيدة بمجموعة خطية يصف ناظمها أولئك الملاحين الذين يجرون السفينة وهي.

رأيتهم في غروب كئيـــــــب   يعز على شمسهم أن تغيــب

حدتهم بأشلاء ضوء نبيـــــــــح يعصفر أشباحهم باللهيـــــب
جبابرة عوذوا للهوســـــــــــاء وبثــوا رقاهم لريح المغيــب
يلوحون صفا وئيد الحـــــــراك كأنهمو صلبوا فــي الكثيــب
يسيرون سير الهوان المريـــــب ويمشون مشي الزمان الكئيب
فتحسبهم أوغلوا في الخيـــــال وعيناك تأخذهم من قريــب
على صدرهم من غضون الكفاح أفاعي حبال تلف الجنــوب
تجاذبهم خطوهم للــــــــوراء فهم من عناء بقايا طــروب
سواعدهم موثقات الزنـــــــود ولكنها عــدة للهــــــبوب
تشق الفضاء بأظفارهـــــــا فتنشق أجــواره أو تـــذوب
وأجسادهم حانيات لهـــــــــا ركوع المحمل ثقل الذنــوب
كأنهم في سفوح الزمــــــان شياطين تحدو المساء الرهيب
سقاهم سليمان من ســـــــره فكادوا يمسون سمع الغيــوب
أقاموا جنازا يئن الفضـــــاء بأصدائه وينــوح الغــروب
يكاد ليغري ويمشي النخيـــل وراءهم وتذوب السهـــــوب
شدوا واستجاروا وطاب النداء ففاحت خطاهم وشقــوا الجيوب
ومروا حفــاة عراة لهـــــــم شهيق الثكالــى وزفر الغريــب
على الأرض خرس وإن همهموا فهذى صلاة تــذيب القــلوب
يجرون أيامهم خلفهـــــــــــم وذكرى شقاوتهم والكـــروب
عبــيد الرياح كلانا رقيـــــق فغنوا وسلوا عبيـــد الخطــوب

وكذلك كان السفر بين الموصل وبغداد مقتصرا علـــى طريــق النـــهر (بالكلاك) جمع كلك ويقوم الطراحون جمع طراح بتسيير الكلك بواسطة

المجاديف، كإخوانهم ملاحي السفن الشراعية .وفي سـنة ١٢٧٢ هـ يقابلها ١٨٥٥ م اشترت الحكومة بـاخرتين لنقـل الأمـوال التجاريـة والركاب من الآهلين بين بغداد والبصرة .

وفي أيام الوالي مدحت باشا سنة ١٢٨٦ هـ يقابلها ١٨٦٩م ازداد عـدد البواخر حتى بلغ ثماني بواخر وعهدت أدارتها إلى دائـرة المراكـب وسميت إدارة(النهرية)، وكان محل هذه الإدارة في جناح مـن أجنحـة المدرسة المستنصرية المطلة على نهر دجلة ودامت المراكب تسير بيـن بغداد والبصرة إلى أن حدثت قضية بيع الإدارة النهرية لشركة (لنـج) الإنكليزية وهذه القضية من القضايا الهامة وقد أصبحت موضوع حديث كل اثنين في بغداد الأمر الذي يخشى على بيعها خروج نـهري دجلـة والفرات من سيادة الدولة العثمانية فقام أهل بغداد وقعدوا لهذا الحـادث المريب لأن وسائط النقل ستكون منحصرة في أيدي الشركة تتحكم بـها كيفما تشاء فاحتج الأهلون على هذا الأمر الذي يضر أضـرارا كليـا بالتجارة وفي مقدمتهم الوجيه عبد القـادر باشـا الخضـيري ووجهـة احتجاجهم أن لا يرجع الأجانب على الآهلين فكتبت برقيات عديدة إلـى أستانبول وقد تداولها المجلس وطلب نواب العراق أن ينظر فـي هـذا الطلب بوجه العدل فرد طلبهم ووردت برقية كان فحواها لم تكن رغبـة الحكومة أن تبيعها وإنما غرضها توحيد المساعي بصورة شركة لا غير وأخيرا بيعت اغلب الحصص وأخذت تسلمها رويدا رويدا.

واما وسائط النقل بين جانب الرصافة والكرخ ببغداد فكان عبـارة عن (القفف) جمع قفة و(البلام) جمع بلم بالتحريك وهو القارب وكـان استعمال القفف شائعا أكثر من القوارب البلام.

النقل البري :

أما النقل البري فلا يختلف عن النقل النـــهري فكلاهمـــا مصـــدر الأتعاب وكانت القوافل البرية على وضعها البدائي تتألف مـــن البغـــال والحمير والخيل والإبل ويقال للمجموع السائرة منها (كروان) أو قافلـــة وعرب البدو يسمونه ضعن . والكروان المؤلف من مجموعـــة بغـــال وحمير وخيل وفي ضمنه (التخت روان) و(الكجاوة)و(المحمل) ويتألف (التخت روان) من عريش خشبي كالغرفة من مـــواد خشـــبية مجـــهزة بفراش وأثاث بحمل من الأمام والخلف و(الكجاوة) عبارة عـــن هـــودج مستور بالقماش يقي راكبه من الحرارة الشمس وهطول الأمطار ويشـــد أحدهما على بعير أو بغل من جهة اليمين واليسار و(المحمل)على غرار الهودج إلا أنه غير مستور، وكان السفر بين بغداد وكربـــلاء والحلـــة وبعقوبة بواسطة عربات خشبية تجرها خيول أو بغال تســـتغرق مـــدة سفرها أثنى عشر ساعة أو اكثر من بغداد أو الحلة أو كربلاء.

وكان وجهاء بغداد وأغنياؤها يعنـــون بتربيـــة الخيـــول الأصيلـــة يمتطونها في أسفارهم إلى الأرياف بين المدن في حالة أنسهم ولـــهوهم وقد أتخذ لها اصطبلات خاصة يقوم بإدارتها احذق السائسين المشهورين بتربية الخيول والطبقة المتوسطة تمطي حميراً من نوع الحسابات نسـبة إلى مدينة الحسا وعندما تذهب إلى الميـــدان بالاســـم المعـــروف الآن بالقرب من جامع الميدان تشاهد أصحاب الحمـــير مـــهيئين حمـــيرهم للكراء.

المتنزه العام:

من أعمال الوالي مدحت باشا الطيبة اتخاذه متنزها عاما في حديقة البلدية وكانت هذه الحديقة بستانا لنجيب باشا وتسمى (النجيبيـــة) وقـد أطلق عليها (المجيدية) وهي كائنة عبر الشاطئ الأيسر من دجلــة فـي محل بناية المستشفى الحالي ولقد اعتنى بها اعتناءً تاما فأصبحت متنزها لاهل بغداد يتمتعون بنسيمه وهوائه وأزهاره النضره في حين لم يكونوا يعرفون قبل ذاك شيئا عن المتنزهات وانمـــا يقضـــون أيــام عطلـــهم وأعيادهم في البساتين خارج بغداد على ساحل دجلة.

مصنع الغزل والنسيج:

لقد أدرك الوالي مدحت باشا إن من عوامل زيادة الرغبـــة فـي الخدمة العسكرية الترفيه عن الجنود وأول ما اعتنى في ملابسهم وتهيئة المقادير الكافية من الأقمشة والنسيج لخياطتها فاستورد الآلات الحديثـــة (مكائن) للغزل والنسيج بدلا من الحياكة اليدوية (الجومة) فأسس معمـــلا ينسج أقمشة ملابس الجنود ويسمى هذا المعمل(العباخانة) وفـــي محلـــه اليوم مصلحة إدارة التنوير والكهرباء لمدينة بغداد.

المعاهد العلمية

الكتاتيب:

لم يكن للمعاهد العلمية شان يذكر في ذلك العهد ولا يتعدى الكتاتيب لتعليم القران ومبادئ القراءة والكتابة وهذه أيضا قليلة وكانت دراستها مقتصرة على القران الكريم ومبادئ الدين الإسلامي في العبادات وعلم الخط، وكان الناس يتهافتون بإرسال أولادهم إليها واذكر جيدا كيف كنا نكتب الخط ويسمى (مشق) في قطعة من الصفيح(التنك) وبعد أن يطلع (الملا)على الخط ويكسب رضاءه نغسله بالماء ونعود نكتب غيره وكذلك اذكر كيف كنا نطرح أرضا وتربط أقدامنا في (الفلقة) وينهال عليها (الملا) بسوط (خيزرانة) والسعيد الذي يتقن درسه ويلازم الهدوء والسكينة لينجو من عذاب (الفلقة) والام السوط، وهذه الكتاتيب ظهرت قبل ظهور المدارس حيث قامت الحكومة بتشييد مدارس ذات نظام جديد ومنها مدرسة الصنائع.

مدرسة الصنائع:

في سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م أيام الوالي مدحت باشا أسست مدرسة الصنائع لأيتام المسلمين الذين لا معيل لهم يتعلمون صناعة النجارة والحدادة والنسيج وغيرها وعين لها أساتذة وظلت هذه

المدرسة قائمة حتى احتلال بغداد سنة ١٩١٧م ومحل بنايتها اليوم اتخـذ مقرا للبرلمان وهي في محلة الميدان تطل على نهر دجلة.

المدرسة الرشدية:

أسست المدرسة الرشدية سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م أيام الوالي مدحت باشا وبقيت حتى إعلان الدستور (المشروطية) سنة ١٣٢٤هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م ثم صارت بنايتها كلية الحقوق ولما انهدمت شيد بمحلها متصرفية لواء بغداد ألان.

المدرسة الرشدية العسكرية:

أنشئت المدرسة الرشدية العسكرية سنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م أيام الوالي عبد الرحمن باشا ويتخرج طلاب هذه المدرسة للدخول في مدرسة الإعدادية العسكرية ودامت إلى احتلال الجيش البريطاني بغداد وتقع في محلة المبدان أي محل المدرسة الإعدادية المركزية الآن أمام دائرة البريد ومقابل النادي العسكري.

المدرسة الإعدادية العسكرية:

تم بناء المدرسة الإعدادية العسكرية سنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م لتخرج الطلاب وإرسالهم إلى الكلية العسكرية في استانبول

لاكمال دراستهم ليتخرجوا ضباطا عسكريين وقد ظلت مستمرة حتى الاحتلال البريطاني وقد اتخذت بنايتها مقرا للمحاكم المدنية والجزائية الان.

المدرسة الإعدادية الملكية:

تم بناء المدرسة الإعدادية الملكية سنة ١٣٠٨هـ يقابلها سنة ١٨٩٠م أيام الوالي حسين جلال بك وفي هذه السنة بدل إسمها وصارت تعرف (بمكتب السلطاني).

المدرسة الرشدية بجانب الكرخ:

تم بناء المدرسة الرشدية في جانب الكرخ وافتتحت في ١٥ربيع الثاني سنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م أيام الوالي عبد الرحمن باشا.

وقد جرى على هذه المدرسة تطورات عديدة وبالأخير جعلت لتخرج ضباط الصف العسكريين وأطلق علها باللغة التركية عبارة (كوجك ضابطان مكتبي).

المدرسة الحميدية:

في أيام الوالي سري باشا سنة ١٣٠٧هـ يقابلها ١٨٨٩م كانت محلة الفضل في طليعة محلات بغداد وكان أبناؤها محرومين من

ارتشاف العلم فتقدم شيخ علماء زمان العلامة المرحوم عبد الوهاب النائب وشيد مدرسة فيها من خالص ماله وبعد أن أتم تعميرها وهبها إلى الحكومة لتكون تحت رعايتها فتقبلتها منه قبولا حسنا وقامت بتأثيثها وتعيين مدرسين لها واطلق عليها اسم(حميدية مكتبي) لأنها شيدت في عهد السلطان عبد الحميد واول مدير عين لها المرحوم الشيخ عبد المحسن الطائي والد الأستاذ الحاج كمال الدين الطائي مدرس جامع الحيدر خانة حاليا وهي باقية إلى ألان واطلق عليها(مدرسة الفضل الابتدائية).

دار المعلمين:

في أيام الوالي نامق باشا أسست دار المعلمين وكان عدد الطلاب فيها ٤٠طالبا ومدة الدراسة فيها لاتزيد على السنتين وكان أول مدير لها عبد الله أفندي وحسب ما اعتقد هو المرحوم عبد الله أفندي الخطيب الأسبق لجامع المرادية بالميدان وبعده المرحوم الشيخ نوري الشيرواني وبقي فيها مدة وعين لها بالوكالة الأستاذ حسن رضا خريج كلية الحقوق بدرجة على الأعلى ثم عين لها عادل بك وهو تركي الأصل وقد ألحقت بهذه الدار مدرسة ابتدائية للتطبيق وهي مدرسة تطبيقات دار المعلمين وكانت تشغل البناية الواقعة قبالة نادي الضباط اليوم. أما دار المعلمين نفسها فقد كانت تشغل مكان بناية متصرفية لواء بغداد الحالية ثم انتقلت إلى بناية المدرسة الرشدية في الكرخ وظلت مستمرة في الدراسة حتى توقفت عند إعلان الحرب العالمية الأولى.

مدرسة ابتدائية:

عمرت مدرسة ابتدائية سنة ١٣١٢هـ يقابلها سنة ١٨٩٤م أيام الوالي الحاج حسن باشا وهذه المدرسة في محلة الميدان وهي ملاصقة للمدرسة الرشدية العسكرية تجاه النادي العسكري اليوم على ساحل دجلة والتي أصبحت تطبيقات دار المعلمين.

مدرسة الجعفرية:

لم يكن لابناء الطائفة الجعفرية غير مدرسة دينية واحدة يرتادها الطلاب لارتشاف مناهل العلم أسسها المرحوم الشيخ شكر في أواخر القرن التاسع عشر في دواخانة السيد حسين السيد حيدر ببغداد وبعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م والمنادات بالحرية والمساواة ونهوض الحكومة في فتح المدارس المختلفة شعر أبناء الجعفرية بضرورة وجود مدرسة خاصة بهم فاخذ يعمل بها جماعة من العلماء والوجهاء منهم المرحوم السيد عبد الكريم الحيدري والمرحوم الشيخ شكر والمرحوم الحاج سلمان أبو التمن فعقدوا اجتماعا لهذا الغرض وانتخبت هيئة تتألف من ذوات لهم مكانة سامية وبعد المداولات حرروا طلبا إلى الوالي نجم الدين منلا يطلبون به الإجازة في فتح المدرسة وبعد موافقة الوالي على منح الإجازة فتحت في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦هـ يقابلها ١٩٠٩م واطلق عليها اسم(المكتب الترقي الجعفري) وهو الاسم الذي اطلقه عليها مؤسسها

المرحوم الشيخ شكر واصبح مديرا لها واتخذ مقرا لـــها دار مجــاورة لمسجد الحاج داود أبو التمن وفي نهاية الحرب الأولـــى ســـنة ١٩١٨م فرغ من إنشاء بناية لها وغيرت إليـــها اســمها واصبحـــت(المدرســـة الجعفرية) وهي إلى ألان تؤدي رسالتها العلمية بكل جد واخلاص حتـى أصبحت تضاهي المدارس العالية ببغداد.

مدرسة تحفة المأمورين:

في سنة ١٣٢٩هــ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالـــي جمـــال باشـــا أسست مدرسة تحفة المأمورين وقد أجريت مراسيم افتتاحـــها برعايـــة جمال باشا وحضر المراسيم القائد سليمان عسكري بـــك وتقـــع هــذه المدرسة في محلة الميدان وعلق على بابها لوحة كتب عليـــها باللغـــة التركية(تحفة مأمورين مكتبي).

مدرسة ابتدائية ثانية:

في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٢هــ يقابلها سنة ١٩١٤م حضر الوالـــي جاويد باشا ووكيل مدير المعارف الأستاذ حكمت سليمان وقـــد تولـــى منصب رئيس الوزراء سنة ١٩٣٦م لوضع الحجـــر الأســـاس لتشـــييد مدرسة ابتدائية بالقرب من جامع الخاتون ببغداد وهي ألان مدرســـة دار المعلمات الابتدائية.

ومما يجدر الإشارة إليه أن سبب تأسيس هذه المدرسة هو أن أهالي مدينة النجف تبرعوا بمبلغ أربعة آلاف ليرة ذهب عثمانية بمناسبة تنصيب سادن (كليدار)جديد للروضة الحيدرية في عهد الوالي جاويد باشا فرفضها الوالي خوفا من أن تعتبر رشوة ولما سمع الأستاذ حكمت سليمان وهو يوم ذاك مدير مدرسة الحقوق ووكيل مدير معارف لواء بغداد خف إلى الوالي وفاوضه في قبولها وتقديمها إلى دائرة المعارف لبناء مؤسسات علمية وفي الحال استدعى الوالي الوفد وعرض عليه هذه الفكرة فقدم المبلغ الذي تبرع به وتشكلت هيئة قوامها كل من عبد القادر باشا الخضيري والتاجر عبد الوهاب محمد أغا وتحت إشراف هذه الهيئة بنيت هذه المدرسة كما بنى مخفر في جهة الباب الشرقي (البتاوين)اليوم.

مدرسة الاتحاد والترقي:

أسست هذه المدرسة سنة ١٣٣٢هـ يقابلها سنة ١٩١٤م أيام الوالي جاويد باشا من المبلغ الذي تبرع به أهل النجف وقام بتعميرها أوسطه علوان الدوري وكانت هذه المدرسة قبل تعميرها من اشهر المقاهي في الميدان وتسمى (قهوة البلدية)وقد أرخت عام بنائها بقولي:

بشرا كم يا أهل بغداد في ... مدرسة شيدت بفضل الجواد
رائدها العلم ونبراسها ... يهدي الورى إلى طريق الرشاد
قولوا لمن يطلب تاريخها ... عنوانها مدرسة الاتحاد

١٣٣٢ هـ

وبعد نزوح العثمانيين من بغداد انتقلت إلى مدرسة ابتدائيـــة باســـم المدرسة (المأمونية) ولهذه المدرسة بذل الأستاذ حكمت سليمان قصارى جهده في توسيعها إذ حصل على قسم من حديقة (القلعة)المجاورة لـــــها وضمه إلى فناء المدرسة حتى أصبحت مدرسة فخمة تضم خير الطلاب وأكابر الأساتذة وأخيرا انتقلت إليها مديرية معارف لواء بغداد المركزي ولازالت تشغلها.

مدرسة التهذيب للبنات:

في سنة ١٢٩٣هـــ يقابلها سنة ١٨٧٦م أســـست جمعيـــة الاتحـــاد الإسرائيلي ببغداد مدرسة للبنات أطلق عليها أســـم (مدرســـة التـــهذيب للبنات)وعينت لها مدرسات ودامت إلى أن وقع الاحتلال البريطاني فـــي بغداد .

مدرسة الكاثوليك للكلدان:

في سنة ١٢٩٥هـــ يقابلها سنة ١٨٧٨م أسست مدرسة الكـــــاثوليك للكلدان وعرفت باسم (مدرسة الاتفاق الكاثوليك الشرقية).

مدرسة لورا خضوري:

شيد اليعازار مدرسة للإناث الإسرائيليات وكان الانتهاء من تشييدها سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م وأجريت مراسيم افتتاحها برعاية الوالي جمال باشا وجعلها باسم قرينته لورا خضوري ودامت حتى احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني .

المستشفيات

مستشفى المجيدية:

كانت هذه المستشفى في أول أمرها بستانا ويسمى بستان (نجيب باشا)قد اتخذه والي بغداد مدحت باشا متنزها عاما كما ذكرنا واطلق عليه(حديقة البلدية) وفي سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م صدر الأمر من نظارة الداخلية العثمانية (وزارة الداخلية) لاتخاذ هذا المنتزه مستشفى عسكريا وكانت المستشفى العسكري يومذاك في محلة الميدان وهي اليوم نادي الضباط العسكري وبقيت هذه المستشفى وهي تزخر بالمرضى العسكريين إلى آخر العهد العثماني وأهل بغداد يعبرون عنها (بخستخانة المجيدية) وهي اليوم المستشفى الجمهوري يؤمه الأهليون للتداوي به.

مستشفى الغرباء بالكرخ:

لقد شعر مدحت باشا أبان النهضة العراقية التي أخذ على عاتقه أن بغداد خالية من مستشفى للغرباء ولما كانت نفقات تشييد هذه المستشفى تتطلب مبالغ جسيمة تنوء بها ميزانية الدولة شحذ همة الأهليين في بغداد للتبرع لهذا المشروع الإنساني فانهالت التبرعات من الأغنياء والوجهاء فشيد بها مستشفى للغرباء بجانب الكرخ في الحديقة التابعة إلى وقف

سليمان باشا وقد أرخ بناءها المرحوم العلامة عبد الوهاب النائب ولا يزال التاريخ بأعلى بنائها وهو:

لله ما أطيب هذا البنا في وضعه ليس له من مثيل
على التقى مذ تم أرختـه أطيبه هـذا شفاء العليل
١٢٨٦ هـ

ولم تبق هذه المستشفى على ما هي عليه وإنما أصابها تقلبات كثيرة أدت إلى إهمالها وفي عهد الوالي قدري باشا سنة ١٢٩٥هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م قرر تعمير هذه المستشفى وإصلاحها وقبول المرضى فيها وبعد ذلك في سنة ١٩٢٥م اتخذت مقرا للمجلس التأسيسي العراقي الذي سن القانون الأساسي وصدق على المعاهدة العراقية البريطانية وبعد ذلك أصبح مقرا لمجلس الأمة مدة غير يسيرة إلى أن أعيدت بصفتها مستشفى الكرخ وانتقل مجلس الأمة إلى بناية مدرسة الصنائع العثمانية التي بناها الوالي مدحت باشا وهي بالقرب من دار الضباط العسكري.

مستشفى الغرباء بجانب الرصافة:

في أيام الوالي نامق باشا الصغير شيدت مستشفى ثانية للغرباء في جانب الرصافة خارج باب المعظم وقد غرست أمامها حديقة غناء وفي صباح يوم الخميس ١٥ذي الحجة سنة ١٣١٨هـ يقابلها سنة ١٩٠٠م أجريت مراسيم افتتاحها ودامت مدة وهي تزخر بالمرضى ثم انقلبت

مستشفى للأمراض العقلية (المجانين) والآن فيها بناية السجن المركـزي للواء بغداد.

مستشفى مئير الياس:

شيدت هذا المستشفى مئير الياهو الياس وتقع خارج باب المعظـــم مقابل ثكنة الخيال (الكرنتينة) بالسابق وفي يوم ٩ شعبان سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٩١٠م أجريت مراسيم افتتاحها وقد فتح بابها الوالي نــاظم باشا بيده وهذه المستشفى باقية إلى الآن.

الأطباء:

كان الأطباء قليلين بالنسبة إلى سكان بغداد في ذلك العــهد وأهــل بغداد يسمون الطبيب(دختور) واشهر الأطباء في الأربعين ســنة التــي تسبق عهدنا هذا كل من(مظفر بك) و(نظام الدين بك) و(ادلر) النمساوي و(أرسطو) و(يانقو) وهذا الطبيب حينمـا يذهــب لفحــص المريــض يمتطي(بغلة شهباء) وبعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م جاء إلى بغداد عدد مــن الأطبــاء عســكريين ومدنييــن وأشهرهم الطبيب(بلال بك) وهذا نطاسي بارع وعلى جانب عظيم مــن حسن الخلق فضلا على زهده وتقواه والطبيب(كاني بك) وهــو جــراح ماهر ولم يكن في بغداد قبل مجيء(كاني بك)جــراح عليــه المعــول

غير(عزت بك) وكان في بغداد جراح أهلي يدعـــى(اوســطه عبــاس) وامرأة يهودية إسمها فرحة خاتون تمارس طب العيون.

أما طب الأسنان فهو منوط بالحلاقين في بغداد.

تخطيط بغداد وأحوالها العمرانية

يروي العارفون من طبقة المعمرين في بغداد عن أسلافهم بعد آخر نكبة نكبت بها بغداد من الغزوات كانت على جانب عظيم من الحضارة والعمران ولكن الوباء (الطاعون) الذي فتك بأهلها وطغيان دجلة (الغرق) في عين الوقت كانا في خرابها أكثر من غزوات (هولا كو وتيمورلنك)وكان الوباء يذهب بـ ١٥٠٠ نفس في الأسبوع والذين ينجون منه ذهبوا ضحية الغرق والفيضان وبعد هذه الكارثة أخذ أجداد سكانها الحاليين يعيدون ما خرب منها ويبنونها كل على ذوقه وحسب اقتداره بدون تصميم وبغير اتساق فنشأت معوجة الجدران وعلت السطوح على السطوح ولاذت الأواوين بالغرف واشرأبت الشرفات إلى الشرفات وأمدت بعضها إلى بعض فتوسعت البيوت وضاقت الطرق وصارت تدعى بلغة البغداديين (درابين).وما كان الولاة والحكام ليكترثوا بهذا الحال ما دام أبناء البلد يدفعون الضرائب وهم صاغرون.

لقد ظهرت بغداد بهذا المظهر المزري مظهر الفوضى في البناء وصارت الدور متراصة مبعثرة تكتنفها (الدرابين) كما عبروا عنها بادية بضيقها واعوجاجها وفي هذه المظاهر من نشأتها تبدو بوضوح أنها غير ما كانت عليه أولا فهي قديمة جديدة وهي متراصة مبعثرة.

لقد كانت الدور يومذاك تتكون على الأغلب من طبقة واحدة وطبقتين فذات الطبقة الواحدة تتألف من قاعة مفتوحة في الوسط بشكل مستطيل أو مربع تحيط بها الأواوين والغرف ، وذات الطبقتين ففي

الطبقة الأولى قاعة وطارمة أو طارمتان وسرداب وغرفة المؤن والمطبخ وفي الطبقة الثانية غرف للنوم متصلة بعضها ببعض بواسطة الطارمات ولغرف الطبقة الفوقانية منافذ للخارج يدخلها الهواء والضوء وبعض نوافذ شبابيك بارزة تسمى (شناشيل) وتشرف على الطريق.

والأغلب من دور بغداد تبنى بالطين والآجر ومثل هذا البناء لا يدوم كثيرا فهو سريع الانصداع والانهيار لأن البنائين يومذاك يركمون الحجارة بعضها فوق بعض دون أن يراعوا علم القياس وقاعدة الامتزاج.

وقد أطلق البناؤون أسماء متعددة لأقسام هذه الحجارة منها ما يقال له (وسطاني) و(جبل) و(محير) و(بابلي) نسبة إلى مدينة (بابل) وللشاعر المرحوم عبد الرحمن البناء قصيدة يحث فيها البنائين على إتقان العمل نثبتها هنا لعلاقتها ببحثنا واستدلالا على وضع البنائين في بغداد وهي:

أساتذة التعمير أنتم أولي الحزم   كفاكم فخارا أن زففت لكم نظمي
لأني أنا البناء للشعر والعلى   بنيت لكم مجدا على قمة النجم
أقول لأرباب الصناعة منكم   مقال حكيم لا يروغ عن الحكم
خذوا الصدق أما والآباء لكم أبا   وخلوا أكاذيب التغامز بالعظم
ولا تجعلوا إلا العفاف شعاركم   لأن عفيف النفس خال عن اللؤم
ولا تظلموا العمال منكم برشوة   فان اغتصاب الحق من أقتل الظلم
فداروا ذوي الأشغال والدور منكم   برفق وأنصاف وحلم على حلم
وراعوا بني دار السلام برأفة   وسلم لأن الحر يجنح للسلم
فان بني الأوطان سد عليهم   دخيل غريب منبع الرزق والعلم

فرفقا بهم رفقا فان حياتهـــــــم   من البؤس باتت وهي في حالة السقم
و(رباز) أمسى قارئا في جيوبهم   يغني لهم بالزير طورا وبالبـــــــم
سهام رمت قلب التجـــارة منهــم   فلله من رام ولله من سهـــــــــم
أقيموا بني أمي القصـــور مشيدة   على أسس التقوى أقيموا بني أمي
أقيموا على الطرز الجديد بناءكــم   بنصب ورفع جل عن عالم الجزم
فعيشتكم دون الصنائع حــــــرة   وغنمكمو في الرزق من أوفر الغنم
فحلوا عرى التقليد منكم بعزمـــة   يقول لكم إكسيرها يا أولي العـــزم
ألا وانحتوا فوق الصخور هياكلا   حقائقكم فيها تجل عن الوهـــــــم
وخطوا بديعات الخرائط وارسموا   نفيسا إذا ما اعجب الناس بالرســم
وصبوا بإبداع القوالب طوقكـــــم   وصوغوا أكاليلا من الشرف الفخم
نعم وانقشوا التاج السليمي زاهرا   كروض أنيق جاده عارض الوسم
وصدوا عن التقليد روحا حديثـــة   تؤمل أن ترقى إلى عالم النجـــــم

الرصافة والكرخ:

إن الجهة الشرقية في بغداد لا تزال تدعى باسمها القديم (الرصافـة) المخلد في بيت الشاعر علي بن الجهم وهو:

عيون المها بين الرصافـــة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

كما تدعى الجهة الغربية باسم (الكرخ) المخلد في بيت الشاعر ابـن زريق البغدادي وهو:

أستودع الله في بغداد لي قمرا بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

ولم يكن آنذاك في هاتين الجهتين شوارع تذكر بل يخترق الرصافة شارع (رأس القرية) ويسمى شارع (المستنصر) اليوم لوجـــود بنايـــة المدرسة المستنصرية في أوائله وقد بنيت مدرسة المستنصرية على عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٠٢هـــ يقابلـها سـنة ١٢٣٣م ووضع لهذا الشارع يومذاك جدران عالية ليس فيها ما يســمى بـالفن العماري وفيه (أزقة) قصيرة و(درابين) تنفذ إلى نهر دجلـــة وإذا مـا ولجت فيها وسرت بين أبواب ودور عريضة فخمـــة عليـها مطـارق تنوعت أشكالها ومع هذه الدور التي أخنى عليها الزمـــان فـان آثـار الماضي المجيد تتمثل في طراز عمارتها وفخامتها فلا يلبث الناظر إليها إلا أن يردد قول الشاعر :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وإذا ما دفعك حب الاستطلاع وفتحت لك باب إحداها وأشرفت على صحن الدار المبلط بالطابوق الأصفر المشوي تعلم بما كان عليها سكان عاصمة العباسيين من الراحة التامة على ضفاف دجلة الساحر.

أما حوانيت هذا الشارع فهي متباعدة عن بعضها وأصحابها علـــى اختلاف نحلهم وأديانهم قانعون بما يمن الله عليهم من الرزق الحلال .

إن مظاهر بغداد اليوم تدلك على أنها مدينة عربية بطبيعتها شـرقية بمظاهرها ووضعها وقد بدت فيها تباشير نهضة علمية تتصل بماضيـها العلمي الزاهر فقد تأسس فيها عدد من الكليات مثل كلية الحقوق وكليـــة الطب وكلية الهندسة وكلية التجارة وكلية الآداب والعلوم كما أن فيها من التمسك بفضائل الدين الإسلامي والخلق الديني من الورع والتقوى وتجد

فيها عددا غير قليل من رواد الشغب والنفاق والتمرد إلى جانبهم عـــددا ممن عرفوا بمزايا الشهامة والبطولة والتغني بها.

أزياء البغداديين:

تستعمل في بغداد قيافات مختلفة عديدة متشعبة تعود إلى عصـــور مرتحلة من القدم وتمثل أوضاعا مختلفة وإذا ألقيت نظرة رأيت الأسواق المكتضة بالمارين قد تعدى أزياء رؤوسهم فهذا لابس(العقـــال) فـــوق يشماغ أزرق أو أحمر اللون ويندر أن يلبسه غير الشيوخ والطاعنين في السن ولهذا العقال صفات أخرى في بغداد فإذا كان ذا لفتين سمي طيتين وإذا كان ذا ثلاث لفات أو أربع لفات عرف(باللف) ولا يلبسونه غـــير الكهول ويلبسونه فوق يشماغ أزرق أو أحمر اللون والعقـــال الأســـود الشائع فيدعى(قحطاني) نسبة إلى قحطان ويلبس فوق يشماغ أزرق.

أما اليشماغ فهو عمامة قصيرة لاتزيد لفاتها علـــى الثلاثـــة لفـــات مشدودة حسب مزاج صاحبها والذين يرفعونها فوق الجبين هم الفتيـــان المشهورين بأعمال الشقاوة أي الذين شقوا عصا الطاعة على الحكومـــة باسم (أبو جاسم لر) أي أبو(الجواسم) جمع جاسم وأداة(لر) الملتحقة تدل على الجمع، ولفة اليشماغ كيف وضعت تسمى (جراوية) نسبة إلى(جرو العبد) وهذا الرجل من محلة الخيدر خانة ، و(عصفورية) توضع فـــي قمة الرأس نسبة إلى رجل إسمه قدوري بن عصفور من محلة الفضـــل، وأخرى يقال لها(عدام) أي يعدم شنقا و١٥سنة أي محكوم بـــهذه المـــدة

وإن لفها صاحبها على الرأس وتلثم بها(فتدعى بيشـماغين) وذات لفـة واحدة ويلبسونها على الأكثر بتأدب أصحاب الصناعات.

واما العمائم فالبيضاء خاصة بالعلماء والشبان المتدينين إذا كـانوا من طلاب العلم، والخضراء للسيد الشريف،والعمة من الحرير المقصب تسمى(كشيدة)وهى خاصة بالتجار والوجهاء وجميع هذه العمـائم تلـف فوق الطربوش ويعبرون عنه باسم(فينة) نسبة إلى مدينة(فينا)عاصمـة الدولة(النمساوية) لأنها تصنع في معاملها،أو تلف على(عرقجين)الطاقية.

أما العباءة فهي على الأغلب سوداء مطرزة بـالحرير الأسـود أو بخيوط الذهب والفضة ويسمى(كلبدون) أو(ليهي) وهي تصنع في بغـداد من الوبر أو الصوف أو من قماش أوربي والباقي تصنع في بلاد إيران وبلاد الاحساء والعباءة الحسوية من وبر الجمال جمـع جمـل وهـو الحيوان المعروف ويلبسها مشائخ العشائر، والعباءة الإيرانية التي هـي من الصوف البني اللون على(الكوبـائي) و(النـاييني) يلبسـها العـالم والتاجر، والعباءة(الخاجية) الرقيقة أو(البتية) تلبس في فصل الصيـف تصنع في بغداد والعمارة والحلة والنجف، ولعباءات القرنـة والنجـف شهرة خاصة فالأولى ممتازة برقة نسـيجها والأخـرى بمتانتـها، وإذا أمعنت النظر إلى ما تحت العباءة تجد الملابس مختلفة بـاختلاف أذواق أصحابها فطبقة علماء الديـن يرتـدون الزيـون والخرقـة والجبـة والحذاء(اليمني) من النوع الأصفر والحذاء البلدي المسـمى(قونـدرة)، و(البوتين)، و(الجزمة) ترتديها طبقـة العسـكريين، وطبقـة التجـار والأغنياء ترتدي الزبون والدميري والعباءة والحذاء من النـوع الجلـد الأسود أو الأصفر وطبقة أصحاب الصناعات ترتدي الزبون والدمـيري

والحذاء(اليمني) من النوع الأحمر، والعمـــال ترتــدي الزبــون مــن نوع(البشت) معمول من غزل الصوف والحذاء(كالة) وهي معمولة مــن الخيوط القطنية وأغلبها تستورد من إيران وبعضهم يرتدي(دشداشة) من نوع الخام الأسمر و(جبنة) أو(جنده) وهم يحملون الأكياس والصنــاديق على ظهورهم ويقال لهم حمالون والرجل لا يمشي في الأسواق والطرق حاسر الرأس وبغير عباءة.

الحالة الاجتماعية

المجالس الأدبية:

أينما تولي وجهك تجد في أغلب دور أكابر بغــداد وخاصــة دور العلماء والأفاضل يجتمع بها في ليالي الشتاء أو الصيف أكابر رجــال الدولة والوجهاء والأغنياء والشعراء والأدباء يقضون لياليهم في ســمر ومنادمة وليس أروع من مجلس يترك به أصحابه الخوض فــي ســير الناس فينصرفون إلى لعب الشطرنج .

لعبة الشطرنج:

الشطرنج لعبة ذاع صيتها وانتشرت في كل بقــاع الأرض وإنــها تجري بين شخصين لا يجوز لاحدهما أن يستهين بمقدرات الآخــر لان غلطة بسيطة تحدث أثرا كبيرا في نتيجة اللعب، ولكبار اللاعبين حيــل بارعة يخفونها وراء نكتة أو تظاهر بالاستهتار أو عدم المبالاة فينتبــه خصمه إليها وبذلك يفقد الشرط بسرعة فائقة، وان لعبة الشطرنج ليســت للتسلية أو قضاء وقت بل هي رياضة عقلية ومنهج لتدريب الذهن علــى التدبير ورسم الخطط وقد قال الأمام الشافعي في حقها إنها تمرين للذهن وترفيه عنه.

ووصفها أحد أبطالها في الزمن الغابر أنها ساحة نزال وميدان قتال يتنازع فيها الذكاء وحسن التدبير.

وكانت لعبة الشطرنج في بادي الآمر خاصة بـــالملوك والأمـــراء وعلية القوم ثم شاعت أصولها حتى شملت جميع المدن وكانت بغداد من ضمن المدن التي شملتها هذه اللعبة وكـــانت مركـــزا عظيمـــا للعبـــة الشطرنج، وشجع على انتشارها محبة الخلفاء العباسيين لـــها كـــهارون الرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل وغيرهم وعقدوا المباريات فـــي قصورهم بين اقدر اللاعبين ومنحوا الجوائز الثمينة للفائزين واشتهر في ذلك القرن بلعبة الشـــطرنج بيـــن المســـلمين فظـــهر أبطـــال كبـــار مثل(الصولي) و(الماوردي) و(الراضي) و(العادلي) وغـــيرهم فلذلـــك أصبح العرب أبرع وأمهر من الذين جاءوا بعدهـــم والعـــرب زعمـــاء الحضارة والمدنية في العصور الوسطى وهم الذين نقلوا لعبة الشـــطرنج إلى الغرب وفي الشطرنج قال الشاعر أمين الجندي:

أقول أن لاعب الشطرنـــج ... كفارس هاج ببحر الســـرج
ولا يـــزال ناصـــب الفخاخ ... يصطاد من جاء الرخـــــاخ
كأنه ليث الشرى المفتـــرس ... لا شي إن أرخا عنان الفرس
وصالـــــت الأفيال للأفيال ... في حومة القتال والجـــــدال
وابتـــدرت أمامها البيـــارق ... تسعى فمنها سابق ولاحـــــق
وبارز الشاه أخـــوه الفـــرز ... وانتهك الستر وزال العـــــز
وميز الغالـــب بتأيـــــــــيد ... وبان فضل باعه المديـــــــد
واقبل النصر من الإلـــــــه ... وتمت الحرب بموت الشـــــاه

المطارحة والمطاردة:

ولم تقتصر تلك المجالس على لعبة الشطرنج وحدها بل كانت للمطارحة مجالا واسعا فيها وتسمى (مطاردة) وهي أن يروي أحد الجالسين بيتاً من الشعر يعقبه الآخر ببيت يكون أول قافية الحرف الأخير من البيت مثل :

فلو سمح الزمان بها لضنت ولو سمحت لضن بها الزمان

فيعمد الآخر إلى النون وهو آخر حرف من قافيته ويروي مبتدئاً مثل:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

وهكذا يتلقف السامع فيلتمس بيتاً مبدوئاً بها ، ولا يلبث في النزال إلا من كان قوي الحافظة حاضر البديهة وقد يأتي في هذه المطارحة بيت ارتجالاً لا من الغث في الكلام ولكن يأتي فورياً ومقفى هذا كل ما يحتاج إليه الأديب حينما يرتج عليه وكثيراً ما يأتي المرتجل شيئاً خلواً من معنى مملوءا بالمناقضات المضحكة.

المرأة البغدادية:

إن المرأة البغدادية تمتاز بالسمرة والشعر الأسود وتملك خفة الروح والجاذبية القوية والحشمة والوقار فضلاً على جمال الخلق وحسن الطباع ولا أظن بين نساء المدن العراقية من هي أفصح لسان وأفضى بياناً من المرأة البغدادية فالمرأة البغدادية هي التي تجاهد في بيتها

لأحلال السعادة فيه وتربية أبنائها وتفتخر بحيـــاة الأمومـــة والتمســـك بالأسرة وماأحلى طفلها الذي تعتز به وهو مطمئن في الصحة والهناء.

المرأة العراقية تطير فرحاً عندما تشاهد طفلها وفلذة كبدهـــا وهـــو ينمو ويرفل بزيه البغدادي تلوح على وجهه الملامح العربيـــة ، مـــرة يغضب وأخرى يرضى ، ويبكي ويضحك ويتكلم معها بلغة لا يفهمـــها أحد سواها.

المرأة البغدادية في العهد الذي نؤرخ به أحواله مؤلفة من طبقتين: الأولي هي الطبقة الراقية ويطلق عليها أسم (خواتيـــن)جمـــع خـــاتون وتسمى باللغة التركية (خانم) وأنها سيدة بيتها لا تخرج منه إلا بأذن من زوجها وتكون وجهتها بيت أهلها وذوي قرباها وعند خروجها تخـــرج محجبة يغطي محياها (بوشي) أي برقع من الحرير الأسود وهو خـــاص بالنساء .

ولا أحد يكاد يصدق أن تلك المرأة المحجبة التي لا تخرج من بيتها إلا والعباءة تلفها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها هي تلـــك المـــرأة الأنيقة المعطرة التي نراها في بيتها العامر بهدوء وسكينة وأدب جـــم، وكثيراً ما كنت أشاهد تلكن(الخواتين) وهن محجبات يمشين في الطريق وأمامهم خادم أو عبد يحمل بيده(فانوس) أي مصبـــاح ويضـــيء لـــهن الطريق وهن يتهادين بحشمة ووقار.

أما مجتمع المرأة العراقية فهو خال من الرجال حتى مـــن الأزواج والأبناء وأولاد العم ،والمرأة العراقية لا تخصص يوماً معلوما لزيارتها أي يوم (قبول) كما هو اليوم عندنا وإنما باب دارهـــا مفتوحـــة علـــى

مصراعيها لكل الزائرات ويقدم بها القهوة أولاً ثم يأتي دور الشاي وهو الشراب المفضل فيقدم معه (الكليجة) التي أعدت لمثل هذه الضيافة.

وبعد شرب الشاي تقدم المائدة بأطباق شائقة تتفنن في تقديمها وهي أما تقدمها بنفسها ولا تعهد بصنعها إلى الطباخة إذا كانت توجد طباخة أو خادمة مهما كانت مكانتها الاجتماعية.

أما الطبقة الثانية وهي الطبقة الوسطى لا تختلف عن أختها الطبقة الأولى بأدبها وحسن خلقها ويعجبني فيها المرأة التي بلغت العقد الرابع من عمرها خمارها الذي ضربته إلى حد عينيها كما يعجبني ثوبها الفضفاض(الهاشمي) تحت عباءتها التي تغطي قدم رجليها وهي تسير لا تلوي على شيء.

والمرأة البغدادي لا تدخن التوتون(السكائر) والخواتين يدخن توتون(النركيلة) للتفكهة وهذه (النركيلة) من فصيلة (الجوزة) أي جوزة الهند وتكون مزركشة بصورة تجلب النظر .

وأما الفتاة البغدادية فحدث عن حسن مزاياها وأدبها ولا حرج فثغرها الأشنب لا تفارقه الابتسامة الحلوة وصوتها الساهدي الرزين عنوان الفتوة والأنوثة ، لا تفارقها الدعابة والمرح فهي كما قال فيها الشاعر:

يحسبن من لين الكلام زوانياً ويصدهن عن الخنا الإسلام

بيض حرائر ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام

الطوائف في بغداد:

إن الطوائف في بغداد في عهد الدولة العثمانية وخاصة طائفتي اليهود والنصارى جزء من مجموع السكان فإذا سارت الحكومة في طريق الحضارة والعمران أخذت تلك الطوائف نصيبها من تلك النهضة وان الدساتير التي تضعها الدولة وتعين مقدار الأفراد والجماعات فان قامت على أسس العدالة والمساواة والراحة دامت تلك الجماعات ترفل في بحبوحة العز والرفاه وبذلت المجهودات في سبيل الرقي والمدنية وجرت شوطا كبيرا في ميدان الأعمال، ومن ذلك الوقت فكرت الحكومة العثمانية في إصلاح أنظمتها وقوانينها وشؤون أدارتها وقد نال النصارى واليهود بسبب هذه السياسة كثيرا من الراحة والهناء في العراق عامة وبغداد خاصة فكان حظ النصارى حظا رفع مكانتهم لانهم اخلصوا النية في أعمالهم وكانوا ادباءا وكتابا ووجهاء وأغنياء عكس اليهود الذين تجردوا من كل هذه الصفات الحميدة ما عدا التجارة وان أعمالهم السيئة ونواياهم الخبيثة التي جبلوا عليها كانت معلومة عند العثمانيين آنذاك فصاروا يحتقرونهم ويبغضونهم في كل آن، وكانت حالتهم السياسية منحطة كل الانحطاط ومع هذا كله فانهم يتصلون بأساليب شيطانية إلى دخول سراي الحكومة ودوائر الكمرك والمكوس وبيت الوجهاء حيث يجدون من يستخدمهم في أعمال مهن أكثرها ذات صلة بالمال.

ومن ولاة بغداد الذين استخدموا اليهود في بغداد الوالي مدحت باشا عندما بث روح الحرية والمساواة وتنشيط الأعمال الاقتصادية، ومن

الولاة الذين يذكرهم اليهود بأطيب الأحاديث المشير رجب باشا قائد الجيش ووالي الولاية فقد ظهر من التساهل والحكم ومراعاة الأشغال ما سر اليهود كل السرور، وقابل اليهود إعلان الدستور في الدولة العثمانية بهتاف الترحيب وأقاموا مظاهرات الارتياح، وبقي إسم ناظم باشا عالقا في أذهانهم لما لاقوا في أيامه من الحرية وحسن المجاملة، وبين جماعة اليهود في بغداد رجال من كل الطبقات منهم التاجر والصيرفي والدلال والمحامي والطبيب وأهل الصنائع كالصائغ والحداد والنجار والإسكافي والموسيقي وغير ذلك، أما مسكنهم في بغداد باستثناء البعض فانه يقع في زاوية من زوايا بغداد القذرة في بيوت تسكنها عدة عائلات تحسبها كالسفينة تمخر في بحر من الأوساخ والقاذورات.

الصناعات

كان قطر العراق في الأزمنة الماضية قطرا اشتهر في الصنعة وقد برهنت أخبار السياح الذين تجولوا في العراق مثل(ابن بطوطة) و(ابن جبير) وغيرهما على أن أهل العراق كانوا يزرعون كميات كبيرة من القطن وبعد حلجه وندفه يستلمونه للنسيج كما كانوا ينتجون الحرير والقز وينسجون منها الأقمشة الحريرية وغيرها ومع اندثار معاهد الحضارة في العراق طوال السنين التي انقضت بعد استيلاء(التاتار)عليها لازال محتفظا بتلك الصناعة إلى الآن.

الندافة وخياطة الافرشة:

ولا يستعمل القطن للنسيج فقط بل يستعملونه للافرشة الاعتيادية منها الافرشة الخاصة بالأعراس، فيأتي أصحاب العرس بالنداف حاملا معه آلة الندف والخياطة ويقوم بخياطة الافرشة وكل ما يلزم من متممات الافرشة للعرس وغيرها. وجهاز العرس الخاص للمنام يتكون من(اللحف) جمع لحاف و(دواشك) جمع دوشك و(مخاديد) جمع مخدة أي وسادة.

صناعة الغزل والنسيج:

إن صناعة الغزل والنسيج كانت شائعة شيوعا عظيما في بغداد كما نوهنا وتدار صناعة الغزل بواسطة الآلات اليدوية وتسمى(دواليب) جمع دولاب يقوم بها رجال ونساء أتقنوا هذه الصناعة وكذلك تدار بواسطة(مغازل) جمع مغزل تقوم به نساء تعودن على الغزل والمرأة البغدادية تسليتها الوحيدة في بيتها الذي لاتخرج منه هو المغزل الذي لايفارق يديها ولو أمعنت النظر في نساء بغداد لوجدت أكثرهن يجيدن صناعة الغزل على اختلاف أنواعه.

أما النسيج فكان يصنع بواسطة الآلات اليدوية أيضا وتسمى(جوم) جمع جومة تنسج بها الأزر المقصبة جمع أزار ولصناعة الأزر ينسب الشاعر البغدادي الشيخ كاظم الازري، كما تنسج(الشراشف) جمع شرشف والخمر جمع خمار وهو خاص بالنساء.

وتصنع في بغداد الكوفية وهي منسوبة إلى الكوفة عاصمة العراق الأولى قبل بناء بغداد سنة ١٤٥هـ ، والنساج يسمى في مدينة بغداد(حايك) والنسيج يسمى حياكة وتنتشر الحياكة في محلات عديدة في بغداد وأشهرها محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني والشواكة والكريمات بجانب الكرخ والكاظمية والاعظمية وبعض المدن العراقية.

صناعة الحدادة:

للحدادين سوق خاصة وللحدادة موسم يعرفه الحدادون ولذلك تراهم يهيئون للفلاح العراقي(المساحي) جمع مسحاة و(المناجل) جمع منجل وهذه كلها من مستلزمات الزراعة الابتدائية قبل أن يحل عصر الآلات(الميكانيكية) كما انهم يعملون القضبان الحديدية للشبابيك في عمارات الدور و(السلاسل) جمع سلسلة لربط جمع الحيوانات كالخيل والبغال والحمير.

صناعة النجارة:

كانت النجارة في بغداد تقتصر على الأعمال الخشبية البسيطة المستعملة في جميع أثاث الدور كالسرر للمنام وصناديق الملابس و(الدواليب) جمع دولاب و(المرافع) جمع مرفع لحفظ الأواني البيتية و(المحاريث) جمع محراث و(الجراجر) جمع جرجر للزراعة، والنجارة الراقية خاصة في عمل صناديق(الاضرحة) جمع ضريح وتصنع هذه الصناديق من الخشب المعمول(بالجرخ) ويقال لصانعها(جراخ) بالجيم الفارسية،وعمل وجهات الغرف المزخرفة بأشكال هندسية منظمة بأسلوب عباسي قديم وأسلوب إيراني وأحسن مثال لذلك شبابيك الخشب في مسجد الأمام موسى الكاظم عليه السلام.

صناعة السلال:

للبغدادين صناعة خاصة وهي صناعة حياكة السلال على إختلاف أنواعها وأشهر المدن التي تصنع بها السلال هي مدينة بغداد والبصرة وكربلاء وبعقوبة وقد اشتهرت النساء بهذه الصناعة.

ولقد كنا نشاهد بين الآونة والأخرى زمرة من الرجال يحلون في بغداد قادمين من العمادية وزاخو في لواء الموصل لعمل السلال من غصون الأشجار بعد تجريدها من الورق وبيعها ويقال للواحد من هؤلاء(سبع طلان) وهذا التعبير محرف كليا وأصل هذه الكلمة هي تركية(سبت صاطان) بمعنى بائع السلال.

أسواق بغداد

الأسواق جمع سوق وتتالف من مجموعة الحوانيت المتقابلة يضللها سقف من الآجر والجص على هيئة أقواس أو مسقف بالخشب والحصران على هيئة الجمالي بتشديد الميم ومن تلكم الأسواق:

سوق البزازين:

وهذه السوق معروفة بسوق (الجوخه جية) اليوم وهي خاصة ببيع الأقمشة من نوع الجوخ المستورد من الخارج وفيها الأقمشة الحريرية والقطنية على اختلاف أنواعها.

سوق القزازين:

إن هذه السوق كانت عامرة وتباع بها أنواع الأقمشة من الحرير والقز من صنع بغداد وتباع بها الحزم(الهميان) و(الحيص) جمع حياصة وهي الحزم الخاصة للشبان والصبيان وأحسن نوع يسمى(الحلاوية) نسبة إلى مدينة الحلة.

سوق السراجين:

سوق لها مكانتها بين أسواق بغداد وهي خاصة بعمل السروج جمع سرج للخيل كما تعمل الصناديق المكونة من جلود الغنم الخاصة للسفر وفي محلها اليوم سوق الصاغة المتصلة بسوق السراي والمعروفة اليوم بسوق الشابندر.

سوق الغزل:

وقد كانت هذه السوق من أمهات الأسواق ببغداد يبلغ بها القطن وأنواع الغزل الذي تنسج منه الأقمشة وفي مقدمتها العباءة وتباع بها الأواني النحاسية المعمولة كما يباع بها أنواع الطيور والحمام الزاجل والقماري جمع قمري والعنادل جمع عندليب والقطا والبط والدجاج وغيرها والحيوانات كالخراف والماعز والغزلان والقرود والأرانب ويباع أنواع العطور كماء الورد وماء القداح وغيرها.

سوق الصفارين:

إن هذه السوق خاصة للصفارين وهي تكتظ بدكاكينهم،ببضاعة الأواني النحاسية من قدور وأواني وطسوت وأباريق وغيرها،وليس في هذه السوق دكان لغير الصفارين وهذه الدكاكين تعرض بها المصنوعات

النحاسية وتصنع فيها الأواني فهي معامل ومعارض متراصة فلا تسمع إلا طرقا يصم الآذان ولاترى إلاعملا متواصلا ولهيبا متصاعدا.

سوق الهرج:

هي السوق المحاذية لدائرة الكمرك والمكوس(مدرسة المستنصرية)وسميت بالهرج دلالة على كثرة الازدحام فيها وتعالى الأصوات والتهريج للبيع والشراء ومعنى الهرج في معجم اللغة هرج في كلامه أي خلط.

وكانت تباع بها الأسلحة النارية والجارحة على ملا من الحكومة والناس.

سوق الصاغة:

تعرف هذه السوق(بخان جغان) وهي محل سوق دانيال الآن وانتشرت بها دكاكين الصاغة وخاصة بصياغة الذهب والفضة وانحصرت هذه الصناعة في العهد الذي نؤرخ فيه باليهود وعدد قليل من المسلمين والمسيحيين والصابئة.

وفي أي وقت دخلت في(خان جغان) تجده غاصا بالنساء هذه تطلب أن يصاغ لها(خلخال) وتلك تنظر إلى(الملاوي) وأخرى تضع أقراطا بأذنيها والصائغ اليهودي يصول ويجول ويخادع ويماطل ولا يترك

المرأة إلا وهي قد اشترت شيئا، وهذه الصناعة يتقنها اليهود من القديم وقد استولوا عليها بأساليبهم الشيطانية.

سوق الشورجة:

تعرف هذه السوق بسوق العطارين وكانت ضيقة وفي سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٩١٠ أيام الوالي ناظم باشا جرى توسعها.

ويباع بهذه السوق أنواع الأواني البلورية والخزفية فضلا على المواد العطارية السكر والشاي والصابون وفي قسم منها تباع الحبوب الغذائية الرز والحنطة وسائر الحبوب الصيفية والشتائية.

سوق حنون:

تقع هذه السوق في محلة قنبر علي وكانت هذه السوق ولاتزال قذرة مليئة بالأوساخ وكانت خاصة باليهود قبل إسقاط جنسياتهم وتركهم بغداد تباع بها المواد الغذائية كاللحم والسمك والدجاج والبيض وأنواع الفواكه والخضراوات وكل هذه كان اليهود يرغبون بها ويتنعمون بخيراتها.

سوق اليمنجية:

وتسمى سوق الزنجيل تشاهد فيها الأحذية الوطنية من نوع(اليمني) الأحمر اللماع معروضة للبيع بجميع أنواعها ومنها ما يسمى(قبه

لورطة) و(لزكار) بالكاف الفارسية و(كوجك لزكار) و(مركوب) وهـــذه الأسماء جميعها تركية ما عدا المركوب وأحسن يمني هـــو المعـــروف بعمل ابن البناء.

أما الأحذية النسائية فهي لاتزيد على نوعين نوع يسمى(سراي لي) وتلبسه(الخواتين) والآخر يسمى(عجمي) وتلبسه بقية النساء.

سوق الميدان:

وهي مؤلفة من عدة أسواق منها سوق الميـــدان المتصلـــة بجـــامع الميدان(الاحمدية). ويباع بها مختلف الحاجات من لحوم وخضـــراوات وحبوب وأقمشة كما يوجد بها مخازن الرز والحنطة والشعير.

وبضمنها سوق الهرج الصغير يباع بها الأثـــاث البيتيـــة والمـــواد الخشبية المستعملة وفيها سوق(الحمير) وتباع في هـــذه الســـوق ســـائر الحيوانات كالخيل والبغال والحمير على اختلاف أنواعها وهـــي علـــى مقربة من باب بغداد الشمالي المسمى باب المعظم وبمحلها اليوم محطـــة بيع(البانزين).

سوق السراي:

هي السوق المتصلة بدوائر الحكومة اليوم وتباع فيها الكتب العلميـــة والأدبية والمدرسية التركية.

وأقدم بائع كتب بها هو ملا خضر والد المرحوم عبد الرحمن خضر المدون القانوني، والمرحوم ملا نعمان الاعظمي صاحب المكتبة العربية المؤسسة سنة ١٣٢٣هـ يقابلها سنة ١٩٠٥م ومحمود حلمي صاحب المكتبة العصرية المؤسسة سنة ١٣٢٣هـ يقابلها سنة ١٩١٤م وهو لا يزال في قيد الحياة وصاحب هذه المكتبة شهيرا بهذا الاسم وتقع مقابل المخبز العسكري.

سوق الجديد:

وهذه السوق اسم محلة في جانب الكرخ معلومة كان يسكنها أو يجتمع فيها جماعة من الأدباء والشعراء كعبد الباقي العمري الشاعر المشهور وعبد الغفار الأخرس وعبد الله الخياط صاحب الظرائف وغيرهم وكانت تباع بهذه السوق أنواع الخشب الذي يجلبه التجار من الموصل لتعمير البيوت وكانت عربات(الترامواي) التي تسير على خط الكاظمية تمر منها، وفي جانب الكرخ سوق الشواكة وسوق العجيمي وسوق حمادة ولاتزال بأسمائها هذه حتى الآن غاصة بالناس.

أشهر المقاهي في بغداد

كان انشار المقاهي في بغداد أمرا يستلفت النظر ويدعو إلى الاستغراب ولقد أصبحت هذه المقاهي مراحا لذوي الميول المتقاربة والمهن المتشابهة.

ويتردد عليها التجار والموظفون والأدباء والعمال يجلسون بها ويدخنون النواركيل والسكاير ويشربون الشاي والقهوة ويلعبون اللعب المسلية كالعبة(الدومينو) أي دومنة والمنقلة وهذه اللعبة خاصة بالبغداديين.

وتأتي في مقدمة هذه الألعاب لعبة(الطاولي) واسمه الصحيح (نود) وفيه قال الشاعر فيمن يحبه:

إني رضيت بأن أكون بكفه | زارا يقلبني بلعبة نرده

مقهى سبع:

وقد عرف هذا المقهى باسم صاحبه سبع وهذا الرجل من القهوانية القدماء وعرف بدماثة أخلاقه وطيب سريرته ومن أعماله التي عرف بها انه كان يعرف المعوزين الذين يترددون إلى مقهاه وهؤلاء من الطبقة التي يقال في أفرادها(يحسبهم الجاهلون أغنياء من التعفف) فلا يطالبهم سبع بأجور المقهى وقد كان موضع احترام رؤساء الحكومة من

عسكريين وملكيين وأصبح محل هذا المقهى مدرسة(المأمونيـــة) التـــي أصبحت اليوم مديرية معارف لواء بغداد المركز كما نوهنا.

مقهى وهب:

ويأتي بعد مقهى سبع بالميدان مقهى وهب ويقع في بـــاب(القلعـــة) ثكنة المدفعية والمدفع باللغـــة التركيـــة(طـــوب) لذلـــك تســـمى ثكنـــة المدفعية(طوبخانة) واليها نسبت محلة(الطوب) في بغداد وبمحـــل هـــذا المقهى الآن دائرة مصلحة إسالة الماء بعد أن شيدت.

مقهى عزاوي:

وهذا المقهى كان يعرض فيه الآعيب(خيال الظل) أي(قره كوز) في ليالي رمضان وفي سائر الليالي يشتغل به(تياترو) بتعبير أهـــل بغـــداد وبمحله الآن مقهى(الأوبرا) وقد كان قبـــل ذلـــك ملـــهى ترقـــص بـــه الراقصات ليلا.

مقهى كل وزير:

وهذا المقهى مشهور(بشربته وشاية) وهو مرتاد الطبقة الراقية مـــن البغداديين وهو المقهى الوحيد الذي لايوجد فيـــه أداة للـــهو(كالطـــاولي والدومينو) وبمحله اليوم معمل أحذية الكاهه جي بجـــانب بـــاب وزارة الدفاع الحديثة.

مقهى القرائخانة:

وهذا المقهى يقع قرب باب المعظم وقد عرف بـ(عثماني قرائخانه سي) وهي أول مقهى في بغداد نظم تنظيما عصريا من حيث المقاعد وشرب القهوة والشاي ويستطيع الجالس أن يقرأ الجرائد التي تصدر في بغداد صباح كل يوم فضلا على الجرائد التركية الواردة من استانبول.

وصاحب هذا المقهى رجل إيراني الجنسية يتكلم باللغة الفارسية والتركية والافرنسية وقد غلب عليه أسم(مسيو) أي أفندي باللغة الافرنسية لكثرة تكلمه بهذه اللغة أي الافرنسية.

مقهى المميز:

يقع مقهى المميز على رأس الجسر القديم ويطل على نهر دجلة محاذيا لدائرة الكمرك والمكوس القديمة وعلى الأغلب هو جناح من أجنحة مدرسة المستنصرية، وفي ليالي رمضان كان المغني العراقي أحمد زيدان يغني فيه المقام العراقي وهو يموج بالناس يستمعون إليه.

مقهى البيروتي:

وهذا المقهى من مقاهي جانب الكرخ على رأس الجسر القديم وكان مجتمعا تجاريا يضم تجار الحبوب الغذائية والأخشاب والغنم وكان التجار الجالسون فيه يتداولون البحث في البيع والشراء بهدوء وسكينة كأن على رؤوسهم الطير.

مقهى اعكيل:

نسبت هذه المقاهي إلى عشائر(اعكيل) أي عقيل المتعددة وقد نزحت من نجد إلى بغداد في القرن الماضي وهذه المقاهي خاصة بشرب القهوة العربية وتصنع هذه القهوة في(دلال) جمع دلة بتشديد اللام حيث تغلى على النار بعد أن يخلط الماء بطحين القهوة وتمزج ببعض البهار وهناك يطيب شربها.

وتقع هذه المقاهي في الجانب الغربي من بغداد أي الكرخ ولا تختلف مقاهي المدن العراقية عن مقاهي بغداد بوضعها المألوف آنذاك.

مقهى العنبار:

يقع هذا المقهى في محلة المصبغة بجانب الرصافة ويتردد إليه أناس من طبقة التجار ويعتبر هذا المقهى المقر التجاري يومذاك(كالبورصة) في هذه الأيام لأن محلة الرواق وخانات مخازن

الجملة قريبة من هذا المقهى وأكثر رواده تجار اليهود الذين بيدهم مقاليد التجارة يومذاك.

مقهى ملا حمادي:

وهذا المقهى واقع في محلة(المربعة) الكائنة الآن بجانبه(سينما الزوراء) وهذا المقهى الآن موجود وإن كان شيد حديثا وكان محاط ببساتين و موقعه كالمتنزه والويل ثم الويل لمن يجتاز تلك البساتين ليلا.

مقهى العبد:

كان هذا المقهى منعزلا في آخر المدينة في الباب الشرقي بمحل ما يسمى الآن(البتاوين) أو(الأورفلية) وبجانب ذلك المقهى(قولغ) مخفر للدرك أي الجندرمة يحيط به حقول وبساتين وزرع الحقول(بالخس) حتى سميت بستان الخس ولما شيدت فيها أخيرا دور أصبحت تسمى محلة بستان الخس في شارع العلوية بعد تمثال السعدون ومقهى العبد غير منظم مثل مقاهي المدينة وإذا جئت أليه صباحا أو ظهرا لاتجد أحدا وإنما يؤمه الناس عصر كل يوم يمتطون الخيول لبعد المسافة عن المدينة من جهة الباب الشرقي وكان أحدهم يحمل سلاحه معه خوفا من الاعتداء.

مقهى التبانة:

وهذا المقهى من مقاهي محلة الفضل وقد صار ضمن مدرسة الفضل الابتدائية وكثيرا ما كانت أشاهد في هذا المقهى ليلا(ابن الحجامة) الهزلي المشهور واسمه الحاج جاسم من محلة(العوينة) مع زميله الفكه(منصور) يقومان بشبه تمثليات هزلية لا تخلو من النكات المضحكة على جمهرة من المتفرجين ويسمى ذلك(أخباري).

نطاح الكباش وعراك الديكة:

وفي النهار يكتظ مقهى التبانة بالمتفرجين على نطاق(الكباش) جمع كبش وعراك(الديكة جمع ديك وللكباش أسماء مختلفة مثل(خماس) و(ضرغام) و(عنتر) وغيرها وأشهر المعتنين بتربية الكباش هما(أحمد دبي) من محلة الفضل و(علي الحبشي)من الا عظمية،وعند مبارزة الكباش أو الديكة يعلو هتاف المتفرجين للكبش أو الديك الذي يفوز بهذا المضمار.

تربية الطيور:

في بغداد أنواع كثيرة من الطيور الأليفة أعتاد بعض الناس تربيتها وجعلها ملهاة لهم وأسماؤها كثيرة منها المسكي والعنبري والرمادي

والأصفر والأحمر والفضي والزنكي كما اعتاد أصحاب تلـــك الطيــور ووجل.

إطلاقها من أوكارها صباح ومساء كل يوم ويستمر تحليقـــــها فـــي سماء بغداد أكثر من ساعة وتختلط الأسراب في طيرانها بعضـــها مـــع بعض وعيون أصحابها مشرأبة أليها ثم تنعزل ويعود كل ســـرب إلـــى حالته الأولى وينزل إلى وكره.

ومن تلك الطيور نوع واحد يرجع إلى فصيلته الحمام ويســــتوطن البيوت ويلوذ بالمراقد المقدسة ومآذن الجوامع فيعيش آمنـــا مطمئنـــا لا يناله أذى من أحد ولا يسعى في طلب القوت بل يقتات الحبـــوب التـــي ينثرها له الزائرون فيلتقطها من الأرض من دون خوف ووجل.

عازف الرباب:

أما باقي المقاهي في بغداد فلا تخلو من وجود أساليب واللهو ليـــلا ونهارا ويوجد في بعض المقاهي عازف(الرباب) يجلس فـــي المقـــهى وحوله الناس يستمعون إلى الأنغام المنبعثة من الرباب وهـــو يشـــنف آذانهم بغناء(العتابة والنايل) الشائع آنذاك في بغداد، وهذا الغناء هو غناء العراق الأصيل.

القصاص:

لم يكن سماع العزف على الرباب قائما وحده بل كـــان للقصـــاص مكانة مرموقة في المقهى لأن السواد الأعظم لم يكن لديه ما يلـــهو بـــه كالملاهي ودور السينما وغيرها فكـــانت تسـليتهم بســماع القصــص والأساطير يتلوها عليهم أحد القصاصين ،ويعبرون عنـــه (قصخـــون) وأشهر قصاص يومذاك ملا إبراهيم الموصلي توفى ســنة ١٣٠٨هـــ يقابلها سنة ١٨٩٠م أيام الوالي سري باشا ومن بعده ملا خضر وهـــو موصلي أيضا توفى سنة ١٣٣٠هــ يقابلها سنة ١٩١٢م أيـــام الوالـــي جمال باشا.

ولا زال البغدادي مجبولا على سماع تلك الأساطير ، وقد قيل مـــن يتمتع بطيبات الحياة يضيع الوقت بأحاديثها ومن يحرم منها يسترسل في الأحلام التي تزينها المخيلة وتذهبها الأهواء ،وهكذا أخذ بعض النـــاس يسمعون إلى القصاص وهو جالس في المقـــهى تحفــه جماعـــة مـــن السامعين يصغون اله وهو ينقل إليهم صورة من وقائع (عنترة العبسـي) التي جمعت في القرن الرابع زمن العزيز بالله الفاطمي، وقصة (أبو زيد الهلالي) وما فيها من الحروب المبالغ فيها ،ومما يروي أن بعـض رواد مجلس القصاص الذي تروى فيه تلك المغامرات حــزن حزنــا شــديدا عندما وقف القصاص في موقف وقع فيه (عنترة العبسي) أســيرا بيــد محاربيه فلم يكن من الرجل إلا أن ذهب إلى بيت القصاص وطلب منــه أن يطلق سراح (عنترة العبسي) من الأسر الذي وقع فيه لكي ينام ليلتــه

مرتاح البال فلم يجد القصاص بدا من أن يطلق سراح عنترة (العبسي) من الأسر وذهب الرجل شاكرا له فعله.

الحلاقة والحلاقون:

لم تكن للحلاقة في بغداد صالونات كما هي اليوم وإنما كانت مقتصرة على حوانيت منبثة في الأسواق والمحلات فحانوت الحلاق الشهير يتكون من مرآة كبيرة وكرسي موضوع أمام المرآة أعدت لمن يحلق لحيته أو يزين شعر رأسه، وفي الحانوت مقعدان طويلان وضعا في جانبي الحانوت لجلوس الزبائن وعلى جدران الحانوت أباريق وأواني نحاسية معلقة تستعمل عند الغسيل والجدار مزين بألواح مخطوط فيها آيات قرآنية ، والحلاق الماهر هو الذي يكسب رضى زبائنه من عسكريين وموظفين وأهلين حسب قواعد الحلاقة المتبعة عندهم يومذاك.

أما أهل بغداد وبضمنهم العلماء والمشائخ والوجهاء فالعلماء والمشائخ يحلقون رؤوسهم ويتركون لحاهم مسترسلة إلى صدورهم ، والوجهاء يحلقون رؤوسهم حسب أذواقهم مع المحافظة على وضع شواربهم ، والعامل يحلق رأسه بالموس مع حفظ شاربيه وجعلها معكوفة إلى الأعلى وكثيرا ما يحلف بها بقوله (وحق هل شارب)، ومن الكلام الشائع عند النساء البغداديات إذا ما أرادت امرأة أن تخاطب رجلا وتستجير به تقول له مستعطفة (أنا تحت شاربك)، والشاب الذي

لا شارب له يجلس في المقهى ولا يتقدم على من هو أكبر منه سنا في كل المناسبات .

وكان بعض الحلاقين يتجولون في الطرق حاملين عدة الحلاقة في شبه محفظة من الجلد ربطت بمحزم الحلاق وسير من الجلد معلق بالحزام من الأمام يمشي عليه الحلاق بالموس بين الآونة والأخر تسهيلا لأعماله، وفي يديه آنية من النحاس أو الصفيح (تنك) على هيئة إبريق مملوء بالماء لتيسير العمل عند الحلاقة وكثيرا ما يلتقي بعض الفقراء بهؤلاء الحلاقين وهو بحاجة إلى الحلاقة فيقعد في الطريق فيبدأ الحلاق بحلق رأسه على أن لا يتعرض لشاربيه مستعينا بالماء المعد في تلك الآنية، وهكذا كانت الحلاقة عند البغداديين .

الشحاذة والشحاذون:

الشحاذة معروفة في بغداد بأساليبها ونظام مجتمعاتها فمن الشحاذين من يجعل رائده الاستجداء بالتوسل ومنهم من يعتمد على الصياح يستدرون عطف الناس عليهم ومنهم من يصطنع البكاء ويظهر ألوانا من الأمراض والأسقام ويبدي ما به من نقص في خلقته ومختلف العاهات ويظهر ما يؤيدها من رث الثياب ونحول الأجسام وكلما كانت الأوساخ والقاذورات ظاهرة للعيان كان ذلك أبلغ أثرا لاستدرار الأكف.

ومن الشحاذين من استعاض عن التجوال بالوقوف على أبواب الأضرحة المقدسة والجوامع يستجدون فيها ومنهم من يجلس على قارعة الطريق باسطا كفه للسؤال وهو صامت لاينبس ببنت شفة.

ومن عادات الشحاذين أن يجلس أحدهم في بعض الأمكنة المكتضة بالمارين يتلو سورا من القران الكريم غير ملتفت إلى الأغلاط في قراءته، وآخر يمشي بالسوق وينشد قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأخرى في مدح آل البيت الأطهار .

الزور خانة والرياضة:

كانت بغداد ميالة إلى الألعاب الرياضية باعتبارها من متممات الحياة اليومية ولكن لم تنظم التنظيم الذي نراه اليوم بل كانت بصورة مختصرة ترمز إلى تغذية الجسم وسيرانه (بالزور خانة) وهي حفرة عميقة مدورة في الأرض يجري فيها اللاعبون مختلف الحركات برفع أشكال متنوعة من قطع الحديد وتجري حركات اللاعبين فيها على ضرب (الدنبك) الكبير وهذا الدنبك يسمى (زرف)باصطلاح اللاعبين، وفي حركات اللاعبين يراعون الوحدة الموسيقية والذي يؤدي الضرب على الدنبك أي (ضابط الإيقاع) رجل له نظرية وعملية في المصارعة في جميع تجاربها ، وأشغالها ويسمى (مرشد).

والحركات التي تؤدي في الزورخانة تستهدف إلى تقوية العضلات كعضلات الرقبة والصدر والساعدين والساقين والأكتاف وقد انتشرت الزورخانة في كثير من محلات بغداد كمحلة (الفضل) و(الحيدرخانة) و(الدهانة) و(الصدرية) و(العوينة) و(باب الشيخ) وجانب الكرخ فضلا على مدينة الكاظمية ومن أشهر أبطال الزورخانة (أسطه غني) الذي أطلق عليه بالحق والاستحقاق (بهلوان) بغداد الأول لخفة حركته

وسرعة جريه داخل الزورخانة وخطف المصارع بحركات لا تخطر على بال وقد صارع أوسطه غني بعض مشاهير أبطال المصارعة في إيران والهند ممن جاءوا إلى بغداد فخرجوا منها يجرون أذيال الخيبة والخسران وقد تخرج عليه عدة مصارعين ومن أشهر تلاميذه المرحوم الحاج محمد ابريسم العزاوي، والسيد إبراهيم سادن الأمام أبو يوسف وقد تتلمذ عليهما كثير من المصارعين في بغداد وأشهرهم أسطه محمد الخياط.

والغريب في ذلك العهد أن الأطفال والصبية في عهد الزورخانات كانوا محرومين من مشاهدة ما يجري داخل الزورخانات أو حضورها وقد شهدت الزورخانة حضور بعض ولاة بغداد وبعض رجال الحكومة وإن دل هذا على شيء فيدل على مكانة المصارعة في نفوس القوم عندئذ ولا بد من الإشارة إلى هذا أن دعوات التحدي التي كان يتبادلها المصارعون من بغداد وبين زملائهم من المصارعين في إيران والهند كانت تمثل أسمى خلق الخطاب في المراسلات وتبدأ عادة بالبسملة وتنتهي بالدعاء بصيغة المتحدي للمخاطب.

محلات بغداد ورؤساؤها:

إن بغداد على شهرتها ليس بها محلات منظمة كما هي اليوم وليس بها من يقوم بإدارة شئونها وشئون سكانها ولقد مضت عليها مئات السنين وهي لم تزل بعيدة كل البعد عما يحقق لها شهرتها وفي سنة ١٢٥١هـ يقابلها سنة ١٨٣٥م أيام الوالي علي رضا باشا اللاز اجوي

انتخاب المختارين لها فصار لكل محلة مختار أول وثاني مع أمام يقوم بشئون الزواج متفقا مع المختارين، ولضيق المحلات وقلة المصابيح ومنعا لوقوع جرائم فيها أمر الوالي عبد الرحمن باشا سنة ١٢٦٩هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م بإنارة بعض المحلات في جانب الرصافة فوضعت المصابيح (فوانيس)جمع فانوس وفي عصر كل يوم يجتاز مستخدمو البلدية الطرق ومعهم سلالم خشبية يرتقون عليها لإشعال الضوء في المصابيح المعلقة على الجدران، وبذلك انكشف عن بغداد بعض الديجور المخيم في أرجائها وكانت محلات بغداد موحدة مثل الفضل وبضمها محلات العزة وخانلاوند (النائبية) اليوم ومحلة السيد عبد الله ومحلة حمام المالح والقراغول وكان رئيس هذه المحلات العلامة المرحوم الشيخ عبد الوهاب النائب ومحلة الميدان وما جاورها ويترأسها العلامة المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني ومحلة (الحيدرخانة) وما جاورها يترأسها العلامة المرحوم الشيخ داود النقشبندي ومحلة (قنبرعلي)وما جاورها يترأسها آل جميل ومحلة (القشل) وما جاورها يترأسها آل كبة ومحلة (باب الشيخ) وما جاورها يترأسها آل النقيب ومحلة (رأس القرية)وما جاورها يترأسها آل الباجة جي وجانب الكرخ يرأسه آل السويدي،وأهل هذه المحلات متمسكون برؤسائهم ويضحون بالغالي في الدفاع عنهم كما أن رؤساءهم بدورهم يراعون مصالحهم ويسهرون على تلبية مطالبهم كما يفعل رب الأسرة بأعضاء أسرته.

الحمامات في بغداد:

كنت في العقد الثاني من عمري وكنت أفرح فرحا لا مزيد عليه حينما أذهب مع رفقائي لنستحم في نهر دجلة، ونهر دجلة في الصيف الحار حمام عام لأهل بغداد حيث تجد الصبيان وهم عراة يلعبون على شاطئيه تارة ويعومون في لجته أخرى. والرجال يستحمون به تاركين جحيم الحمامات بغداد.

والحمامات في بغداد يومذاك عبارة عن دهاليز مظلمة ماءها حار لا يستطيع المستحم بها البقاء أكثر من نصف ساعة فيخرج منها متضايقا بل كان عدد منهم يغمى عليه من شدة الحر.

وفي حمام الفضل قلت بعد أن استحممت به وخرجت:

وحمام دخلت به صباحا دخول ذوي الجرائم للجحيم
غسلت الجسم فيه بماء طهر فكان جحيمه عين النعيم

والذين يدخلون الحمام من الموسرين والأغنياء لابد أن يقوم بواجبات غسلهم (دلاك) والدلاك رجل اتخذ غسل الأبدان مهنة له يقوم بواجبات المستحم أحسن قيام، فترى في يده الكيس المصنوع خصيصا للتدليك يمرره على الجلد ويستخرج منه فتيلا من الأوساخ .

ومن أشهر الحمامات في بغداد حمام (الباشا) وحمام(السراي) وهما في محلة الميدان وحمام (عيفان) وحمام (المالح) في محلة الفضل وحمام (كجو) بالجيم الفارسية وحمام (بنجه علي) بالباء الفارسية وحمام (الكمرك) في محلة باب الأغا وحمام (القاضي) وحمام (حيدر) في محلة رأس القرية وحمام (الشورجة)في سوق الشورجة وحمام (السيد) في

محلة سراج الدين وحمام (آل جميل) في محلة قنبر علي وحمام علي وحمام (تاجه)في محلة الحاج فتحي وحمام (الراعي) في محلة رأس الساقية وحمام (عويد) في محلة الربعة وحمام (فضوة عرب) في محلة باب الشيخ وحمام (الجسر) في محلة رأس الجسر القديم بجانب الرصافة وحمام (أيوب) وحمام (شامي) وحمام (اليتيم) بالتصغير في جانب الكرخ ، وهذه الحمامات أغلبها انقرضت وحلت مكانها حمامات عصرية منظمة تشتغل (بالغاز) النفط بعد أن كانت تلك الحمامات يحمى ماؤها (بالزبل) القاذورات المجموعة في اصطبلات الخيل والبغال والحمير.

الارواء وإسالة الماء :

لازال أهل بغداد يذكرون ما عانوه من قلة الماء قبل أن يتم ضخ الماء بواسطة المكائن على الرغم من أن نهر دجلة يخترق بغداد والسقائين الذين كانوا ينقلون الماء على ظهورهم وعلى ظهور الحمير في(القرب) جمع قربة وهي معمولة من جلد الغنم بعد دبغها.

والسقاء الذي يبيع الماء ينادي عند تجواله (هوي هي) ولم أدر ما معناهما ولدى التحري الدقيق علمت أنه يريد بهما(هذي هي) أي القربة المملوءة ماء وكان السقا ينقل الماء من شرائع جمع شريعة خاصة في نهر دجلة.

ولم يكن الماء طاهرا ولا يعتنى بأمر نظافته وظلت بغداد تشرب تلك المياه الموبوئة إلى أن من الله عليها وبعث لها من ينقذها وفي سنة

١٣٠٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٩م أيام الوالي سري باشا فقد أنشأ في ساحة(خانلاوند) النائبية اليوم بعد غرسها بالنخيل والأشجار حوضا كبيرا للماء لارواء الناس فأخذ سكان محلة الفضل وما جاورها من النساء يوفدن على ذلك الحوض ويأخذن منه الماء شاكرات الوالي سري باشا على عمله هذا.

فترى البيوت وفيها الأواني المعدة لحفظ الماء(حباب) جمع حب طافحة بالماء المعين، بعد الظمأ الشديد الذي كانت تعانيه تلك العوائل والمحلات النائية ولقد أصبحت شرفات الدور في الصيف وعلى حافاتها(تنك).

ولم يكن عمل الوالي المشار إليه مقتصرا على مشروع الماء فقد تعداه إلى ما هو أهم من ذلك إذ أصدر أوامره بإعطاء الأرامل والأيتام ما تستحقه من المخصصات الشاهانية مما دفع المرحوم العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب أن يثني على أعمال الوالي بقصيدة وهي:

ياوالي الزوراء دمت وزيرها	إذ قد شرحت من الأنام صدورها
وبقيت مأوى للعفاة بأسرها	إذ قد جبرت من الضعاف كسيرها
ومنحتهم منك العطاء تفضلا	فاستكملت في ذا الزمان شهورها
ولطالما لبث فلم ينتج لها	ألا وعمرك ما أهاج زفيرها
تغدو وتذهب بالرجاء ولم يكن	مما يسر مرادها وجورها
حتى أنيت وللعدالة حاملا	فهناك قد ساوى الغني فقيرها
سعدت أناس في حماك مقيلهم	نعم الهصور إذا دعوك هصورها
هذي العدالة لأعدمتك منصفا	تسقي العطاش إذا أتوك نميرها
أما النفوس لمثل ذاتك ترتجي	لتكون في وقت الاياس بشيرها

أني لاشكر عن لسان أرامـــل وجدتك يا عين الزمان نصيرهـا
لا زلت يا بدر السعادة ساطعـا لتشاهد الزوراء منك مشيرهـا

وفي سنة ١٣٢٥هـ يقابلها سنة ١٩٠٧م أيام الوالـي حـازم بـك أنشئت ماكنة إسالة الماء في بغداد بواسطة مضخة نصبت في شـريعة الميدان واجري الماء بواسطة أنابيب وكانت أجور الماء الشهرية لكـل دار شيء زهيد وهي عشرة قروش صحيحة تساوي اليوم مئـة فلـس وبهذا ارتاحت بغداد من عناء ألارواء ونجت الجوامع والحمامات مـن مياه الآبار المالحة، ولقد كان جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وجـامع الشيخ عمر السهروردي قبل مشروع إسالة الماء يجهز لهما الماء مـن ساقية يجري فيها بواسطة(كرد) الأول نصب في شريعة الشيخ والثـاني في شريعة الميدان فالكرد يصب الماء بواسطة(دلو) في حوض اعد لـه فيذهب الماء بالساقية المحفورة تحت الأرض والمزفتة تزفيتاً متقنا.

وقد سميت محلة رأس الساقية نسبة إلى تلك الساقية الممتدة من نهر دجلة إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، أما ارواء البساتين والحدائق المحيطة ببغداد فكانت تسقى بواسطة(النواعير) جمع ناعور وتسـحبها الخيول والبغال.

ماكنة الثلج:

وفي سنة ١٢٩٩هـ يقابلها سنة ١٨٨١م أسست في بغداد ماكنة ثلج ونصبت في شريعة الميدان ولم يكن ذلك الثلج كالثلج الذي عندنا اليوم وإنما كان شبه الزجاج السميك(جام) ويوضع داخل(التبن)علف الحيوانات خشية ذوبانه ويباع بالوزن الكيلو بقرش صاغ.

المواد الغذائية وأسعارها:

كانت بغداد في العهد الغابر لا تعرف السوق السوداء وهي بعيدة كل البعد عن الغلاء والتلاعب بالأسعار لأن في بعض السنين تكون الأمطار وحدها كافية لانتاج محصول عظيم من الحنطة والشعير والأعشاب والأوراد الطبيعية لتكسي الأرض العراقية حللاً سندسية لإعاشة ملايين من المواشي كالأغنام وغيرها، وفي سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي محمد زكي باشا عم الرخاء في جميع أنحاء العراق وبضمنه بغداد فكان رخاءا منقطع النظير حتى بلغ سعر مائة كيلو الحنطة(الداوودية) مائة قرش رايج وحنطة(القنطرة) التي تجلب(بالكلاك) جمع كلك تسعين قرش رايج والحنطة التي تسمى(عراكية) أي عراقية بثمانين قرش رايج، ولم يكن في ذلك العهد آلات(مكائن) تقوم بواجبات الطحن كما هو اليوم وإنما كانت بواسطة(المدر) جمع مدار وفي البيت(رحى) جمع رحاة وأهل بغداد يسمونها(رحية) أو(رحا) ومن النادر أن تشاهد بيتا خاليا من هذه الآلة.

أما الرز فهو متيسر بجميع أنواعه ورخيص جدا وأهل بغداد يعـــبرون عنه باسم(تمن) ويقولون تمن عنبر وتمن شنبه وتمـــن نكـــازه بالكـــاف الفارسية ولم تكن يومذاك واسطة لهبش الرز كما هي اليوم وإنما كـــان الهبش بواسطة(الدنك) بالكاف الفارسية والدنك آلة خشبية اخترعها أهل بغداد لهبش الرز واتخذت سوق(البلانجية) بولنجية شارع المأمون اليـوم لها ويسمى سوق الدنكية نسبة للدنك وقد كان هبش الـــرز فـــي بيـــوت بواسطة(الجاون والميجنة) وهي آلة خشبية تعمل فـــي ســـوق خاصـــة مزدحمة بالنجارين بجانب الكرخ.

أما أسعار اللحم فهو رخيص جدا فالكيلو الواحد يباع بسبعة قـــروش رايج وكذلك الخبز الفاخر يباع الكيلو بثلاثـــة قـــروش رايـــج والمثـــل المتعابر عند أهل بغداد عن الشيء الرخيص إذ يقال:(مثل خـــبز بـــاب الآغا حار ومكسب ورخيص) واكثر أهل بغداد يخبزون فـــي بيوتـــهم بواسطة التنور.

ومما يلفت النظر إلى المرأة التي تخبز في بيتـــها وهـــي مرتديـــة عبائتها دلالة على أنها تخشى دخول أحد أقربائها إلى الدار وهي ســـافرة هذا هو حجاب المرأة البغدادية حتى في بيتها.

الأطعمة الناضجة:

كانت بغداد يومذاك تزخر بالأطعمة الناضجة وهي(الكباب) وأحسنه كباب (الصابونجية) في الميدان و(الباجة) وأحسنها باجة(طوبـــان) فـــي جانب الكرخ محلة خضر الياس و(الكاهي) وأحسنه كاهي سوق الميـدان

و(الهريسة) وأحسنها هريسة باب الآغا بسوق الصفارين و(الكبة) وأحسنها كبة الحاج مرعي في جانب الكرخ وتعمل هذه الكبة من العجين والسمن محشاة بالحم وتخبز في(التنور) وتباع في علبة من الخشب مع العلم أن هذه الكبة غير كبة البرغل المشهورة.

ومما يجدر الإشارة إليه بيع(الباجلة) باقلاء وقد تعود أهل بغداد أكلها صباحا وجعلها لهم غذاء لذلك تشاهد في بعض محلات بغداد نساء جالسات في قارعة الطريق وأمامهن قدور الباقلاء معدة للبيع.

وكنت أشاهد رجلا اسمه(مهدي بن صالح الكردي) يحمل فوق رأسه الباقلاء ويتجول في محلة الميدان وما جاورها وينادي باللغة التركية.(كل ون يهون جاي ابيجمه ون) والمعنى ـ تعالوا كلوا باقلاء لا تشربون شاي.

الأطعمة غير الناضجة:

ولا تخلو بغداد من الأطعمة غير الناضجة وهي السمك والبيض والجبن والقشطة (الكيمر) واللبن وكلها تباع بأسعار زهيدة لا تخطر على بال واللبن تجلبه نساء عربيات من ضواحي بغداد وقد تعودن الدخول إلى المدينة سافرات.

وما أحلى تلك المرأة التي فوق رأسها(علب) اللبن وما أظرفها وهي تتهادى بقامتها الممشوقة يسترها جلبات أسود تتصل أطرافه إلى الكعبين وقد شد في وسطها حزام حيك من الصوف الملون بالأصباغ ووجهها مستدير في سمرة مشوبة بحمرة خفيفة وعينان سوداوان في ذبول خلاب

تبسم عن أسنان صغيرة متساوية كأنها اللؤلؤ والوشم ظاهر على الذقن وتحت الأنف وقد زاد وجهها رونقاً وجمالاً.

وفي بغداد طعام لذيذ من نوع المخضرات ومن فصيلة المخللات أي(الطرشي) يقال له(كبر) يبيعه بائع يتجول في الطرق وينادي بنغم مطرب وكلام مسجع يجلب الأنظار،(أكلك منافع يا كبر، يكتل الدود ويحمر الخدود بمتن الزنود) هكذا ومع الأسف المرير أن هذا الطعام قد أهمل ولم نر له أثر يذكر في بغداد رغما على أن الطرشي لازال في بغداد وأحسنه طرشي (حنانش) في جانب الكرخ وخان جغان كما ذكرنا أصبح اليوم سوق تباع فيها الأقمشة الحريرية والقطنية والصوفية.

باب المعظم:

هذا الباب الشمالي لمدينة بغداد وقد سمي بهذا الاسم أخيراً دلالة على أن الطريق يؤدي إلى بلدة الأمام آبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه.

والذي يقف عند هذا الباب يرى بعض السابلة وبائعات اللبن والنخيل الباسقة تلوح على البعد ويرى(قشلة السواريه) ثكنة الخيالة واغلب أهل بغداد يسمونها(كرنتينة) والكرنتينة محلة الحجر الصحي لمكافحة الأمراض المعدية ثم يرى مستشفى الغرباء التي نوهنا عنها وعند باب المعظم يرى عربات اوعربائن جمع عربة من الخشب على غرار العربائن التي تسير بين بغداد والحلة وكربلاء وبعقوبة تسحبها

البغال تسير ذهابا وايابا بين بغداد وناحية الاعظمية والكراء أي الأجـرة عن الرجل الواحد عشرة بارات.

معرض حيواني:

وعلى مقربة من باب المعظم شيد المرحوم محمـــد فـــاضل باشـــا الداغستاني داره وللموما أليه ولع شديد بتربية الخيول العربية الأصيلـــة وقد اتخذ لها اصطبلا واسعا أمام داره ووضعها فيـــه وهنـــاك تشـــاهد الخيول من أنسال(الأعبيان) و(الحمداني) و(الكحيلـــة) و(الصقلاويـــة) وغيرها وجمع في الأصطبل بعض الحيوانات منها(السبع) و(الضبـــع) و(النمر) و(الفهد) و(الدب) و(الذئب) و(الثعلـــب) و(حمـــار الوحـــش) و(الإبل) وبعض الطيور منها(النسر) و(الصقر) و(النعامة) و(الطـــاوس) و(البط) على اختلاف أنواعه وجعل للحيوانات مروضـــا رجـــلا مـــن الأرمن اسمه(كوستي) وفي عصر كل يوم خميس يسمح لأهـــل بغـــداد بالتفرج على هذا المعرض الحيواني الوحيد في بغداد.

متنزه الميدان:

وأول محلة تبتدئ من باب المعظم إلى داخل بغداد محلة الميدان ولم يكن الميدان حديثا في بغداد فقد ذكره أبـــو الفـــرج الأصفـــهاني فـــي كتابه(الأغاني) حيث قال :ومن الضراب المحترفين(عمر الميداني) وهو رجل من أهل بغداد يسكن محلة الميدان معروف بها، وفيه يقول (ابـــن

الرقاق) سمعت(أبا حشيشة) و(المستورد) ومن قبلهما من الطنبوريين فما سمعت منهم غناء وأكثر تصرفا من(عمر الميداني)، فيستبان مما قاله الأصفهاني أن محلة الميدان قديمة في بغداد وتضم جملة من الموسيقيين . والميدان في العهد العثماني شارع واحد يمتد من باب المعظم حتى السوق المحاذية إلى جامع الأحمدية جامع الميدان.

وفي الميدان حديقة واسعة غرست سنة ١٣٠٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٩م أيام الوالي سري باشا ووضع وسطها حوض يحتوي على شذروان يقذف الماء بشكل يستهوي الأنظار فبواسطة هذه الحديقة والمقاهي الممتدة على جانب الطريق كان الميدان خير متنزه لأهل بغداد فضلا على انه كان فيه دوائر الحكومة السراي الحالية والقلعة ثكنة المدفعية وكانت معروفة في العهد العباسي وفيها أثر يسمى(القصر العباسي) والذي يلفت النظر إلى باب القلعة تمثالان لأسدين وضعا على يمين الباب وشماله.

طوب أبو خزامة:

ويشاهد أمام باب القلعة مدفع كبير طوله أربعة أمتار وقطر فوهته نصف متر مصنوع من نحاس ويسمى(طوب أبي خزامة) وقد كتب على ظهره مما يلي الفوهة ما نصه: (مما عمل برسم السلطان مرادخان بن السلطان أحمد خان) وعلى مؤخره أيضا ما نصه: (عمل على كتخداى جنود بردركاه عالى سنة ١٠٤٧) أي عمل على الذي هو رئيس الجنود في باب السلطان، والشائع عند السذج من البغداديين والبغداديات

أن (طوب أبو خزامة) كان صاحب معجزات باهرة والمساعد الأكبر لفتح بغداد ونزعها من أيدي الفرس الذين استولوا على بغداد وأضحى بعد ذلك وليا من أولياء الله ومنهم من يزورونه ويتبركون به ويعقدون الخرق بسلسلة من الحديد التي تطوق قاعدته ويشعلون الشموع حوله كل ليلة جمعة وأكثر زواره من النساء والمرأة البغدادية تعتقد انه ولي قلما يخيب زواره.

فالقابلة الجدة تأتي بالمولود في يومه السابع وتدخله في فوهته وتخرجه ثلاث مرات تيمنا وتبركا، ومن عقائد الجدات والقابلات أن كل مولود يولد بعد مرور ثلاثة أيام لولادته تأتي الجدة القابلة وتأخذه وتضع على وجهه قطعة بيضاء من القماش القطني الخفيف وتذهب به أولا إلى الجامع ثم إلى(طوب أبو خزامة) وتدخله في فوهته ثلاث مرات ثم تذهب به إلى الصباغ الذي يصبغ الألبسة فتنقده من الدراهم فيضع الصباغ من جميع ما لديه من الألوان على تلك القطعة القطنية ومن هناك تذهب به إلى محل السجناء وإلى المدبغة التي يدبغ بها الجلود ثم إلى الثكنة العسكرية ثم إلى الجوبة محل بيع الأغنام فتتخطا بين الأغنام المنبثة في الجوبة، وبعد ذلك تعود إلى دار أهله وهي فرحة مسرورة.

ليلة النصف من شعبان:

ومن العوائد المتبعة عند أهل بغداد فانهم يقيمون في ليلة النصف من شهر شعبان في كل عام مهرجانا عاما ويسمونه(المحيا) ويسهرون طول الليل ويتجولون نساءا ورجالا في الطرق، فالرجال يقضون تلك

الليلة بالألعاب النارية وبتفجير المفرقعات وهي تحتوي على(الزنـــابير) جمع زنبور وهي لفائف من الــورق محشـــاة بالبـــارود ونـــوع آخـــر يسمى(طكاك) بالكاف الفارسية وهو من(البوناس) وتتأبط كل واحدة مـــن النساء(دونبك) تضرب به وتغني غناءا خاصا الليلة ومنه:

غمج علي يلنايمه　　　　هي فرد هل ليلة

والعبارة محرفة الصحيح هي(همج علي يلنايمه) والمعنـــــى أيتـــها المرأة النائمة إن كان حصل عندك هم فليكن ذلك علي وتعالي معنا فـــان هذه الليلة ليلة وحيدة.ومن غناء تلك الليلة هو الأغنية المشهورة:

ماجينه ماجينه　　　　حل الجيس وانطينه

وكثيرا ما تقع في تلك الليلة من جراء الألعاب النارية خسائر فـــي النفوس والأرواح والأموال وكلما حاولت الحكومة العثمانية منـــع تلـــك الألعاب النارية لم تفلح ولا زالت هذه العادة باقية إلى يومنا هذا.

ليالي رمضان المبارك:

رمضان شهر مبارك فضلة الله على ســـائر الشـــهور فمـــن أدرك حكمته وأحسن صيامه وقيامه ظفر بخير الدنيا والدين وحـــاز الرضـــا والقبول وخرج منه صحيح البدن نقي النفس منتفعا بحكمة الصيام ولهذا ترى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يحتفلـــون بـــهذا الشـــهر المبارك احتفالات متنوعة تشمل النواحي الدينية والدنيوية وقد ابتدعـــوا بها مأكولات لذيذة ومشروبات طيبة خاصة لا تكاد الموائد تعرفـــها إلا في هذا الشهر المنعوت بالخيرات وفي هذا الشهر ترى النـــاس تتوافـــد

على الجوامع في بغداد لأداء الصلاة المفروضة مع صلاة التراويح وبعد الفراغ من الصلاة منهم من يذهب لزيارة أصدقائه في بيوتهم ومنهم من يذهب إلى المقاهي المنبثة في بغداد يقضون الليل في الألعاب المسلية وأحسن لعبة عندهم في ليالي رمضان هي لعبة الصينية والمحيبس.

الصينية والمحيبس:

للبغداديين ولع شديد بلعبة الصينية والمحيبس تصغير محبس ولعبتها يستغرق وقتا طويلا وقد يكون إلى وقت إطلاق مدفع السحور ومن قواعد اللاعبين بهما مثلا أن أهل محلة الفضل يدعون أهل محلة باب الشيخ وبالعكس فيستقبلونهم بكل حفاوة وتقدير وقد يجوز إفساح المجال للمدعوين التغلب على الداعين في اللعب تقديرا لهم وبانتهائه يقدمون لهم حلويات رمضان ثم يودعونهم بمثل ما استقبلوا به وهذه الألعاب باقية إلى الآن في بغداد ولا تلعب هذه الألعاب إلا في شهر رمضان.

ألعاب القره كوز:

أما الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشرة يذهبون في ليالي رمضان إلى مقهى(عزاوي) في الميدان لمشاهدة العاب(للقره كوز) وهذه الألعاب ليست حديثة العهد في ذلك الزمن فقد

وصفها العلامة(ابن خلكان) بحفلات المولد النبوي على عـهد المظفـر صاحب(أربيل) إذ قال: كان مظفر الدين يعقد لكل طبقة في قباب الزينـة للاحتفال بهذا اليوم المبارك جوق من الأغاني وجوق من أرباب(الخيال) وقد علمنا انه(خيال الظل) وهو تماثيل من الورق يحركونها بخيوط مـن وراء ستار نسيج أبيض يشعلون من ورائه شموعا فترسم صورها علـى الستارة بحركاتها التي تمثل بلسان محركها رواية مضحكة يتخللها أشياء من الهزل والفكاهة، وفي خيال الظل قال الشاعر المناوي:

وجـارية ممشوقة القد أقبلت بحسن كزهر الروض تحت كمام
إذا ما تغنت قلت شكوى صبابة وإن رقصت قلـنا حباب مـدام
ترينا خيال الظل والسـتر دونها فأبدت خيال الشمس خلف غمام
تلاعب بالأشخاص من خلف سترها كمـا لعبت أفعالـها بأنـام

وكانت هذه الألعاب معروفة إلى ما قبل الحرب العالميـة الأولـى، وأعتقد أن بعض أهل بغداد الأحياء يتذكرون(راشد أفندي) وما كان يقوم به من هذه الألعاب، وهل العاب(خيال الظل) هذه كانت مقدمة لاختـراع السينما التي هي اليوم منتشرة في الأنحاء.

أيام الأعياد:

وللأعياد البغدادية صفحات رائعة من صفحات الحياة فهي موضوع الاحترام والإجلال يؤدي الأهلون فيها مـا تفرضـه الشـعائر الدينيـة والمناسبات العامة ويعظمونها ويظهرون فيها شعورهم نحوها ويتخـذون

فيها وسيلة لاظهار البهجة والرضا والتحابب وأهم تلك الأعياد(عيد الفطر) و(عيد الكبير) أي عيد الأضحى وبمناسبة حلول عيد الفطر تشاهد الناس في أيام العشرة الأخيرة من رمضان المبارك والأسواق خاصة بهم لشراء الأقمشة الحريرية والأحذية الجديدة وترى أغلب أهل بغداد مشغولين بعمل أقراص(الكليجة) بالجيم الفارسية وهي خاصة بأهل العراق، وفي صباح يوم العيد يخرج الناس مبكرين من بيوتهم مستصحبين أولادهم الصغار إلى الجامع وكان الآباء يعلمون أولادهم الصغار الصلاة ويحملونهم على أدائها قبل العاشرة من أعمارهم وكذلك النساء يخرجن إلى زيارة قبور أمواتهن وقرائه ما يتيسر من آي الذكر الحكيم والشائع في القراءات في العيد سورة(يسن)، وللأعياد مواقف خاصة للأفراح منها ساحة الشيخ عمر السهروردي وساحة الشيخ معروف الكرخي وساحة الشيخ عبد القادر الكيلاني وتسمى هذه الساحات(فرجة) وتنصب فيها الأراجيح ويقال لها مراجيح ودواليب الهواء لتسلية الصغار من الفتيان والفتيات، وتراهم يمتطون الحمير عند الذهاب إلى إحدى الساحات(الفرجة) وأحسن(فرجة) هي في ساحة الشيخ عمر السهروردي حيث تقام فيها من جهة الباب(الوسطاني) مسابقة خيل شبه (ريسز) وتسمى (منطرد) تقام تحت إشراف المرحوم محمد باشا الداغستاني وكان يعطي جائزة من خالص ماله إلى صاحب الحصان أو الفرس الفائز لقصب السبق وبعد الانتهاء من السباق تدق الطبول والمزامير ويرقصون رقص(الجوبي) ابتهاجا بيوم العيد السعيد وفرحا بهذا السباق.

حفلات المولد النبوي

كثيرا ما كان أهل بغداد يعتنون بإقامة حفلات ليلية تتلـــى خلالـــها تلاوة منقبـــة المولـــد النبـــوي الشـــريف وبـــاصطلاح أهـــل بغـــداد يسمونـها(مولود) كما أن الحكومة كانت تقيم في كل عام من يوم الثـــاني عشر من شهر ربيع الأول بجامع الأمام أبي حنيفة احتفالا بيوم مولـــد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وقد جعل ذلك عطلة رسمية لا زالت إلى الآن وتقوم دائرة الأوقاف بنفقات طبخ الأطعمة وتوزيعـــها على الفقراء كما أنها توزع الدراهم على الأرامل والأيتام ولا تخلو هـذه الحفلات في جميع أدوارها من ضروب الفرح والابتهاج والقارئ يتلـــو المنقبة النبوية المباركة على مسامع الناس وتشرع بطانته بتنزيلة مـــن النغم الذي يأتي به القارئ.

واحسن قارئ يجيد تلاوة المنقبة النبوية هو الشيخ عثمان الموصلي. ولد رحمه الله سنة ١٢٨١هـــ وكان عالما فاضلا وموسيقيا مبدعا ولـــه نباهة وشهرة في استانبول ومصر وسوريا والعراق واليمن والحجـــاز وسائر الأقطار العربية التي ساح فيها وله عدة مؤلفات في الشعر والنثر كما كان وحيد عصره في التجويد وقد كادت تنقـــرض بموتـــه شـــعبة عظيمة من الفنون الجميلة الإسلامية في العراق.

إن هذا الشيخ الضرير قد بلغ من العمر عتيا وبقـــي علـــى ذلـــك أعجوبة الزمن في الذكاء والفطنة وله نوادر عديدة منها انـــه إذا ســـمع

صوت واحد عرف أوصافه من طول وقصر وبياض وسواد وحسن ودمامة وعرف عمره وكم له من السنين ومن تكلم معه فلن ينساه أبدا ولو بعد سنين وله القدح المعلى في الموسيقى وكان يضرب العود ويلعب(الدامة) و(الشطرنج) وهو أعمى وهذه إحدى العجائب وله يد في العلوم الفلكية يتفوق بها على علماء عصره، وكان حسن البداثة لطيف النوادر حاضر البديهة مع شراسة طبع وشدة في الأخلاق وقد نفاه الوالي تقي الدين باشا سنة ١٣٠٤هـ يقابلها سنة ١٨٨٦م إلى سيواس لأنه دعا في حفلة لسلطان العجم على رؤوس الأشهاد وهو عثماني وبعد منفاه ذهب إلى استانبول وقد ذهب أليها مرتين نصب في واحدة معلما للموسيقى في مدارس استانبول وذهب ألي مصر وتعلم القراءات العشر وطبع ديوان(الفاروقي) وأحبه المصريون وذاع أسمه وطبع عدة قصائد مخمسه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ولما عاد إلى بغداد عكف إلى ما كان عليه، وقد كانت بطانته مؤلفة من أناس اشتهروا بإجادة(التنازيل) ويقال لهم(شغالة) وفي طليعتهم المرحوم عبد الرزاق القبانجي والد الأستاذ محمد القبانجي والمرحوم محمد علي خيول والد المغني حسن خيوكة والمرحوم رشيد أبو ندر والمرحومين شهاب وأحمد ولي شعبان والمرحوم محمود الملقب(ابن الطحانة). وظل ملا عثمان يشنف آذان مستمعيه بتنازيله المبدعة ويثلج صدورهم بسيره وأحاديثه إلى عام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠م وأخذ يخطب بالناس في جامع الحيدرخانة ويحثهم على المطالبة بالاستقلال، وفي عام ١٣٤١هـ لبى نداء ربه وقضى نحبه وقد أرخ وفاته الشاعر عبد الرحمن البناء بقصيدة عدد فيها مناقبه ومزاياه الحميدة وهي:

رحلت والصدر بالا يمان مــــلآن　　في ذمة الله شيخ العلم عثمــــان
قضيت نحبا ولم تبلغ منى أمـــل　　في النفس إذ شفها وجـد وأشجان
وغبت عنا وفي الأحشاء نار أسى　　وعن عيون الورى ما غاب إنسان
كنت الوحيد بما أوتيت من سـدد　　فقصرت عنك فـي الآداب أقران
علـى المنابر تدعو أمـة عجزت　　عـن شـرح قصتها شيب وشبان
كأنما القوم قـد ماتــت عواطفهم　　حيث المنابـر بعد اليـوم عيدان
كملت عهد شروط المجد فـي أدب　　جم ولـم يبق في الآداب نقصان
وبعدك المولـد اختلـت قواعـده　　وبات طرف هـداه وهو وسنان
يا من على الدين قد جلت مصيبته　　عليك مولد منشي الديـن حزنان
بغداد بعدك يـــا عثمان شاكـية　　خسرانها وممات العلـم خسران
كـنت المبرز فـي ميدان صنعته　　وللصناعـة والآداب ميـــدان
بـــك المحافــل والتجويد حافلــة　　تصغي إليـك من الأشـهاد آذان
قد عشت تسعين والأفكار منك لها　　أدراك كهـل لـه ديـن وأيمـان
وهبت لله عمــرا مـنك شيعــه　　ذكــر وصــوم وتسبيــح وقرآن
عزم وحـلم وآداب ومـعرفـــة　　ونغمة وأهازيـج والحــــان
آهـل العلوم وأرباب الفنون همو　　صحف وأنت لتلك الصحف عنوان
فقــه ونحو وتأليف ولـمع حجـا　　ونظـم شعر بـه العليـاء تزدان
مدحـت احمد طه المصطفى مدحا　　كأنما أنت يا(عثمان) حســــان
ورحت في حلل الرضوان مندرجا　　نادى لك الفوز في الجنات رضوان
في روضة الخلد قد أمسى نؤرخه　　مع ابن عفاف وسط الورد عثمان
١٣٤١هـ

مجالس الفواتح والتعازي:

للبغداديين عادات خاصة في حياتهم الاجتماعية وتقاليدهم الدينية فقد ظلوا متمسكين بها منذ مئات السنين ولم تزل متغلغلة في أعماق نفوسهم لا يقوى تقادم الزمن على تغيير أهون القواعد منها ومن تلك العـــادات الطيبة إقامة مجالس(الفاتحة) على أرواح الأموات في البيوت وأحيانا في الجوامع لمدة ثلاثة أيام بلياليها يتلى فيها القرآن الكريم من قبل حفـــاظ مجودين وتنحر فيها الذبائح وتطبخ فيها الأطعمة وتوزع على الفقـــراء والمساكين.

وعند أخواتنا الجعفرية مثل تلك المجالس والتعازي فـــي البيـــوت و(الحسينيات) وهي الحسينية مفرد الحسينيات وتشيد تبركا باسم ســـيدنا الحسين الشهيد ابن سيدنا علي بن أبي طالب عليهما السلام وتنشد فيـــها القصائد أثناء إقامة المآتم ولم تفتني المساهمة في هذا الحفل المحزن فقد ساعدني الحظ على نظم عدة قصائد منها قصيدة(ذكـــرى عاشـــوراء) وهي:

أي رزء بكت عليه السمـــاء ... ومصاب قد دام فيه الرثـــاء
ذاك رزء وذاك خطب عظيم ... فقدت ابنها به الزهـــــراء
فقدته بكربلا وهي اليــــوم ... عليـــه حزينة ثكــــــــلاء
جمعوا رأيهم إلى الحرب لما ... لعبت في عقولهم صهبـــاء
واستعانوا بخائنين لئــــــام ... رب قوم خانوا وهم نصراء
قابلوه بأوجه وقلــــــــوب ... شأنها الغدر ملؤها البغضاء

والتقتهم من آل هاشم شوس حين غصت بخيلها الهيجاء
فتية في الوغى بهم كل ليث طلق الوجه واضح وضـــاء
ملئوا واسع الفضا بزئـــيـــر منه دكت لهولها الأرجـــــاء
بذلوا النفس والنفيس بعـــزم فلتلك النفوس روحـــي الفداء
وقضوا واجب الدفاع إلى أن نفذ الحكم فيهــا والقضــــــاء
ظهروا أنجما وغابوا بدورا بينهم طلعة الحسين ذكـــــــاء
ظل ملقى لـــه التراب فراش وصريعــــــا له القتام غطاء
يرمق الطرف ماله من معين غير أطفالـــــــه وهم ضعفاء
وعلى السجاد أضـــحى عليلا ومريضا أعيـــــاه ذاك الداء
إن شر الأفعال فعل طغــــاة بيني المصطفى البشير أساؤوا
ما رعوا ذمة بكشف نقــــاب من نساء قد ضمهن الخبـــاء
نسوة للشام سيقت سبايــــــا ومن العار أن تساق النســـاء
صرخت زينب بصوت وقالت ويلكم هكذا يكون الجـــــزاء
فلماذا منعتم الماء عنـــــــا وأبونا لديه ثم المـــــــاء
لهف نفسي على اسود عريـــن ورجال أعضاءهم أشـــــلاء
لهف نفسي على بنات خـــدور زانهن العفاف بل والحيـــاء
لهف قلبي على خيام تداعـــت حول أستارها أريقت دمـــاء
لهف قلبي على بدور أضاعت ثم غابت فطاب فيها الرثـــاء
بعد رزء الحسين بالله قل لـــي أي رزء بكت عليه السمـــاء

واقدم حسينية في بغداد حسينية آل السيد حيدر في محلـــة الدهانـــة شيدت بعد أن كانت(دواخانة) لهم سنة ١٣٤١هـ وقد أرخ عام بنائـــها السيد صادق الاعرجي بقوله:

ذي جنة طابت مغارسها فلذا روائح طيبها نفحـــت
وحديقة للعلم زاهـــرة للواردين حياضها طفحت
عبد الكريم الطهر أسسها وبما حوته كفه سمحـــت
رام التجارة عند بارئـــه فزكت تجارته بما ربحت
مذ يوم مولد جده كملت نادى المؤرخ جنة فتحت
١٣٤١هـ

وهي إلى الآن تقام فيها التعازي. وأشهر قراء التعـــازي يومـــذاك المرحوم السيد عباس الموســوي والمرحــوم الشــيخ عبــاس قــوزي والمرحوم الشيخ كاظم ســبتي وينعــت علــى الواحــد مــن هــؤلاء بـــ(روضخون).

وفي محلة الشيخ بشار بالكرخ حسينية أخرى وهـــي الـــدار التـــي استولى عليها (البهائيون) البابيون ولكن بنتيجة إقامة الدعوى والمرافعة في المحاكم رجعت إلى أصحابها حيث تبرعوا بها وجعلوها وقفا خيريـا وهي إلى الآن تقام فيها الصلاة والتعازي هذا وأن التعازي تقـــام فـــي العادة المتبعة في شهر رمضان المبارك والأيام العشــرة الأولـــى مـــن المحرم من كل عام وفي يوم العاشر من المحرم تقام حفلة كبرى فـــي صحن الأمام موسى الكاظم عليه السلام تمثل فيها واقعة الطف تســـير

فيها المواكب وبضمنها تماثيل جثث القتلى و(المحامل) جمع محمل فيـها النساء والأطفال تخترق الأسواق والمحاليل وأهل بغداد يعبرون عن ذلك اليوم(الطبك) بالكاف الفارسية وكثيرا ما حاولت الحكومة العثمانية منـع إقامة هذه الحفلات فلم تفلح وفي أيام الوالي مدحت باشا صـدر بيـان نشرته جريدة الزوراء بـالعدد ٤١ الصـادر فـي ٤ المحـرم سـنة ١٢٨٦هـ في منعها واتخذت التجاهر به ازدراء وتشويشا على النـاس وهددت من يقوم بأي عمل مخالف بالعقوبات.

القراء والمقرؤون المجودون

قبل مائة سنة اتخذ الولاة والأمراء وأهل السعة في بغداد قـــراءآت القرآن في بيوتهم إلى نزوح العثمانيين عن بغداد وعلـــى ضـــوء هـــذا الاهتمام نبغ في ذلك الوقت قراء كثيرون.منهم المقري صاحب الصوت الحسن:

الخواجة محمد سعيد:

كان هذا المقرى يقرأ في زاوية(الخضر) المعروفـــة الآن بمســـجد خضر الياس ولحسن صوته وأدائه في القراءة، كـــان المســـجد يغـــص بالمصلين وكان يعلم القرآن في جامع(الازبك) قرب باب المعظم وقـــد تخرج عليه جمع كبير من الحفاظ وبقى يدرس وعليه إقبال عظيم إلـــى أن توفى سنة ١٢٧٥هـ يقابلها سنة ١٨٤١م أيام الوالي علي رضا باشا ودفن في جامع(الازبك) وقبره ظاهر فيه.

الحاج محمد كنبار:

كان شجي الصوت حسن الأداء متقنا وقد تخرج عليه كثيرون مـــن أرباب القراءة وقد أختاره علي رضا باشا الوالي لقراءة القـــرآن فـــي

حرمه أيام رمضان المبارك وتوفى غريقا في نهر ديالى سنة ١٢٧٥هـ يقابلها سنة ١٨٥٨م أيام الوالي السردار عمر باشا.

الحاج أحمد الأفغاني:

كان يدرس علم القرآن وقراءته في الحضرة الكيلانية وتوفي سنة يقابلها سنة ١٨٥٢م أيام الوالي محمد رشيد الكوزلكي ودفن في مقبرة الغزالي.

ملا خليل المظفر:

تخرج على ملا أحمد الأفغاني وعلى الحاج محمد كنبار وكان شجي الصوت متقن الأداء يدرس علم التجويد في جامع حسين باشا وله وظيفة إمام في جامع الشيخ سراج الدين توفي سنة ١٣٠٩هـ يقابلها سنة ١٨٩١م أيام الوالي الحاج حسن باشا ودفن في جامع الشيخ سراج الدين في محلة الصدرية.

الشيخ عبد الرزاق الحلاوية:

كان فقيها حسن الصوت متقن الأداء اجتمع فيه العلم والقراءة توفي سنة ١٢٧٢هـ يقابلها سنة ١٨٥٥م أيام الوالي محمد رشيد الكوزلكي ودفن في مقبرة الغزالي.

الشيخ إسماعيل أمام الباشا:

والمراد بالباشا سليمان باشا الكبير والي بغداد وكان حسن الأداء توفي سنة ١٢٤١هـ أيام الوالي داود باشا ودفن في الاعظمية.

الحاج عيسى روحي:

كان مديرا لمعارف بغداد وكان مدرسا في جامع الحيدر خانة وكان متقنا شجي الصوت توفي سنة ١٣٣٧هـ يقابلها سنة ١٩١٩م بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

السيد جعفر الواعظ:

كان يدرس علوم القرآن والقراءات السبع في جامع(نازندة خاتون) في محلة الحيدرخانة وهو من العلماء الأعلام وقد تخرج على الملا خليل المظفر توفي سنة ١٣٢٠هـ يقابلها ١٩٠٢م أيام الوالي عبد الوهاب باشا.

الشيخ عبد السلام:

كان إماما وخطيبا في جامع الشيخ سراج الدين وكان حافظا للقرآن الكريم وقد تخرج على الملا خليل المظفر وتوفي سنة ١٣٥٥هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

الملا عمر خطاب الخضيري:

تخرج على الملا خليل المظفر وأجازه إجازة عامة في القـــراءات السبع وقد كف بصره أخيرا، توفي سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م أيام الوالي حسين جلال بك ودفن قرب مقام الشيخ عبد القادر الكيلاني باتصال سور بغداد.

الشيخ عثمان الموصلي:

كان هذا الشيخ علامة في علم التجويد وعلم الموسيقى وكان شجي الصوت وقد تولى تدريس علم التجويد والقراءات السبع في جامع الخفافين، توفي سنة ١٣٤١ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

الشيخ حسين الافريدوني:

كان إماما وخطيبا في جامع الحاج فتحي وقد تخرج على الملا خليل المظفر وأجازه إجازة عامة بالقراءات السبع، توفي سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالي جمال باشا.

السيد محمود حموش الموصلي:

كان إماما في جامع مرجان وكان حسن الصوت ومشـــــهورا فـــي الأداء وقد اختاره(البرزنلي) لقراءة القرآن المجيد في داره أيام رمضـــان في كل سنة توفي سنة ١٣٣٥هـــ يقابلها سنة ١٩١٦م أيام الوالي خليــل باشا.

الشيخ عبد الله الوسواسي الموصلي:

كان مدرسا في جامع الخلفاء في بغداد وكان من أرباب القـــراءات السبع والصوت الجميل توفي سنة ١٣٣٧هـــ بعد احتـــلال بغـــداد بيـــد الجيش البريطاني.

الشيخ عبد المجيد ملوكي:

كان مدرسا في جامع الحاج أمين في محلة رأس القريـــــة وإمامـــا وخطيبا في جامع الخاصكي وقد أجيز من قبل الملا خليل المظفر، توفي سنة ١٣٢٠هـــ يقابلها ١٩٠٢م أيام الوالي نامق باشا الصغير.

الشيخ إبراهيم الرومي:

كان حسن الصوت وقد تخرج على الملا خليل المظفر.توفـــي فـــي بغداد سنة ١٣٣٤هـــ يقابلها سنة ١٩١٥م أيام الوالي خليل باشا.

الشيخ محمد أمين الأنصاري:

كان مديرا لمكتب الصنائع وكان شجي الصوت يجيد القراءات السبع وكان يقرأ القرآن في أيام رمضان في ديوان رجب باشا والي بغداد، توفي سنة ١٣٥٧هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

السيد أحمد المشهور بابن(جمانة):

كان حافظا للقرآن الكريم وكان حسن الأداء والترتيل تخرج على الملا خليل المظفر، توفي سنة ١٩٥٤هـ بعد احتلال بغداد.

ملا محمد الحاج فليح:

كان شيخا لقراء الحضرة الكيلانية وكان حافظا للقرآن أبح الصوت حسن الأداء والترتيل تخرج على الملا خليل المظفر، توفي سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي حسين جلال بك.

الحافظ الشيخ عبد الوهاب:

كان شيخا لقراء تكية الخالدية وكان حسن الأداء وهو والد الحاج محمود عبد الوهاب وقد تخرج على الملا خليل المظفر وأجازه

بالقراءات السبع، توفي سنة ١٣٣٩هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

ملا عبد الوهاب الحافظ:

كان حافظا للقرآن حسن الأداء والترتيل وهو والد الزعيم المتقاعد شاكر عبد الوهاب وقد تخرج على الملا خليل المظفر ، توفي سنة ١٣٣٧هـ بعد احتلال بغداد.

ملا علي الدرويش:

كان إماما لجامع آل جميل في محلة قنبر علي، حسن الصوت والأداء تخرج على الشيخ عبد السلام وتوفي سنة ١٣٦٢هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

السيد محمد صالح:

كان خطيبا لجامع قنبر علي وكان حسن الصوت وشجيه متقنا للقراءة والأداء، توفي سنة ١٣٣٩هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

الحاج محيي الدين مكي:

كان إماما لمسجد الشيخ صدر الدين وقد تخرج على المـــلا عمـــر الخضيري والشيخ عبد السلام، توفي سنة ١٣٦٢هـــ بعد احتلال بغـــداد من قبل الجيش البريطاني.

السيد إسماعيل السيد إبراهيم الراوي:

كان حسن الصوت يجيد القراءات السبع وقد تخرج على الشيخ عبد السلام توفي سنة ١٣٤٠هـــ بعد احتـــلال بغـــداد مـــن قبـــل الجيـــش البريطاني.

ملا جاسم الضرير:

هو من أهالي الجانب الغربي (الكرخ) وكان حافظا للقرآن حســـن الصوت والأداء توفي سنة ١٣٦٥هـــ بعد احتلال بغداد، وقد بقي مـــن هذه الطبقة الأخيرة الأستاذان الحاج محمود عبد الوهاب وحافظ مـــهدي وهما اللذان حفظا القرآن والقراءة البغدادية بلهجة خاصـــة مـــع أتقـــان الأداء ومعرفة المقامات العراقية وقد أمتازا على سائر القراء المحدثيـــن في بغداد.

حفلات الأعراس:

كانت بغداد في العهد الذي نؤرخ فيه تقام فيها فعلا حفلات أعـراس في كل حي من أحيائها بمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية لما كـــان للزواج من أهمية كبرى ومنافع شاملة وقبل الشروع بهذه الاحتفـــالات تذهب أم العريس للتحري على بنت تكون عروسا لابنها وبعد التحـــري والسؤال الدقيق عن البنت والتأكد تتم الخطوبة وتحصل على الموافقـــة من الجانبين وتعطي الهدية المعتادة ويقال لها(نيشان) وهي قطعة مـــن الذهب والأغلب تكون(محبس) أي خاتم تحلى به البنت المخطوبة ويــوم أجراء مراسيم العقد(أي المهر)يدعون الأقرباء والأصدقاء ووجوه المحلة للاشتراك فيه وبعد أن يكمل النصاب يتقدم أمام المحلة بأجراء صيغـــة العقد بالاشتراك مع مختاري المحلـــة ثـم تـــوزع علـــى الحـــاضرين أقداح(الشربات) ومناديل السكر وينصرف المدعوون بعد تهنئـــة والـــد العريس بزواج ولده الذي حتمت عليه التقاليد والعادات بعدم حضـــوره في حفلة العقد وقبل زفاف العروس إلى بيت العريس تشاهد جماعة مــن الحمالين يحملون جهاز العرس يتقدمهم وفد العريس ويسمى ذلك(حملـــة) وبعد أيام تزف العروس بموكب من النساء إلى بيت العريس بالـــهتاف والزغاريد(هلاهل) تمشيا على العادات المتبعة.

وفي يوم الخميس ليلة الجمعة يأتي موكب العريس تحفه جماعة من أصدقائه وعارفيه وأبناء محلته تتقدمـــهم(الهوســة الشــعبية) يـــرددون فيها(شايف خير أو مستاهلها) و(زوجناه واخلصنا منه) ويعقب الهوســـة جماعة يحملون عشرات(الفوانيس) جمع فانوس أي مصباح ثم ضـــاربو

الدمام والطبلة ويبدأ هذا الموكب من المسجد(الجامع) الذي أدى العريس فيه صلاة العشاء ويحف العريس(سردوجان) واحد عن يمينه والأخر عن شماله وقد شحذ فوق رأس كل واحد منهم سيف للمحافظة وهكذا حتى يصل الموكب إلى بيت العريس وهناك يودع العريس الذين شاركوه بهذا الاحتفال فيدخل إلى الحياة الجديدة من باب ما دخله من قبل.

حفلات الختان:

كان الوجهاء والمؤسرون في بغداد يومذاك يقيمون حفلات أفراح بمناسبة ختان أولادهم وتسمى(زفة أم سلاح) يتجولون فيها على ظهور الخيل ويشد على الخيل التي يمتطونها الأولاد الذين يختتنون أزهى الحلي من الذهب والفضة وفي اليوم المعين لاقامة الحفلة يجتمع الناس في ساحة باب المعظم أو ساحة(خانلاوند) قبل بنائها ثم يشرعون بالتجوال بالطرق الرئيسية في بغداد وهم على ظهور الخيل معتقلين الرماح والسيوف يتقدمهم(الدمامات) والموسيقى والطبول والمزامير رافعين الأعلام الملونة. وما كان يطيب لهم ألا أن يملأوا أجواء بغداد بالأهازيج الشعبية بأصواتهم المملوءة فرحا وسرورا وبعد تجوالهم يرجعون إلى البيت صاحب الحفلة يهنئونه بختان أولاده ويتناولون طعام الغداء عنده.

لعبة الساس:

ومن متممات أعراسهم وأفراحهم كانوا يقيمون حفلات أخرى نهارية تقام عصر كل يوم لمدة سبعة أيام تجري فيها لعبة شعبية يقال لها(ساس) وهذه اللعبة قديمة عرفت في بغداد من زمن قديم وهي رمز الشجاعة والفروسية. أما كيفية اللعب فبعد أن تجتمع الناس في بيت صاحب العرس أو الختان والطبول تضرب والمزامير تعزف، وأشهر عازف على المزمار يومذاك خضير أبن كصب والد الأستاذ إسماعيل كصب المحرر بجريدة الزمان وعلى صوت ضرب الطبل يبرز رجلان بيد كل واحد منهما سيف مسلول يلعبان به على وقع الطبل مراعيان الوحدة الموسيقية إلى أن يحمي الوطيس وهناك يهجم الواحد على الأخر فيتضاربان بالسيوف ويتقيان الضربات بدرقة بيد كل واحد منهما والدرقة معلومة هي آلة من آلات الحرب القديمة وتسمى جنة وبعد الفراغ من اللعب يتصافحان اللاعبان ويتعانقان لئلا تبقى حزازة بينهما، ومع الأسف المرير أن هذه اللعبة تركت وأهملت بل بادت ولم يبقى لها أثر يذكر في بغداد.

مجالس الأنس والطرب

ما أحلى ليالي الأنس والطرب وأن كانت مقتصرة في بغداد يومذاك على السباحة في نهر دجلة بواسطة القوارب البلام جمع البلم لاسيما إذا كانت الليالي مقمرة والذهاب إلى(الجزرة) الكاويرية وعلى الجلوس في مزارع الباقلاء(باجلة) وأحسن مزارع للباقلاء هي أرض(المميز) وتقـع في طريق الاعظمية وأصبحت الآن دوراً ومـدارس، والجلـوس فـي مزارع الباقلاء خاص بأناس تعودوا أحتساء الخمر بـها أذ تشـاهدهم منبثين بها منتشرين في جوانبها وجلوسهم عصر كل يوم الوقت العشـاء ولا تخلو هـذه المجتمعـات مـن غنـاء المقـام العراقـي وأغلبـه مقام(البهرزاوي) وكثيرا ما كان المغني العراقي أحمد زيدان يجلس مـع أصدقائه في هذه المزارع رافعا عقيرته يغني والناس يستمعون إليه.

المقام العراقي والمغنيين:

المقامات العراقية تقسم إلى خمسة فصول تغنى تباعاً: الفصل الأول يسمى(فصل البيات) والثاني(فصل الحجاز) والثـالث(فصـل الرسـت) والرابع(فصل النوى) والخامس(فصل الحسيني):

أما الفصل الأول وهو(فصل البيات) يتكون من المقامات الآتية:

أولا: (بيات) و(ناري) و(طاهر) و(محمودي) و(سيكاه) و(مخالف) و(حليلاوي).

الفصل الثاني وهو(فصل الحجاز) يتكون من المقامات الآتية:

أولا: (حجاز ديوان) و(قوريات) و(عريبون عجم) و(عريبون عرب) و(إبراهيمي) و(حديدي).

الفصل الثالث وهو(فصل الرست) يتكون من المقامات الآتية:

أولا: (رست) و(منصوري) و(حجاز آجغ) و(جبوري) و(خنابات) و(شرقي).

الفصل الرابع وهو(فصل النوى) يتكون من المقامات الآتية:

أولا: (نوى) و(مسجين) و(عجم) و(صبا) و(راشدي) و(مدمي).

الفصل الخامس وهو(فصل الحسيني) ويتكون من المقامات الآتية:

أولا: (حسيني) و(دشت) و(أرواح) و(أوج) و(حكيمي) و(بنجكاه).

هذه هي المقامات العراقية نثبتها ما عدا(الشعب) و(البردات) التي تدخل ضمن هذه المقامات. وغير مستحسن أن تغنى على غير آلتي(الكمان والسنطور). ولا يغرب عن البال أن كثيراً من المغنين العراقيين اشتهروا بغناء المقامات العراقية أولهم(شلتاغ) و(أبو حميد) وقد نبغ بعدهما المغني(أحمد زيدان) فكان نادرة زمانه.وعاصر المغني أحمد زيدان مغنون كثيرون منهم خليل الملقب(رباز) و(صالح أبو دمير) و(روبيل رجوان) و(رحمن نفطار) (وحسن الشكرجي) و(ساسون زعرور) و(ابن الشيخ الليل)(وشماي) و(حسقيل بيبي) و(سيد جميل) .

الجالغي البغدادي:

يتألف(جالغي) بغداد وهو الجوق الموسيقي البغدادي من فرقتين تحتوي على(الكمان) و(السنطور) و(دف) و(دنبك).

الفرقة الأولى: تشغل ليلا في مقهى(المميز) في رأس الجسر القديم وقوامها كل من(القارئ) أي المغني المرحوم(أحمد زيدان) و(نسيم بصون) عازف على(الكمان) و(شاؤل بصون)عازف على(السنطور) و(حسقيل شاؤل) ضارب على(الدف) و(شاؤل زنكي) ضارب على(الدنبك).

والفرقة الثانية تشتغل عصر كل يوم في مقهى سبع بالميدان وقوامها كل من(القارئ) أي المغني(حسن الشكرجي) مرة و(السيد جميل) مرة أخرى. و(صالح شميل) عازف على(الكمان) و(حوكي بتو) ضارب على(السنطور) و(يوسف حمو) ضارب على(الدف) و(عبودي امعاطو) ضارب على (الدنبك).

وعندما يغني المغني تشاهد الجالسين وعلى رؤوسهم الطير وكلهم آذان صاغية لاستماع ما يلقيه أولئك المغنون الذين حفظوا ألحان الغناء بالروايات والتدريس الشفوي المستمر.

البستات البغدادية القديمة:

ولم تكن المقامات العراقية تغنى يومذاك وحدها في(جالغي بغداد) بل يتخللها أغاني البستات عند نهاية كل مقام الذي يغني، ويأبىالقارئ

أن يغني البسته مع المغنين ومن أشهر تلك الأغاني أغنية(ما دار حسنه ابشمر) و(لابس ضريبي) و(امسلم ولا امفارج هله) و(كمره وربيعه) و(لولا الشعر ينباع) و(يلزارع البزرنكوش) و(حول خيال الشكره) وغيرها ومن الأغاني التركية أغنية(عربي فلاهي) أي فلاحي وأغنية(نريه كدرسن يا بيك) بمعنى أين ذاهب يا بيك وغيرها وهذه الأغاني بادت وكأنها لم تكن.

رشيد القوندرجي:

وبعد ممات اولئك الذين كانوا يشنفون آذان المستمعين بأغانيهم لم يمت المقام العراقي فقد قيض الله له من يعتزون به ويجيدون غناءه ومنهم(رشيد القوندرجي) فقد كان حسن الأداء ومن فطاحل المغنين المشهورين في بغداد الذين شهد لهم المقام العراقي. أخذ رشيد القوندراجي غناء المقام العراقي عن الأستاذ المرحوم أحمد زيدان وقبض على زمام أصوله بيد من حديد فيستطيع أن يسمعك المقام العراقي من الفه إلى يائه بدون تكلف ويشهد له غناؤه المسجل بالاسطوانات الذي نسمعه بين الآونة والأخرى والذي سيبقى خالدا خلود الدهر. توفي في شهر صفر س١٣٦٤هـ يقابلها سنة ١٩٤٥م.

يوسف حوريش:

وعلى ضوء كتابة هذه الأسطر يجب أن لا ننسى المغني(يوسف حوريش) الذي لم يجعل الغناء مهنة له إلا في أيامه الأخيرة وهو مغني مجيد أخذ الغناء عن أحمد زيدان وعن روبيل رجوان وأتقن أداءه حتى أصبح من المغنين المعدودين اشتهر بمقام واحد هو مقام(الخنابات) بعد أن سجله باسطوانة لاقت إقبالا عظيما عند هواة المقام العراقي. ومن سوء حظه لم يرق له المقام في بغداد بل أسقط جنسيته العراقية وذهب مع من ذهب إلى فلسطين وفيه يصح قول القائل:

ما زاد حوريش في الإسلام خردلة   ولا النصارى لهم شغل بحوريش

نجم الشيخلي:

كان مغنيا جهوري الصوت وفي أول أمره انخرط مع زمرة الشغالة في حفلات المنقبة النبوية الشريفة وقد أخذ يصول ويجول فيها مستعينا بصوته حتى اشتهر وبعد احتلال بغداد اعتلى كرسي الغناء في مقهى عزاوي بالميدان فكان الإقبال عليه منقطع النظير وحينما وردت ماكنة تسجيل الأسطوانات على الحاكي إلى بغداد كان في طليعة من دعوا إليها وسجلت له اسطوانات عديدة لا زلنا نسمعها بين الآونة والأخرى.

محمد القبانجي:

لم تعرف بغداد في تاريخها الحديث والقديم مغنيا ومطربا كالمطرب الأستاذ محمد القبانجي، لقد حفلت سيرته بأعاجيب فنية وامتلأت حياته بمواقف موسيقية ملأ صداها ألا ندية فارتفع بها إلى مستوى فن المقام العراقي.

كان الأستاذ القبانجي هبة من مواهب الفن وفرحة من فرحات الموسيقى الشرقية.

لم يأخذ الأستاذ القبانجي الغناء العراقي عن أحد(كما قيل) بل استولى عليه بفطرته الغنائية وذكائه العراقي فكان مطربا بارعا ومغنيا فصيحا سمعته لأول مرة فقلت له: أشهد انك خاتم المغنين يا محمد.

نبذة وجيزة عن مقام البهرزاوي:

إن كل عراقي أو بغدادي يشعر بلذة الغناء يستطيع أن يغني شيئا من المقام البهرزاوي، وبهذه المناسبة أذكر نبذة وجيزة عن تاريخ هذا المقام الذي تضاربت فيه الآراء وتكاثرت فيه الأقاويل فمن قائل يقول إنه غناء دخيل أي جاء من بلد آخر، وآخر يقول إنه فارسي الأصل، وأنا على يقين لو أن الذين تقولوا فيه فكروا جيدا لعلموا انه مقام عراقي عريق بطابعه ونبرته بهرزاوي بوضعه. وأقرب دليل على ذلك انه لا يغنى فيه شعر فصيح عربيا كان أو فارسيا أو تركيا وإنما يغنى به(الموال) العربي أي(زهيري) بتعبير البغداديين والموال من وضع

العراقيين بلا تنازع بشهادة الشيخ شهاب صاحب كتاب(السفينة) حيث قال: أول من نطق بالموال أهل(واسط) وواسط(الحي) مدينة عراقية بناها الحجاج بن يوسف الثقفي بالبطيحة سنة ٨٣هـ وفرغ منها سنة ٨٦هـ.

أما كيفية وجود هذا المقام وتسميته(بهرزاوي) هي إن في قرية بهرز جماعة من هواة المقام العراقي كانوا يجتمعون في بيت رجل أسمه(صالح القدري) وهذا البيت من البيوت القديمة في تلك القرية وقد اتخذ ندوة سمر لأولئك الهواة وفي ذات ليلة اجتمعوا فيه كعادتهم واخذوا يتحدثون عن المقام العراقي كما هو شأنهم حتى انتهى بهم الحديث إلى المقام(الإبراهيمي) المشهور هل هو من وضع المغني إبراهيم الموصلي أو وضع إبراهيم بن المهدي الخليفة العباسي فاختلفوا فيه فشرع أحدهم بغنائه والجماعة يصغون إليه بكل جارحة من جوارحهم وطبعا أن مقام(الإبراهيمي) هو من نغم(البيات) كما هو مثبوت في كتابي المسمى(نيل المرام في قاموس الأنغام) المعد للطبع وحينما توغل به المغني إذا بالمستمعين يسمعون غير مقام(الإبراهيمي) المألوف عندهم فاعترتهم الدهشة وطربوا له وقالوا هذا مقام جديد ما سمعناه من قبل ولما سألوا المغني عنه قال لا أعلم(هكذا طلع معي) واتفقوا على أن يكون ما غناه المغني مقام جديد وطالما هو من نفس نغم(الإبراهيمي)(البيات) يجب أن يطلق عليه أسم(بهرزاوي) نسبة إلى واضعه الذي هو من قرية بهرز.

ولقد كانت حكاية المقام(الحويزاوي) قبله وهي أن أحد المغنين من أهل الحويزة أراد أن يغني مقام(المثنوي) المشهور ولما غناه طلع عنده

غيره فسمي ذلك المقام(حويزاوي) نسبة إلى الحويزة، والمثنوي مقام لـه شهرة واسعة في جميع الأقطار العربية والفارسية والتركية.

ومن النادر أن يوجد مغني عراقي في بغداد يغني مقام(المثنـــوي) تماما! وكان المغني أحمد زيدان مع شهرته الفائقة بغناء المقام العراقـي يذهب إلى الميدان ويجلس في(جايخانة) صغيرة لرجل اسمه(أمين دأبي) يسمع منه غناء مقام(المثنوي) وحينما يسمعه يهز رأســه دلالـة علـى إعجابه به وأحيانا يبكي لحسن الأداء وعذوبة الصوت.

ولنعد إلى مقام(البهرزاوي) وقد كان تسلية لكل بغدادي ولذلك تـرى جماعة من البغداديين يجيدون غناءه إجادة تامة ومنهم:

مجيد كركر:

مهنته قهواني ومقهاه يقع في محلة الفضل وهذا المقهى كان نـــدوة فن يختلف إليه عشاق المقام العراقي يترأسهم المغني أحمد زيدان وكثيرا ما كان يخاطب مجيد كركر: أنك وإن لم تغن جميع المقامات العراقيـــة فمقام البهرزاوي يغنيك عنها، وبعد وفاة المرحوم أحمد زيـــدان سـنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٩٠٢م آلى مجيد كركر على نفسه أن لايغنـــي طول حياته ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى أخذ جنديا وذهــب مــع الجيش العثماني إلى جهة(أرضروم) ولم يعد إلى بغداد.

حسون مصطاف:

هو والد المغني عبد القادر حسون كان مغنيا فحلا حسن الصوت قوي الحنجرة وكان ملازما لاحمد زيدان لاينفك عنه ليلا ونهارا حتى أتقن الغناء فصار من المغنين الذين يشار إليهم بالبنان ولم يمتهن الغناء طول حياته، وإذا ما دعي أحمد زيدان إلى حفلة عرس يستصحبه وعندما يطلب من أحمد زيدان غناء مقام(البهرزاوي) جريا على العادة يفسح المجال إلى حسون لغنائه ويقول إلى من طلبه(حسون يغنيه أحسن مني) وناهيك في المباريات التي كانت تجري في مقهى مجيد كركر كان حسون أول الفائزين.

الحاج سبع القصاب:

هو من محلة المهدية ببغداد ومهنته(جزار) قصاب وكان شجي الصوت أعذبه وكان يجيد غناء المقام(البهرزاوي) وإذا أراد أن يغنيه يجلس في مقهى (حمدي النهر) في سوق الفضل تجاه النافذة المطلة على ساحة جامع الفضل وبعد أن تتم صلاة العشاء يشرع بالغناء وكان المرحوم العلامة عبد الوهاب النائب يجلس في الجامع بعد الصلاة يسمع غناءه و هو معجب به غاية الإعجاب.

أحمد ملا علي:

له ولع بالغناء العراقي ويجيد غناء المقام(البهرزاوي) وهذا الرجل من بيت جاه ونعمة في قرية(الهويدر) التابعة إلى مدينة بعقوبة.

أتصل أحمد ملا علي بالمغنين البغداديين وأخذ الغناء عنهم ويدعي أنه أخذ المقام (البهرزاوي) عن المغني الشهير (خليل رباز) وإذا غناه لا يغادر كبيرة ولاصغيرة من(شعبه ومياناته) إلا ويأتي بها.

السيد شاكر البناء:

كان السيد شاكر البناء مغنيا شجي الصوت أخذ الغناء عن المغني الشهير الحاج محمود البصري في مدينة البصرة وأصبح من المغنين المبرزين ولم يحترف مهنة الغناء إلا في أواخر أيامه بعد أن كف بصره.

وكان يجيد غناء المقام البهرزاوي وكثيرا ما كان يغنيه في محطة الإذاعة ببغداد ويبكي.

البستات العراقية الحديثة:

لقد ظهرت أغان عديدة في بغداد وكانت لا تظهر إلا بالمناسبات ومنها في سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة١٩١٨ م ظهرت في مدينة الموصل أغنية(علروزنه) ولرقة نغمها وحسن معانيها التي لا تخلو من

عواطف الحب انتشرت في بغداد انتشارا عظيما ومناسبتها أن فتاة في الموصل كانت مخطوبة لاحد أقربائها وكانا يتبادلان الحب النزيه ويتحادثان بواسطة كوة صغيرة في الجدار الذي يفصل بين داريهما، وأهل الموصل يعبرون عن الكوة باسم(روزنه) وأهل بغداد(رازونه)، ولما علمت أم الفتاة أن أبنتها تتحادث مع خطيبها بواسطة تلك الكوة أغلقتها منعا للاتصال بينهما قبل عقد الزواج ولم تكتف الام بهذا العمل بل قالت ((علروزنه الروزنه كل البلابيها) وعلى الفور أجباتها ابنتها: (واشعملت كمتي سدتيها) وبهذه الكلمات أصبحت أغنية. ومثال تلك المناسبات أن بعض من تعود على احتساء الخمر الجلوس في الحانات أي(المايخانات) لأن بغداد لم يكن فيها يومذاك فنادق وبارات كما هي اليوم وهذه(المايخانات) عبارة عن مواخير مظلمة لا يدخلها شمس ولا هواء ولهذه الحالة التعيسة قال بعض الجالسين لرفقائه وهو ثمل(سكران) اسمعوا يا جماعة:

فتح ورد الباجله عيشة كدر وامذله

ومعنى كلامه أن وقت الربيع قد حل وورد الباقلاء قد تفتح قوموا بنا لنذهب إلى هناك يريد بذلك مزارع الباقلاء فهذه المناسبة كانت هذه الأغنية .

ومناسبة أخرى: إن شابا من أهل بغداد كان يذهب مع بعض أقاربه إلى الجزرة(الكاوورية) والجزرة تظهر في نهر دجلة بعد انخفاض الماء في الصيف وكان ذهاب الشاب إلى الجزرة بعلم من صديق له وكثيرا ما كان صديقه يطلب منه أن يرافقه والشاب لا يقبل فقال له صديقه يوما وهو يلاطفه:

يعجبني نزله اوياك للكاوورية   تعطش وشربك ماي بجفوف ايديه

والمعنى ظاهرة فأصبح هذا أغنية والناس يغنون بها.

ومناسبة أخرى: إن فتاة زوجها أهلها بمن لا تهواه وكان صداقـــها بالعملة التركية(نوط) ورق في وقت كان هذا(النوط) في غاية التدهـــور وكانت الليرة الورق يومذاك تساوي ربع دينار، فقالت الفتاة:

أنـــا المسجينة أنـــا   أنـــا المظيليمة أنـــا!

أنـــا الباعوني هلـــي   بالنوط والوعده سنة

أما الوعدة سنة فقد كتب على النوط التركي بعد مرور ســـنة مـــن انتهاء الحرب يعطى بدله ليرة ذهب!

ومناسبة أخرى: أن فتاة زوجها أهلها دون رغبتها ولحسن حظها لم يمض على زواجها مدة من الزمن حتى توفي زوجها وبعد وفاته بمـــدة أعاد أهلها عليها الكرة وأرادوا زواجها مرة أخرى طمعا في صداقـــها وكلما حاولوا إقناعها فلم يفلحوا وأخيرا وسطوا أحد السادة من أقربائـــهم لاقناعها وقد خابت وساطته رغما عن نصائحه وإرشاداته وبعـــد هـــذا ظهرت أغنية:

صادوني وانحليت ما بعد أوالف   حجي الحجينه اوياي كله سوالف

مظلومة يسيد آني مظلومة يمظلومه

ومناسبة أخرى: إن فتاة كانت مخطوبة لابن عمها وكانا يتبـــادلان الحب وقد تعود ابن عمها عبور نهر دجلة والذهاب لمقابلتها وصـــادف أن فاض نهر دجلة كعادته في كل عام وانقطع الجسر وقد تعذر عليـــه عبور نهر دجلة بواسطة(القفف) جمع قفة ودام ذلـــك الفيضـــان أيـــام فخرجت الفتاة تشاهد النهر والفيضان على أشده فقالت:

ميك لحدر الساك يا شط عسنك   محرمني شوف اهواي يلكلها منك

والمعنى: أن الفتاة حينما شاهدت النهر وأمواجه تتلاطـــم أخـــذت تدعي عليه على أن يكون ماؤه منخفضا إلى الكعبين.

ومناسبة أخرى: في أول إعلان الحرب العالمية الأولى أن جنديـــا جاء ليودع أهله ليلتحق بالجيش المحارب فخاطبته ابنته وقالت:

يمسافر الله وياك اوكف دحاجيك   خاف الفراك يطول ما بعد الاجيك

يا بابه خذنـــي اويـــــاك   مـــكـــدر علـــى فركـــــــاك

تواعدني جاوين الكـــاك   روحي العز يزه تفـــــــــداك

فصار كلامها أغنية وهكذا كانت تظهر الأغاني ولا تتلاشى الأغنية حتى تظهر غيرها.

أغاني اليهود:

ولليهود في بغداد أغاني خاصة تغنى في حفلات أفراحهم ويغنيـــها جماعة من النساء على آلة(الدف) و(الدنبك) و(النقارة) وهكـــذا الجـــوق يسمى(الدقاقات).

وكثيرا ما كنا نسمعها في بعض الليالي ومنها:

عفاكي عفاكي على فنـــد العملتينو

أنا اتعبتو أنا اشقيتو على الحاضر أخذتينو

وأشهر مغنية ودقاقة امرأة أسمها(مسعودة البمبيليـــة) نســبة إلـــى مدينة(بمبي).

ميدان العبيد:

الشائع عن ناظم باشا والي بغداد انه كان يتجول في بغداد وأطرافها وفي ذات يوم أثناء تجواله في الجهة الشرقية في محلة الفضل شاهد على البعد علما قائما في وسط ساحة كبيرة مسورة ببناء من طين(طوف) جمع طوفة وهذا هو البناء الذي كانت تقيمه الطبقة الفقيرة في بغداد يومذاك، وهذا العلم كان أحمر اللون تتوسطه نجمة وهلال من لون أبيض لا يختلف عن علم الدولة العثمانية وتساءل ناظم باشا عن وجود هذا العلم في الساحة النائية عن عمارات بغداد فأجابه مرافقه هذا(ميدان العبيد) فاغتاظ الوالي وأمر بإنزال هذا العلم ومن ذلك الوقت لم تقم له قائمة ولم يستعض غيره. وإيضاحا لما نحن بصدده يجب أن يعرف القارئ من هم(العبيد) وما هو ميدانهم؟ أما العبيد هم الزنوج ويقال لهم(نوبيون) وان أجدادهم نقلوا إلى الجزيرة العربية وبيعوا بسوق النخاسة وانتشروا في أنحاء بغداد ويسكن بعضهم بغداد في الجهة الشرقية في محلة الفضل، ومن عقائد هؤلاء الزنوج التي يتمسكون بها أنهم ينقادون إلى رؤسائهم وآخر رئيس لهم عرفته هو الشيخ(مبروك) الذي كان يكنى أبا غريب.

أما(ميدان العبيد) هو الذي يؤدي فيه أولئك الزنوج شعائرهم وطقوسهم الدينية وهذه المراسيم لاتجري في البيوت وإنما تجري في الساحات ومن هذه جاءت تسمية(ميدان العبيد)، وكيفية تلك المراسيم أنها تقام في ليالي الجمع تمشيا على عاداتهم، والفرقة الموسيقية التي تشترك في المراسيم مؤلفة من عازف على(الطنبور) وتسمى

باصطلاحهم(طنبورة) وضاربين على الطبـول وهـي الطبـول غـير المعروفة عندنا وقبل البدء بالعزف والرقص يقرأون سـورة(الفاتحـة) تبركا بها ثم يتقدم الزنوج والزنجيات ويدخلون الحلقة المعدة للرقـص وينشدون أولا أنشودة(التوبة) على نغم الطنبور وهي: (يـا الله يـا الله ياربي توبة) ويستمرون بترداد هذه الأنشودة حتى يبلغ الحماس أشده ثـم يبرز زنجي يرتدي ملابس خاصة وقد ربط بوسطه قطعة جلـد معلـق بها(أظلاف) مواشي كالغنم والماعز يسمى(حبوب) ويقف بوسط الحلقـة متكئا على عصا ويبدأ بالرقص فيهتز ويرتجف فتحدث تلك(الأظـلاف) خشخشة، ويشترك معه في الرقص جماعة مـن الزنـوج والزنجيـات ويتحركون كما يتحرك وتشتد أقدامهم في الضرب علـى الأرض مـع اهتزاز أجسـامهم ويميلـون إلـى الخلـف والأمـام ويسـمى هـذا الرقص(هنكيمة) ويشتد الرقص حتى يبلغ ذروته فينهار رجل أو رجلان ويسحبان من داخل الحلقة إلى خارجها يرتعشان ولم تهدأ حالتهم مـالم يكف العازفون عن العزف وبعد أن تهدأ حالة هؤلاء يرددون جميعـهم بينهم وبين أنفسهم: الحمد لله ثلاث مرات.

الملاهي وأثرها:

ومن حسنات ذلك العهد الغابر أن لا يوجد فيه للسفور أثر فـالبنت التي عمرها عشر سنين لاتخرج من بيتها بدون عباءتين و(بوشي) برقع حرير أسود يغطى به الوجه، ومن النادر أن تشاهد امرأة تخـرج إلـى السوق لشراء الحاجيات الغذائية حتى أن الملهى لا يوجد فيه نساء يغنين

ويرقصن بل كنا نشاهد غلمانا يرتدون أردية نسائية ويتشبهون بهن على المسرح والمسرح يسمونه أهل بغداد(شانو) والملهى الوحيد هو ملـــهى سبع في الميدان.

مقتل نعيم:

وأذكر أن حادثة مؤلمة وقعت في ملهى سبع سنة ١٣٢٥ هـ يقابلها سنة ١٩٠٧م وفحواها أن رجلا يهوديا أسمه(سليم) قـد خـدع غلامـا مسيحيا أسمه(نعيم) وكان الغلام في غاية الحسن والجمال أتى به إلـى بغداد ليشتغل في الملهى وفي كل ليلة يتهافت الناس على الملهى للتمتـع بذلك الجمال الباهر فأحبه بعض أهل بغداد وأراد به المنكر فأبت نفـس الغلام الزكية وكثيرا ما كان يغريه بالمال ويسترضيه بالوعود الخلابـة فلم يفلح فجاءه ليلا وهو(سكران) والملهى يضم المئات من الناس وأطلق عليه الرصاص فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض مخضبا بدمائـه فحمل إلى مستشفى الغرباء وهناك ظل ملقى على فراش الألم الممـض يعاني البؤس الذي أحاط به حتى قضـى نحبـه، وقـد أرخ المرحـوم معروف الرصافي عام وفاة ذلك القتيـل بقصيـدة عنوانـها: (اليتيـم المخدوع) وهي:-

قضى والليل معتكر بهيـم ... ولا أهل لديه ولاحميـم
قضى في غير موطنه قتيـلا ... تمج دم الحياة به الكلـوم
قضى من غير باكية وبـاك ... ومن يبكي إذا قتل اليتيـم
قضى غض الشبيبة وهو عف ... مطهرة مآزره كريـم

سقاه من الردى كأسا دهـــاقا　　عفاف النفس والعرض السليـم
تجرعها على طرب ولكــــن　　بكــف اليتم ليس له نديــــم
على حين الربابة في نـــواح　　يساجلها بها العود الرخيـــم
بحيث رقائق الألحان كانـــت　　بها الأجفان طافية تعـــــوم
كأن ترنم الأوتار نعــــــي　　وصمت السامعين بها وجـــوم
فجاء الموت ملتفعا بـــخزي　　وملء إهابه سفه ولـــــوم
وأطلق من مسدسه رصاصـا　　به في الرمي تختـرق الجسـوم
فخر إلى الجبين به (نعيـــم)　　كما أنقضت مـن الشهب الرجوم
فبات مودعا بعد ارتئـــاب　　حياة لا تناط بهـا الرســـوم
لئن لم تبك من أسف عليــه　　سفاهتنا فقد بكـت الحلـــوم
ولو درت النجوم له مصـــابا　　بكته على ترفعها النجـــوم
عســى الشهباء تثأره فتبـــدي　　إلى الزوراء ما يبدي الخصـيم
فلم يقتلــه إبراهيـــم فيمـــا　　أرى بل أن قاتلـه سليــــم
أليس سليم المــلعون أغـــوى　　نعيمــا فهو شيطان رجيـــم
وأخرجه من الـشهباء غـــرا　　يتيمــا ما له أبدا زعيـــم
وجاء بـــه إلى بغـــداد حتـى　　تخرمـــه به قتل أليــــم
سأبكيــه ولـم أعبـأ بـــلاح　　وأندبـــه وإن سخط العمــــوم
ولمــــا أن ثـوى نــاديت أرخ　　ثوى قتلا بلا مهـل نعيــــم

الراقصات في بغداد:

وعندما بزغت شمس الحرية سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م صارت بغداد تمرح في عهد جديد من الأنس والطرب وفسح المجال للراقصات أن يدخلن إلى بغداد وأول راقصة حلت ببغداد(رحلو) الملقبة(جرادة) جاءت من مدينة حلب وعند وصولها إلى بغداد وقع الناس في سورة من العجب لهذا الشيء الذي ما كانت تألفه بغداد من قبل وتهافت الناس على المرقص(الملهى) تهافتا يخشى منه على فساد الأخلاق فضلا على ابتزاز ثروة الآهلين وأخذت الجرائد تنقد هذه الحالة فلم يكن هناك من سامع أو ملتفت وللشاعر معروف الرصافي مقطوعة نظمها بعد أن شاهد هذه الحالة وكانت بعنوان(بغداد بعد الدستور) وهي:-

أرى بغداد تسبح في الملاهي ... وتعبث في الأوامر والنواهي
رمت حملانها الأرياف حتى ... تناطحت الكباش مع الشياه
فيا بغداد أن الأمر جد ... فحلي بعض هزلك في الملاهي
جميع الناس قد نفضت كراها ... وأبدت للعلى نظر انتباهي
وفيك معاهد الدستور تشقى ... بغفلة غافل أو سهو ساهي

وظلت بغداد تسبح في هذه الموبقات وأعقبت الراقصة رحلو(جرادة) جماعة من الراقصات أذكر منهن(طيرة المصرية) و(فريدة استيتيه) و(حسنى دنسكور) و(فريدة العراطة) و(بهية الانطاكية) و(شفيقة الشامية) و(طيرة بنت الخائم) و(ملكة المصرية) و(فيروز أرمني) و(زكيه السدية) وبنات حارة(ثريا وماري ورحلو)

و(بهية سميكة) و(سمحة العوادة) و(ثريا الجمـــل) و(جميلـــة خاتونـــة) و(حسنى الشامية) و(نحلية شحادة) و(نحلية فوزي) وبنات لاطي(خـــانم وبديعة وشفيقة) و(زكيه زلط) و(سرينة) و(ملكة) و(عيشـــة إبراهيـــم) و(التركية ألن) و(ماري الرومية) و(ماريكة دميتري) و(حسيبة مكنـــو) و(منيرة المصرية) وغيرها. وظلت هذه الراقصات ضاربـــة كـــابوس إغوائها على السذج من أبناء بغداد إلى أن فرغت الجيـــوب وتفســـخت الأخلاق من جراء إغوائهن والرقص الخليع الـــذي يســـتهوي القلـــوب ويستفز الأفئدة، والبغدادي الذي ما تعود على مشـــاهدة هـــذا الأغـــراء والنساء العاريات واقفات على خشبة المسرح منهمكات فـــي الاهـــتزاز والرجرجات لابد أن يقع في سورة من العجب ويحسب هذا فنا جديـــدا أبدعته حرية العثمانيين وناهيك عن الأغاني التي جئن بها والتي هـــي بعيدة كل البعد عن الذوق البغدادي.ومن تلكم الأغاني: أغنية(حنا يا حنـــا يا عطر الندا) و(يا طيرة طيري يا حمامة انزلي) و(طلعت يـــا محـــلا نورها شمس الشموسة) و(وعلى البيبة والبيبة خده رز ابحليبـــة) و(يـــا نخلة بالعلا لي كل أثنين شبكو سوا) و(ويلي واويلي سمســـــمه أكلـــي وشربي سمسمه) و(يامنتسه يامنتسه يـــم اعيـــون الناعســـة) و(يلطـــير الأخضر تسبح بالمية) و(بنت الجلبية اعيونـــك لوزيـــه) و(يـــاميمتي آه يايمة) و(قدك المياس يا عمري) و(زوروني بالسنة مرة حرام) و(يلنايمة على غصون يا عيني) و(يا غزالي كيف عني ابعدوك) و(علزينو زينـــو أسمر وامكحلة عينو) و(آه يا اسمر اللون حياتي الاسمراني) و(مرمـــر زماني يا زماني مرمر) و(على دلعونة على دلعونة) و(علي يـــا علـــي بياع الزيت) و(زوالف يابوزلوف عيني زلوفية) و(يا محلا الفسحة).

وكل هذه الأغاني لم تلق رواجا لدي البغدادي مثل أغانيه التي تعود على سماعها بشوق وتلهف وهو لا يزال يذكرها بشوق شديد، وبعد أن شعر أصحاب الملاهي أن أهل بغداد سئموا ذلك الرقص الخليع وتلك الأغاني الرخيصة وأن سير الملاهي أخذ بالتقهقر الشنيع مما يؤدي إلى الخسارة المادية فضموا إلى جوق الرقص جوق تمثيلي هزلي مؤلف من عدة أشخاص يقيمون بدوره آخر الليل ويسمى هذا الجوق(إخباري).

وان مثل هذا الجوق التمثيلي وسيلة من وسائل تهديم الأخلاق إذ لا ينفك ممثلوه من إرسال الألفاظ البذيئة والحركات القبيحة دون أن يشعروا ما قاموا به على مشهد من الجمهور المتفرج، ولم يكن هذا الأخباري حديث العهد آنذاك فهو على غرار الفصول الهزلية التي كان يقوم بها الهزلي البغدادي المشهور(ابن الحجامة) وزميله الفكه(منصور) غير أنه منظم بملابس مزركشة فضلا عن إظهار الخناجر والسيوف ومشاركة النساء في هذا العرض والبغدادي المرح بطبيعته يطرب لكل شيء ينعش خاطره ولذلك تشاهد الناس يلتفون حول رقص القرد في الطرق وهم فرحون مسرورون لما يأتي به القرد من الحركات المضحكة، والقرد يسمى باصطلاح أهل بغداد(شادي) وهذا الاسم ليس اسم القرد وإنما صفة لصاحب القرد لانه يشدو والقرد يرقص على شدوه.

السجون في بغداد

للحكومة العثمانية ثلاثة سجون ببغداد،الأول يسمى:

حبس ألاوردي:

ومقره في(قشلة البيادة) أي ثكنة المشاة وبمحله اليوم مديرية طابو بغداد الرصافة.

وكان الشروع في بناية هذه القشلة سنة ١٢٧٨هـ يقابلها ١٨٦١م أيام الوالي نامق باشا الكبير وفي عهده لم يكمل بناؤها وقد أكمله الوالي مدحت باشا وأقام في ساحتها ساعة كبيرة وهي إلى الآن موجودة غير أن قمتها قد تبدلت والغرض من وجود هذه الساعة في القشلة هو أيقاظ الجنود إلى أوقات التدريب العسكري، وهذا السجن يضم الجنود الذين يفرون من الجندية وبضمنهم الذين يرتكبون الجرائم وهم تحت السلاح.

أما سبب تسميته(بحبس الاوردي) نسبة إلى آلتجن أوردي أي الفيلق السادس للحكومة العثمانية وللحكومة العثمانية إذ ذاك سبع اورديات الأول(أستانبول) والثاني(ادرنة) والثالث(سلانيك) وهي المدينة التي اتخذت مقرا للسلطان عبد الحميد بعد خلعه من عرش السلطة العثمانية والرابع(الشام) والخامس(ارضروم) والسادس(بغداد) والسابع(اليمن). والذي يشرف على هذا الحبس(مركز قومنداني) أي آمر انضباط وقد تولى هذا المنصب أتراك وعرب وأعرف منهم (زكي بك) العزاوي

و(محمود سامي بك) و(عبد الجبار بك) وأخرهم(محمود بك) الذي أمر أن يكتب على باب(إلا كمكخانة) أي مخبز الجيش الحالي الآية الشويفة قوله تعالى(إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وقد غضب قائد الجيش بعد الاطلاع عليها وأمر بسوقه إلى جبهة الحرب ورفع هذه الآية الكريمة عن الباب.

و(لمركز قومنداني) معاونون عرب وأتراك منهم(محرم) أفندي و(يونس) أفندي و(ججان) و(نوزاد) وهو تركي شرس الأخلاق سيئ الطباع وأعرف المرحوم الحاج(رشيد) الشبلاوي والد الأستاذ حقي الشبلي كان برتبة(قانون ضابطي) أي ضابط الانضباط والحاج(جاسم) البياتي برتبة(قانون جاوشي) أي عريف انضباط وهؤلاء مقرهم في (قشلة البيادة) أي ثكنة المشاة.

حبس القلعة:

وبعد سجن الاوردي يأتي سجن القلعة ويضم هذا السجن المجرمين الأهليين الذين يحكم عليهم بمدد مختلفة من الثمان سنين إلى العشرين سنة، وسجناء القلعة أكثرهم يزاولون مهنة خياطة(العبي) جمع عباية وهي من متممات الأزياء العراقية كما نوهنا عنها وكان مديرا لهذا السجن رجل تركي.

حبس السراي:

ويأتي بعد سجن القلعة سجن السراي مديره(محمد أفندي) المشهور(ابن كردة) وهو والد السيد مصطفى الموظف بدائرة الري ببغداد، ومحل السجن اليوم وزارة الداخلية ويضم هذا السجن من يحكم عليهم من الشهر إلى ما فوق، وهذه السجون الثلاث ليست كالسجون التي عندنا اليوم فالحكومة العثمانية لاتعطي للسجين أكثر من ثلاث صمونات يوميا وقد أثارت هذه الحالة في السجون نفسية الشاعر معروف الرصافي وما كان يعانيه السجناء فنظم قصيدة بعنوان(السجن في بغداد) وهي:-

سكنا ولم نسكن حراك التبدد مواطن فيها اليوم أيمن من غد
عفى رسم معنى العز فيها كما عفت (لخولة أطلال برقة ثهمد)
بلاد أناخ الذل فيها بكلكل على كل مفتول السابلين أصيد
معاهد فيها ضل سابق عزها فهل هو من بعد الضلالة مهتد
أحاطت بها الأرزاء من كل جانب إلى أن محتها معهدا بعد معهد
وحلق في آفاقها الجور بازيا مطلا عليها صامتا بالتهدد
وينقض أحيانا عليها فتارة يروح وفي بعض الأحايين يغتدي
فيخطف أشلاءا من القوم حية ولم يقد المقتول فيها ولم يد
ويرمي بها في قعر أظلم موحش بها أين تسقط جذوة الروح تخمد
هو السجن ما أدراك ما السجن انه جلاد المنايا في مضيق التجلد
بناء محيط بالتعاسة والشقا لظلم بريء أو عقوبة معتد
زر السجن في بغداد زورة راحم لتشهد للانكاد أفجع مشهد

محل به تهفو القلوب من الأسى فان زرته فاربط على القلب باليـد
مربع سور قد أحاط بمثلـــــــه محيط بأعلى منه شيد بقرمـــــد
وقد وصلوا مابين ثان وثالــــــث بمعقود سقف بالصخور مشيـــد
وفي ثالث الأسوار تشجيك ساحــة تمور بتيار من الخسف مزيــــد
وفي وسط السور الشمالي تنتهـي إليها بمسدود الرتاجين موصـــد
هي الساحة النكراء فيها تلاعبـت مخاريق ضيم تخلط الجد بالـــدد
ثلاثون مترا في جدار يحيطهـــا بسمك زها بالعشر في الجو مصعد
تواصلت الأحزان في جنباتهـــا بحيث متى يبلى الأسى يتجـــدد
تصعد من جوف المراحيض فوقها بخار إذا تمرر به الريح تفســد
هناك يود المرء لو قاء نفســـه وأطلقها من أسر عيش منكـــد
فقف وسطها وأنظر حواليك دائرا إلى حجر قامت على كل مقعـــد
مقابر بالأحياء غصت لحودهـــا بخمس مئين أنفس أو بازيـــد
وقد عميت منها النوافذ والكـوى فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
تظن إذا صدر النهار دخلتهـــا كأنك في قطع من الليل أســـود
فلو كان للعباد فيها إقامــــــة لصلوا بها ظهرا صلاة التهجـد
يزور هبوب الريح إلا فناءهـــا ولم تحظ من وصل النسيم بموعد
تضيق بها الأنفاس حتى كأنهـــا على كل حيزوم صفائح جلمـــد
وحتى كأن القوم شدت رقابهـــم بحبل اختناق محكم الفتل محصـد
بها كل مخطوم الخشام مذلـــل متى قيد مجرورا إلى الضيم ينقـد
يبيت بها والهم ملء إهابــــه بليلة متبول الحشا غير مقصـد
يميت بمكذوب العزاء نهـــاره ويحيي الليالي غير نوم مشـــرد
ينوء بأعباء الهوان مقيـــــدا ويكفيه أن لو كان غير مقيـــد

وتقذفهم تلك القبور بضغطهـــــا عليهم لحر الساحة المتوقـــــــد
فيرجع في بعض حصير ظلالـــه ويجلس فيها جلسة المتعبـــــــد
وليست تقيه الحـــــر إلا تعلـــة لنفس خلت منصبرها المتبـــــدد
وبالثوب بعض يستظل وبعضهـــم بنسج لعاب الشمس في القيظ يرتدي
فمن كان منهم بالحصير مظـــللاً يعدونه رب الطران الممـــــــدد
تراهم نهار الصيف سفعاً كأنهـــم أثاثي أصلاها الطهاة بموقـــــــد
وجوه عليها للشحوب ملامـــــح (تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد)
وقد عمهم قيد التعاسة موثقــــا فلم يتميز مطلق من مقيـــــــد
فيسدهم في عيشة مثل خــــادم وخادمهم في ذلة مثل سيـــــــد
يخوضون في مستنقع من روائح خبائث مهما يزدد الحر تـــــزدد
تدور رؤوس القوم من شـم نتنها فمن يك منهم عادم الشم يحســـد
تراهم سكارى مـــن عذاب وما هم سكارى ولكن من عذاب مشـــدد
وتحسبهم دودا يعـــيش بحمــــاة وما هو من دود بها متولـــــــد
إلا رب حر شاهـــد الحكم جائرا يقود بنا قود الذلول المعبـــــــد
فقال ولم بجهر ونحن بمنتـــدى به غير مأمون الوشاية تبتــــدي
على أي حكم أم لأية حكمـــــــة ببغداد ضاع الحق من غير منشد
فأدنيت للنجوى فمي نحو سمعـــه وقلت لان العدل لـــم يتبغــــدد
رعى الله حيا مستباحا كأنـــــــه من الذعر أسراب النعام المطـــرد
وما صاحب البيت الحقير بنـــاؤه بافزع من رب البلاط الممـــرد
وما ذاك إلا انهم قد تخاذلـــــوا فلم ينهضوا للخصم نهضة ملبـــد
فناموا على الجلى ونمت كنومهم سوى نومة مني بشعر مغـــــرد
وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا مشيت وان تقعد أولئك اقعــــد

وكم رمت إيقاظا فأعيا هبوبهم فكيف وعزم القوم شارب مرقد
نهوضا نهوضا أيها القوم للعلى لتبنوا لكم بنيان مجد موطد
وسد علينا الاعتساف طريقنا فأجحف بالغوري والمتنجد
فيا رب نفس من كروب عظيمة ويأرب ضعف من عذاب مشدد

المخافر ورجال الأمن:

كانت ببغداد(قولغات) جمع قولغ أي مخفر منبثة في محلات بغداد يشغلها رجال البوليس والدرك(الجندرمة) وأذكر منها مخفر محلة الفضل وقد صار ضمن مدرسة الفضل الابتدائية ومخفر محلة السور وقد صار دارا وهو قرب دار المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني ومخفر محلة حمام المالح وقد تهدم ومخفر محلة قنبر على وقد صار ضمن الشارع ومخفر مجلة أبي سيفين وقد صار دارا ومخفر محلة الشورجة ولا زال إلى الآن ومخفر محلة رأس القرية وقد صار حوانيت ومخفر محلة الحيدرخانة وقد صار حوانيت ومخفر محلة السنك وقد انمحى ومخفر محلة باب الشيخ ولازال إلى الآن ومخفر باب الشرقي وقد انمحى ومخفر الشيخ عمر مقابل جامع الشيخ عمر وقد تهدم في غرق بغداد سنة ١٣٣٣هـ وصرف النظر عن تعميره. وفي الكرخ مخفر محلة الشيخ بشار ومخفر محلة الجعيفر ومخفر محلة علاوي الحلة ومخفر(المنطكة) وسط الطريق بين بغداد والكاظمة، وهذه المخافر لم يبق لها أثر وكان يشغلها رجال البوليس والجندرمة، فمن مشاهير رجال الجندرمة أعرف منهم عبد الرحمن آغا والد السيد عبد المجيد

الموظف في دائرة الكمرك ومكوس ببغداد، وسلمان أفنـــدي المشـــهور بابن(ابليد)، وعلي سور، ورجال الجندرمة أمراؤهم(آلاى بيكى) و(آلاى أمينى) ومقرهم في جناح السراي محل مديرية شرطة لواء بغداد اليـوم، ورجال البوليس أعرف منهم صالح أفندي والد السيد محمد الموظف في أمانة العاصمة واشتغل صالح أفندي مفتشا في دائرة بلدية بغداد ولمـــا شوهد فيه الجدارة التي تؤهله أن يكون بوليسيا نقل من دائرة البلدية إلى دائرة البوليس برتبة(قومسير) ثم رفع إلـــى رتبـــة(ســـر قومســـير) أي قومسير أول وقد اشتهر صالح أفندي بقوة بأسه وكان الرجـــل الوحيـــد لتعقيب الجناة ومطاردة الأشقياء، توفي سنة ١٣٣٦هـــ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

ويأتي بعد صالح أفندي رفعت أفندي المشهور(برفعـــت البوليـــس) وهو برتبة(سر قومسير) ومن عجائب هذا الرجل انه كان ضخم الجثـــة بطينا والذي يشاهده لأول مرة يعتقد انه لا يتمكن من السعي على قدميه إلا بتكلف وإنما هو خلاف ذلك فإذا ما عقب الجناة والأشقياء وركـــض خلفهم تراه يركض بخفة الغزال وقد لعب دورا كبيرا ما لعبه أحد مـــن قبله، توفي سنة ١٩١٩م.

مشاهير الأشقياء

الأشقياء الذين قاموا بوجه الحكومة العثمانية كثيرون منـــهم مـــن قضى نحبه قتلا ومنهم من لاقى حتفه طريدا.

وكيف لا يكونون أشقياء وعصاة بوجه الحكومة والسياسة الخرقـــاء والاضطهاد المستمر هما السبب الفعال لتذمرهم الأمر الذي دفعهم إلـــى شق عصا الطاعة والنظر إلى الحكومـــــة بعيـــن الازدراء والاحتقـــار فأطلقت عليهم اسم أشقياء مجرمين، كيف لا يكونون مجرمين ويـــرون أمام أعينهم سابقيهم من إخوانهم وأبناء جلدتهم يرسفون في قيد الحرمان المادي ولم يجدوا إلى نيل مآربهم غير السطو على الناس وأخذ ما فـــي البيوت والمنازل عنوة وسلبا ولو أنها فكرت قليلا لعلمت أنها شـــريكة أولئك المجرمين لأنها غرست بذور الشر في نفوسهم منذ نشأتهم ولــــو أنها تعهدت بتربيتهم وفتحت بوجوههم أبواب المعاهد العلمية والمعـــامل الصناعية ما آل أمرهم إلى هذا الحد ووصل إليه ما وصل، أمـــا كـــان باستطاعتها أن تنظر إليهم نظر الأب الشفوق لأبنائه، وتغدق أصنــــاف النعم عليهم ولكنها نامت عنهم نوما طويلا حتى إذا استيقظت على أزيز الرصاص شمرت عن ساعدها لتمثل منظر من مناظر الشجاعة الجوفاء فاوعزت إلى جندها بالضرب على أيدي أولئك الذين أســـمتهم أشـــقياء مجرمين. ما ضرها لو صفحت الصفح الجميل عنهم بدلا من الفتك بـــهم وقد قال(لامرتين) إن كان من العدل عقاب المجرم فمن الرحمة الإشفاق

عليه ولكنها ويا للأسف أخذت تعاملهم بالعكس وتزجهم في السجون فقضت على بعض والبعض الآخر ظل يهددها بوقائعه فلم تتمكن من ردعه، ومن مشاهير هم:

عباس السبع:

كان بطلا لا يهاب سطوة الحكام ولا يخشى قوة الجنود وكثيرا ما كان يدحرهم عند اصطدامه معهم، وفي آخر سنة ١٣٢٧هـ من ليلة ساد فيها السكون ونامت العيون وقد هب نسيم الصيف العليل وأرسل القمر أشعته الفضية في سماء الجانب الغربي(الكرخ) سمعت طلقات رصاص متوالية وصراخا حادا فحواه(ثبت ثبت) بالتشديد مصدرها من بستان(المتولية) قرب(المنطكة) أي المنطقة وعند الصباح شاهد فلاحو البستان الذين قبعوا في أكواخهم عند وقوع الحادثة ثلاث جثث من رجال الجندرمة ملقاة بين أحراش البستان وقد أصيبوا برصاص(عباس السبع) الرجل الذي كان يأخذ(الخاوة) من التجار بمجرد إرسال خبر إليهم ولذلك خاصمه جماعة من جانب الكرخ فلم يتمكنوا عليه، والمشهور عن عباس السبع هو الذي قتل(كدرون جاوش)وهذا الرجل من سلك الجندرمة ومن الرجال الأشداء وكان جميع أشقياء بغداد يأخذون الحذر منه لئلا يبطش بهم.

أما كيفية وقوع عباس السبع في فخ الحكومة هو أن زميله ومعتمده الشقي خماس المشهور(ابن شاله) اقترح عليه أن يسطو على دار أحد الأغنياء المسيحيين في(عقد النصارى) بمحلة رأس القرية وبعد أن اتفقا

شربا الخمرة وسارا وقد مد الليل رواقه وفي الطريق التقيا بجماعة(الدورية) من رجال البوليس والجندرمة فتصادما معهم وقد تألبت قوة الدورية عليهما ولما نفذ عتادهم وضاقت بهما الحيلة دخلا مسجدا يقال له(مسجد فرج الله) في محلة بني سعيد وقد لاذا به وهناك قبض عليهما وبعد الفراغ من قتلهما مثلوا بهما تمثيلا شنيعا وقد شد كل واحد منهما بحبل وحصان يسحبه والناس ينظرون إليهما وقد شاهدت وراء جثة عباس السبع جماعة من الناس يهوسون قائلين:(عباس السبع يمطيع التجار) ومن خلفها جثة خماس ابن شاله تحيطها جمهرة من النساء يلطمن ويندبن قائلات:(يهل الزود اطلعوا ثارت الجيلات) والناس يبكون لهذا الحادث الذي تقشعر له الأبدان حتى وصلتا إلى ساحة السراي وبقيتا مطروحتين في الشمس إلى وقت الظهر ثم سلمتا إلى أهلها لدفنها.

صالح ابن الدهان:

من لم يعرف صالح ابن الدهان فليعرف انه كان من الأشقياء المعدودين فلقد أقلق رجال الحكومة وأوقعهم في مأزق حرج وأشتغل بالهم طول حياته وله معهم مواقف عديدة وأعنفها موقفه الذي تصادم به مع(السر قومسير) صالح أفندي وجماعته في(القراغول) محلة الفضل وقد دام أكثر من ساعة واحدة سمع خلال أكثر من مئة طلقة والناس فزعون في بيوتهم وقد استحوذ عليهم الخوف والفزع وبعد أن نفذ عتاد الشقي صالح ابن الدهان وظل اعزل فر من تلك الملحمة يريد العبور

إلى جانب الكرخ وعند وصوله إلى الجسر لم يكن يعلم انه يقطع ليـــلا برفع بابين عنه من الجانب الشرقي والغربي فسقط في النهر وذلك سـنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م وفي اليوم الثاني أخرجت جثته من النهر وبعد التفتيش عليها وجد في جيبه عشرين ليرة عثمانية ذهب وشـــمعة ومسدسان و(قامة) صغيرة.

طه ابن الخبازة:

إذا نظرت إلى طه ابن الخبازة تجده رجلا أسمر اللون وسيم الطلعة بها عينان سوداوان تتألق بها الجرأة والأقدام متوسط القامـــة إذا مشـــى يمشي بهدوء ورزانة وإذا غضب يتطاير الشرر من عينه، شقي شـويف يغض النظر عن أموال الناس وأول عمل من أعماله الذي عرف بـــها إصراره على عدم إطاعة الحكومة وفراره من(العسكرية) الجندية ومـن ذلك الوقت أخذ رجال الجندرمة يطاردونه من مكان إلى مكان وهـو لا يكترث بهم.

أخذ أبن الخبازة الشقاوة عن صهره محمود الملقب(ممودي) الـــذي سيأتي ذكره.لقد كان أبن الخبازة كلـه أعيـن سـاهرة لحمايـة أبنـاء محلته(الفضل) وحراسة دورهم من الذين تعودوا السلب والنهب،ومـــن أعماله ما رواه لي الحاج جار الله الكرادي قال لي: إن أبن الخبازة لـم يكن شقيا جسورا فقط بل كان حارسا أمينا للبساتين التي كـانت تحـت تصرفنا وكان يقضي أكثر أيامه في البستان المسمى(الربع) الصرافيـــة بعيدا عن أنظار الحكومة وفي ذات يوم دعوته لتناول طعام الغداء معـي

قال لي بلهجته البغدادية:(خليها غير وكت) لأن الشط في حالة ازدياد ولا بد من العسكر يأتي لمحافظة السداد وذهب ماشيا على السدة وهناك شاهد امرأة عائمة في الشط وقابضة على صبي صغير وهي تصارع الأمواج الصاخبة فلم يكن منه إلا وألقى نفسه في الشط وأنقذ المرأة والصبي ونجاهما من الغرق وفي تلك الساعة داهمه رجال الانضباط وتصادم معهم وتوغل في البساتين ونجا منهم، أما كيفية الفتك به أن جماعة من رجال البوليس والجندرمة تقابلوا معه ليلا قرب(الطلسم) والطلسم على مقربة من الباب الوسطاني وهو حصن من حصون بغداد التي جددها الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦١٨هـ يقابلها سنة ١٢٢١م وهذا الحصن على طراز الباب الوسطاني أحد أبواب بغداد وأستمر قائما حتى الحرب العالمية الأولى وقد أتخذته الحكومة العثمانية مدخرا للأسلحة والعتاد فاضطرت إلى نسفه أثناء تخلية بغداد، وكان وكرا للأشقياء وعلى مقربة منه تقابل رجال البوليس والجندرمة مع أبن الخبازة ودامت المقابلة زهاء نصف ساعة وقع بها أبن الخبازة قتيلا بعد أن قتل جنديا واحدا وذلك في سنة ١٣٣٠هـ يقابلها ١٩١٢م.

عمران الشيلاوي:

الشقي الذي عاش في عهد الظلم والطغيان، الشقي الذي عاش في وقت كانت القوة الغاشمة تسجن الأحرار وتبعدهم عن الأنظار، الشقي الذي أقام من نفسه على نفسه حارسا يقظا طول حياته، الشقي الذي بات معانقا بندقيته متوسدا مسدسه، الشقي الذي مزق بصوته ظلام الليل

الحالك وأرهب مناوئيه من رجال البوليس والجندرمة، الشقي الذي نجا من صولة الأسد الكاسر وأفلت من بين أنياب الذئب الغادر، هذا هو عمران وهذا هو فتى البوشبل، لقد كان عمرانا شقيا مقداما ارتكب عدة جرائم وأخيرا قبض عليه وزج في سجن القلعة ببغداد وبقي سجينا حتى احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية ولما خرج من السجن أخذ يقاوم حكومة الاحتلال بكل قواه فقبض عليه وسجن في(خان دله) نسبة إلى مالكه عبد القادر دله ثم فر وبقيت السلطة المحتلة تطارده وتقتفي أثره حتى ألقت القبض عليه في مدينة النجف فنقلته منها وسجنته في مدينة الحلة ولم يبق في مدينة الحلة إلا بضعة أيام وفر منها وتصادم مع رجال الشرطة فقتل منهم شرطيان وظلت الحكومة تطارده وهو يتغلب عليها الأمر الذي دفعها أن تدفع جائزة مكافات عشرة آلاف ربية لمن يقبض عليه ولما علم بذلك توجه إلى مدينة الموصل والتحق بالحكومة العثمانية وبعد أن أعلن أطاعته عفيت عنه وعينته موظفا في دائرة الاستخبارات وبقي فيها حتى نزوح العثمانيين عن الموصل فلم يلتحق بهم بل ذهب إلى عشيرته(الكروية) القاطنة في سفح(جبل حمرين) ولما علم به الشيخ خلف الجاسم شيخ مشائخ عشيرة الكروية استقبله استقبالا باهرا ورحب به وأحسن وفادته وبعد مدة من أقامته بين أقربائه وأفراد عشيرته اعتراه مرض وقد اشتد عليه وظل يعاني الآلام من ذلك المرض وأنشد بيت(زهيري) موال وهو:

لمين جفن سوأعيد المجد مني   يقنت بمر الجرا واكريت يالمني
ناديت يا منزل السلوى مع المني   والدهر ياما جيوشه بالمراتب عجب
حتى عجبهم عن طريج الموده عجب   يارفكتي لو طحت ما هو علي عجب

خلي التقادير تأخذ حكمها مني

وبعد أيام قليلة توفي وذلك سنة ١٩١٩م.

محمود الملقب(ممودي):

هو أول الأشقياء المبرزين وزعيمهم الذائع الصيت وقد عاصر الشقي(سمرمد) وقتله لخلاص الناس من شره ولا عجب إذا ما قلت إن(ممودي) شقيا أبيا وبطلا جسورا وقد سمعت ممن أثق به حكاية طريفة عنه وفحواها أن أحد رفقائه جاءه يوما وأسره أن تاجرا يهوديا قد تزوج حديثا وان بداره الواقعة في محلة(قاضي الحاجات) الشورجة اليوم حلي كثيرة فهل توافق على أخذها وظل رفيقه يغريه بمثل هذه الأساليب الخلابة إلى أن قال له(عليها) وهذه الكلمة باصطلاح الأشقياء موافق ولكن على شرط أن أرى التاجر وتدلني على داره وفي هذه الليلة تكون هناك وبعد أن شاهد التاجر اليهودي وعرف موقع داره وجاء الليل سطوا عليها وأول من قدم على باب غرفة الدار(ممودي) ولما فتحها شاهد التاجر اليهودي وزوجته نائمين متعانقين وهناك وقف وخاطب نفسه:(خس عليك أبو شكر لا تسويها) وقال والله لا أنغص عيشهما والتفت يمينا وشمالا فرأى منضدة(ميز) وعليها التحافيات من ذهب وفضة ورأى فوقها كتابا مغلفا بقطعة من حرير علم منه انه كتاب مقدس فأخذه ولسان حاله يقول: في أي كتاب من كتب الله المنزلة وفي أي سنة من سنن أنبيائه أن يعمد الرجال إلى رجل قابع في بيته فينتزع

روحه من بين جنبيه ويفجع فيه أهله وقومه لأنه لا يدين بدينـــــه وفـــي سطح الدار قال لرفيقه أسرع وانزل قبل أن يداهمنـــا(القــول) والقــول جماعة من رجال الأمن كما نوهنا وبعد أن نزلا ســـارا بأمـــان وفـــي الصباح الباكر ذهب(ممودي) إلى التاجر اليهودي بمحله وبعد أن ألقـــى التحية جلس والتفت التاجر اليهودي أليه وقال له(آمر) وهـــذه الكلمـــة مستعملة في بغداد إلى الآن فأخرج(ممودي) الكتاب الذي أخذه من بيــت التاجر ووضعه أمامه فما أن وقعت عين التاجر عليه حتى أخذه الوجوم وقال بلهجة الخائف الوجل:(إبدالك هذا اتفليم مالنا مني جـــابو عنـــدك) فتقدم(ممودي) أليه وحكى له كيف انه سطا على داره ليلا وكيف وجــده نائما مع زوجته وقال له لقد اكتفيت بأخذ هذا الكتاب وقد جئـــت إليـــك لتشتريه بعشرين ليرة ذهب وإلا أرجعه إلى مكانه وانك إذا اشتريته بهذا المبلغ نبقى أصدقاء مدى الحياة فسكت التاجر قليلا ولم يكن منـــه إلا أن أنقده المبلغ فانصرف إلى رفيقه وأخبره بما حدث ودفع له عشر ليرات.

الشقي ممودي يتسلب:

ومن غريب ما يحكى عن هذا الشقي أنه بعد أن أعلن توبته وسكنت دورته هدأت حالته في بعض الليالي ذهب لزيارة صديق له في محلـــة باب الشيخ وعند عودته رجع متأخرا من الطريق المحـــاذي(للجـــول) والذي يمر بمقبرة اليهود داهمه رجلان بيد كل واحد منـــهما مســـدس يرومان سلب ما لديه من دراهم وملابس ولما أدرك ما يقصـــدان أخـــذ عباءته من كتفه وفرشها على الأرض وأخذ ينزع ملابسه ويطرحها فيها

وقال وهو يضحك:(هذا هو شأن الدنيا يوم لك ويوم عليـــك) وبعــد أن عرفاه من صوته أخذا يعتذران له ويقبلان يديه.

وظل(ممودي) على ما هو عليه من حسن السيرة مع الناس مشفوعة بالتقدير والاحترام وفي أواخر أيامه كف بصره وبقى ملازما داره فـــي محلة الفضل لا يخرج منها حتى وافاه الأجل المحتوم وذلك فـــي ســـنة ١٣٣٦هـــ يقابلها سنة ١٩١٨م بعد احتلال بغداد من قبل البريطانيين.

إبراهيم ابن عبدكة :

لم يكن ابن عبدكه يعرف الشقاوة والجرائـــم قبـــل الفتـــك بأخيـــه المدعو(عبد حسن) ولا كان يدور بخلده أن يأتي يوم يكون فيه مضربـــا للأمثال وأول جريمة اقترفها انه ثأر لأخيه الذي قتل في قرية(المواشق) إحدى قرى شهربان ومن ذلك الوقت بدأ يتحين الفرص على قاتل أخيـــه وأخيرا تم له ما أراد وفي ظهيرة كان الحر فيها شديدا وابـــن عبدكـــه جالس في مقهى بمحلة باب الشيخ يراقب الطريق بكل دقة وامعان ومـــا إن علم أن الوقتِ قد حان وأن الفرصة قد سنحت نهض كالأسد الكاســـر وهو قابض على مسدسه وقد وقف شعر شاربه وصرخ بالرجل القـــادم خذ هذا ثار(أبو نجم) يقصد أخوه وانطلقت من مسدســـه عـــدة طلقـــات استقرت في صدره أردته قتيلا ثم خف إلى جواد اعـــد لـــه وامتطـــاه وانطلق الجواد ينهب الأرض نهبا متوجها إلى مدينة بعقوبة، وهذا القتيل هو(جواد) الذي قتل شقيق ابن عبدكه ومن هذه الحادثة شاع صيت ابـــن

عبدكه ودوى صوته في فضـــاء لـــواء ديـــالى وبســـاتين(خرنابـــات) وأحراش(العبارة) قرية قرب خرنابات.

وبعد مرور أيام قلائل وردت الأنباء من بعقوبة أن ستة من رجـــال الجندرمة قتلوا بنتيجة اصطدام وقع بينهم وبيـــن ابـــن عبدكـــه وبـــهذه الجريمة النكراء أصبح ابن عبدكه غريم الحكومة وطريـــد الجندرمـــة والبوليس وكل اصطدام يقع ترجع منه رجال الحكومة خاسرة وفي يـــوم قائض داهم ابن عبدكه بقرية(العيارة) أشخاص متنكرين ولم يكن من ابن عبدكه إلا أن صوب نحوهم بندقيته وانهال عليهم بـــإطلاق الرصـــاص فدحرهم بعد أن قتـــل منـــهم اثنيـــن وهمـــا(نجـــم الزهـــو العـــزاوي) ورفيقه(علوان) ولما علم ابن عبدكه بقتل نجم الزهو العزاوي عض على إصبعه وقال(قتلت رجلا يسوه عشيرة) لأن نجم الزهو كـــان صديقـــا حميما لأبن عبدكه وكان يضاهيه بشجاعته وجرأته، وعلى أثـــر هـــذه الحادثة اهتمت الحكومة العثمانية لها لأنها فقدت رجلا من خيرة رجالها الأقوياء واتخذت الإجراءات الصارمة وأرصدت مكافآت مالية كـــبرى لمن يلقي القبض على ابن عبدكه حيا أو ميتا وقد أخذ الرجال يســـعون للفتك به طمعا في الجائزة فلم يظفروا به وقد نسى عبدكه أن القضـــاء والقدر لا مفر منهما وبين عيشة وضحاها اعترى ابن عبدكـــه مـــرض أقعده عن الحركة وأخبر أحد سكان قرية(خرنابات) الحكومة بما طـــرأ على ابن عبدكه فألقى القبض عليه وزج في ســـجن بعقوبـــة انتظـــارا لمحاكمته لينال جزائه وقضى في سجنه عشرة أشهر استطاع بعدهـــا أن يفلت منه وظل ملتبسا بجرائمه يسطو على هذا ويفتك فـــي ذاك غـــير هياب ولا وجل إلى أن احتلت بغداد من قبل الجيوش البريطانية وفـــي

الاحتلال كانت قوة إنكليزية يقلها قطار كركوك قاصدة بغداد وعند وصول القطار إلى مدينة شهربان هاجمها رجال من العرب وكان في القطار السياسية الإنكليزية(مس بل) وفي ذلك الوقت يستطيع المهاجمون العرب أن يتغلبوا على القوة الإنكليزية ويأسروا(مس بل) وعلى حين غرة جاء ابن عبدكه ورأت(مس بل) مبلغ الاحترام له من الذين هاجموا القطار وظننته رئيسهم فاحتمت به وحماها وأوصلها إلى بغداد بدون أن يمسها بأذى ولهذا العمل الإنساني طلبت منه اسمه وعنوانه لتجازيه على عمله هذا معها ومرت الأيام والأشهر وابن عبدكه يتجول في بساتين(العيارة) وقد أخذ الحذر التام من أقرباء(نجم الزهو العزاوي) لأنه على علم منهم لابد أن يثأروا لقتيلهم ولو بعد حين وفجأة جاءته الأخبار إن ابن عمه المدعو(محمد دارا) قد قتل لثأر قديم فتألم لهذا الخبر وعلى أثر سماعه له اعترته حمى شديدة سقط من جرائها طريح الفراش وبقيت الحمى ملازمة له ورجال الحكومة تضيق عليه الخناق فاضطر إلى مغادرة لواء ديالى إلى لواء الحلة وسكن ناحية(المحاويل) وكان الحكم العربي قد استقر في العراق وفي ١٤حزيران سنة ١٩٢٤م كان ابن عبدكه طريحا في فراشه من الحمى التي اعترته وفي صباح الباكر شاهد ثمانية من رجال الشرطة قد أحاطوا به من كل جانب شاهرين أسلحتهم بوجهه فلم يستطع مقاومتهم فقبضوا عليه وأرسل مخفورا إلى بغداد وبعد المرافعة صدر عليه الحكم بالإعدام شنقا حتى الموت وما أن سمعت(مس بل) محاكمة الرجل الذي حماها وأنقذها خفت إلى بغداد وتوسطت له لدى الجهات المسؤولة لتخفيف حكمه وبالنتيجة نقض قرار الحكم تمييزا وبدل الحكم الشنق بالحبس لمدة

عشرين عاما بالأشغال الشاقة فقضى منها أثنى عشر عاما وخرج من السجن سنة ١٩٣٦م وعند خروجه عطفت عليه الحكومة وعينته مراقبا للآثار في بابل ونسى(ابن عبدكه) أيام جبروته وشقاوته وظل قابعا في داره يتقاعس من عظم الأمراض التي ألمت به والشلل الذي أصابه النصف الأيسر من جسمه بعد الثمانيين من عمره وإذا كان ابن عبدكه غفل أو تغافل فان الله ليس بغافل.

مقتل ابن عبدكة:

إن الفتى الصغير الذي وقف عند رأس أبيه المحتضر نجم الزهو العزاوي يسمع لحشرجته الأخيرة وهو يقول له قتلني إبراهيم واغرورقت عين الفتى من رهبة الموت وألم اليتم هاهو اليوم يأتي وذكرى تلك الوقعة الرهيبة ماثلة أمام عينيه ويحل مدينة الحلة يكيل لابن عبدكه الصاع بالصاع ويأخذ بثأر أبيه نجم الزهو العزاوي، وفي مساء يوم الأحد (٥) أيلول سنة ١٩٥٤تنطلق رصاصتان بزقاق ضيق ويستقران في جوف ابن عبدكه فيسقط مضرجا بدمائه فينقل إلى المستشفى وأول شيء يسأل عنه ابن عبدكه من الذي أطلق عليه الرصاص فيقولون له سهيل بن نجم الزهو العزاوي فيصرخ قائلا(ليش احنه ما توافينا أني قتلت أبوه وعمامه قتلوا ابن عمي) وهكذا انطوت صحيفة رجل كان يضرب المثل بشقاوته(قابل أنت ابن عبدكه) فسبحان القهار وبعد محاكمة سهيل بن نجم الزهو العزاوي حكم عليه بالسجن

لمدة عشرين سنة وهو الآن يقضيها بين جدران السجن المركزي ببغداد وهو فخور بهذا الحكم.

سلاح الأشقياء:

كانت الحكومة العثمانية لا تملك من الأسلحة في عهد الوالي مدحت باشا غير(الطواب) جمع طوب أي مدفع و(شيشخانلي تفنك) أي بنادق شيشخان وهي سلاح الجندرمة والجنود، أما سلاح الأهالي كان من الأسلحة النارية(بشتاوه) و(قره بينه) وفرد وهذه الأسلحة تحشى بالبارود والصجم وهو نوع من الحديد معمول قطع صغار للدخول في فوهة هذه الأسلحة وبتوالي الأيام زودت الحكومة جيشها ببنادق(القباغلي) وبالأخير أضافت إلى هذه البنادق بنادق(مارتينلي) وأهل بغداد يسمونها(ماطلي) وحينما أعلن الدستور العثماني(الحرية) انهالت أنواع الأسلحة النارية وأغلبها مسدسات جمع مسدس وأينما تسير في أسواق بغداد ومحلاتها تجدها ظاهرة للعيان حتى أصبحت الأسواق شبه معرض لأنواع الأسلحة وتباع على ملأ من الحكومة وأنواع تلك الأسلحة منها(مسدس كسر) و(قره داغ) نسبة إلى حكومة(الجبل الأسود) أي يوغسلافيا اليوم و(بلدك) وهو مسدس صغير يوضع في الجيب والمسدس يسمى في بغداد(ورور) و(تك)، ومن الآلات الجارحة(خنجر دبان) وهو أحسن أنواع الخناجر و(قربين) أو قزوين نسبة إلى بلدة في إيران و(أر ويلي)نسبة إلى بلدة(اربيل) وهذا الخنجر طويل الحجم وفيه قليل من الانحناء و(أكاديمي) بالكاف الفارسية وهو صغير كثير الانحناء و(قامة) و(سيف) و(جلتيانة) و(قليج) وهو سيف خاص بضباط الجيش، وإذا كانت هذه الأسلحة متوفرة في بغداد

كيف لا يقتنيها الشقي ويقوم بها في وجه الحكومة ناهيك عــن البنــادق التي تباع للعشائر بأبخس ثمن لغرض سياسي كـــان لا يخفـى علــى الحكومة العثمانية يومئذ.

الجسور في بغداد

لم يكن في بغداد في العهد العثماني جسور عامرة لها مكانتها بين الجسور ولقد كان أهل بغداد يقاسون أشد المتاعب في عبور شط دجلة من جانب إلى الجانب الآخر في مواسم الفيضان ولم تكن هناك واسطة غير القفف جمع قفة والقوارب جمع قارب أي(بلم).

جسر قراره (كراره):

وفي أيام الوالي مصطفى عاصم باشا سنة ١٣٠٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٩م انشأ جسر ونصب في معبر(قراره) وهو مكون من عوامات خشبية، وقد أرخ عام نصبه الشاعر جميل الزهاوي بقوله:

هو ذاك جسر قد تمدد ... فوق دجلة بالمهارة
في قرب بغداد بمعبرة ... يقال لها (قراره)
جمع المتانة والصيانة ... والرزانة والنضارة
أنشأه عاصم الذي ... تزهو بطلعته الوزارة
إذ تم قلت مؤرخا ... جسر تمدد في قراره

جسر الخر أو المسعودي:

في يوم الخميس ٢٨ شعبان سنة ١٣١٥هـ يقابلـها سـنة ١٨٩٧م أجري افتتاح جسر الخر بحضور الوالي عطا باشا والمشير رجب باشـا وأكابر رجال الدولة من عسكريين وملكيين وقد سمي الجسر(الحميـدي) ولكن الناس لا زالوا يسمونه جسر(الخر) وهو إلى الآن قـائم وصـالح للمرور.

جسرا بغداد والاعظمية:

كان في بغداد جسران: جسر في الاعظمية وجسر في بغداد، الأول يسمى جسر الاعظمية والثاني جسر بغداد وكلاهمـا مصنوعـان مـن الألواح الخشبية بشكل عوامات ويقال لها(جساريات) جمـع جسـارية مربوطة بسلاسل غلاظ وقد مدد الجسر على ضفتي الشرقية والغربيـة وتحت جسر بغداد مجال واسع للمقاهي وبائعي المـأكولات والسـكاير وكلما انقطع الجسر عن العبور بمناسبة الفيضان وأعيد اتصاله احتفلـوا بذلك احتفالا عظيما(شبه زفة) فيخرج الأهـالي بـالمزامير والطبـول فرحون باتصال الجسر والعبور عليه وقد دام جسر بغداد علـى هـذه الحالة حتى أيام الوالي نامق باشا الصغير، ثم تخرب واصبح لا يصلـح المرور عليه ولما وقعت عين نامق باشا عليه وجده غير لائق ببغـداد

فأمر بإنشاء جسر من الطراز الحديث وقامت بعمله مدرسة الصنائع فكان على جانب عظيم من الأبهة والزينة.

يحتوي على مقاهي عصرية فكانت أبهى منظر على نهر دجلة، وفي ٢٦جمادى الأولى سنة ١٣٢٠هـ يقابلها سنة ١٩٠٢م نصب الجسر وقد أرخ عام نصبه الشاعر عبد القادر شنون بقصيدة:

هي الحضارة ما تعلو به الرتب ... وما سوى العدل في الدنيا هي السبب
واليوم أضحت بملك ساسه ملك ... من آل عثمان مضروبا له الطنب
عبد الحميد الذي دامت فما اقتدرت ... تحصي مناقبه الكتاب والكتب
هو المليك فلا تعدل به ملكا ... سواه إذ ما تساوى النبع والغرب
أيام دولته الغراء تحسبها ... عقدا تحلى به أجيادها الحقب
ملك تود نزولا عند مربعه ... لتلثم الكف منه سبعة الشهب
مؤيد بجنود من مهابته ... أسيافه الرأي لا الهندية القضب
تقلد العدل سيفا في الأنام وكم ... له من الحزم فيهم عسكر نجب
أحسن به سيف عدل في تقلده ... دامت له الروم والاعجام والعرب
أدام سيب الندى حتى لقد حسدت ... ندى يديه بحار الأرض والسحب
وكيف تنهل سحب قطرها مطر ... وليس بحسدن سحبا قطرها ذهب
فأصبح الملك مطلول الرياض به ... تود من أرضه الخضراء تقترب
هذا العراق أجل طرفا بخطته ... يبدو لعينيك فيه ما هو العجب
وانظر إلى ساحة الزوراء تلق بها ... لنامق هَمما زالت بها الكرب
ذاك الوزير الذي دار السلام به ... ماست من الفخر عطفا هزه الطرب
كانت مريضة جسم قبله فأتى ... وهو الطبيب وفيها الداء منتشب
حتى تتبع أقصى دائها فبدا ... فيها الشفاء وزال السقم والوصب
فكم له من أياد في مرابعها ... وكم من مساع شكرها يجب

سعى بتجديد جسر من تكـــــرره كانت سفائنه كالماء تضطــــرب
فعاد جسرا على العشري العبور لمن رام العبور عليه التيه والعجـــب
كل البدائع جاءت في صنائعـــــه مستبدع الصنع مامونا به العطــب
كأنه ووضوح من طرائقـــــه مهند منتضى في متنه شطـــــب
كأنما كل فلك من محاسنــــــه فريدة وشيت أثوابها القشــــــب
تستوقف العابر العجلان صنعتــــه فيقصر الخطو فيه وهو مرتقـــب
إذ قال واصفه فاق الحديد فـــــلا تعجب فرب حديد فاقه الخشـــب
فقلت مذ مد منصوبا أؤرخـــــــه جسرا لدجلة في الزوراء قد نصبوا
١٣٢٠هـ

وقد أرخه الأستاذ فهمي المدرس وهو من أعجب التواريـخ حيـث قال

وبمعجم الألفاظ أرخ قائلا مروا عليه ذا صراط مستقيم

عزل نامق باشا:

ومما يروى والعهدة على الراوي أن والي بغداد نامق باشـــا بلــغ بعزله عن ولاية بغداد يوم أفتتاح الجسر والمرور عليه حسب القواعـــد المتبعة وقد أفتتحه قاضي بغداد بصفته وكيلا للوالي وهو الذي أجـــرى مراسيم افتتاحه وقد أرخ عام عزل الوالي نامق باشا شـــاعر مجـهول بقوله:

قوموا بنا يا بني الزوراء نبتهل فمن قريب جميع الخزي يرتحـل
الله أكبر زال الشك وارتحلـت عنا الهموم وزال الخوف والوجل

قد جاءكم خير فال من مؤرخه بشرى فنامق بعد الجسر ينعــزل
١٣٢٠هـ

وفي يوم الاثنين ٢٥ صفر سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٦م أبان الحرب العالمية الأولى نقل هذا الجسر إلى جهة سلمان باك وعند نزوح العثمانيين من بغداد احرق وظل يشتعل طول النهار والليل.

الحرب بين أبن الرشيد وأبن سعود

ومن المصائب التي حلت ببغداد والتي لم يزل يذكرها أهلها بكل حزن وأسى مصيبة الحرب التي وقعت بين أبن الرشيد وأبن سعود وأهل بغداد يسمونها(وقعة ابن رشيد) وأنهم فقدوا فيها خيرة أبنائهم الذين ذهبوا ضحية العطش والجوع فقد كانت الحكومة العثمانية مؤيدة لابن الرشيد رأت وجوب معاضدته فأمرت بتجهيز الجيش يوم كان أحمد فيضي باشا وكيلا لولاية بغداد ويعرف هذا ببغداد ب(الكوسه) وهو وأن كان ذا شوكة وعقل راجح فانه كان غير عفيف ولقد انتهز فرصة تجهيز هذه الحملة المشؤومة فجمع بواسطتها أموال كثيرة.

وفي سنة ١٩٢٢هـ يقابلها سنة ١٩٠٤م تحرك الجيش من بغداد قاصدا(الرياض) عاصمة المملكة السعودية اليوم وبعد الخوض في غمار الحرب أياما وشهورا أنفل جمع الجند وتشتت شمله لعدم وصول المؤنة والإعاشة إليه ومات أكثره جوعا وعطشا وفي ذلك نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان(أيقاظ الرقود) يصف بها حالة الجند وما حل به في هذه الوقعة المشؤومة وهي:

إلى كم أنت تهتف بالنشيد   وقد أعياك أيقاظ الرقود
فلست وان شددت عرى القصيد   بمجد في نشيدك أو مفيد
لأن القوم في غي بعيد
إذا أيقظتهم زادوا رقادا   وإن أنهضتهم قعدوا وآدا

فسبحان الذي خلق العبـــادا كأن القوم قد خلقوا جمادا

وهل يخلو الجماد من الجمود

أطلت وكاد يعييني الكلام ملاما دون وقعته الحسام

فما انتبهوا ولا نفع الملام كأن القوم أطفال نيـــام

تهز من الجهالة في مهود

إليك إليك يا بغداد عنـــي فأني لست منك ولست مني

ولكني وإن كبر التجنـــي يعز علي يا بغداد أنـــي

أراك على شفا هول شديد

تتابعت الخطوب عليك تترى وبدل منك حلو العيش مرا

فهلا تنجبين فتى أغـــــرا أراك عقمت لا تلدين حرا

وكنت لمثله أزكى ولود

أقام الجهل منك له شهـــودا وسامك بالهوان له السجودا

متى تبدين منسك له جحـــودا فهلا عدت ذاكرة عهـــودا

بهن رشدت أيام الرشيد

زمان نفوذ حكمك مســتمر زمان سحاب فضلك مستدر

زمان العلم أنت له مقـــر زمان بناء عزك مشمخـــر

وبدر علاك في سعد السعود

برحت الاوج ميلا للحضيض وضقت وكنت ذات علا عريض

وقد أصبحت في جسم مريض وكنت بأوجه للعز بيـــــض

فصرت بأوجه للذل سود

ترقى العالمون وقد هبطـــــنا وفي درك الهوان قد انحططنا

وعن سنن الحضارة قد شحطنا فقطنا يا بني بغداد قطـــــنا

إلى كم نحن في عيش القرود

ألم تك قبلنا الأجداد تبنـــي بناء للعلوم بكـــل فنـــي
لماذا نحن يا أسر التمني أخذنا بالتقهقر والتدنـــي
وصرنا عاجزين عن الصعود

كأن زحل يشاهد ما لدينا لذاك أحمر من حنق علينــا
فقال موجها لوما إليـــنا لو أني مثلكم أمسيت هيــنا
إذن لنضوت جلباب الوعود

ركدتم في الجهالة وهي تعشي وعشتم كالوحوش أخس عيش
أما فيكم فتى للعز يمشــــي تبارك من أدار بنات نعــش
وصفدكم بأصفاد الركود

حكيتم في توقفكم جديــــا فصرتم كالصها شعبا خفــيا
ألا تجرون في مجرى الثريا تؤم بدورها فلكا قصيـــا
فتبرز منه في وضع جديد

حكومتنا تميل لباخسيــها مجانية طريق مؤسسيـــها
فلا يغررك لين ملامسيها فهم كالنار تحرق لامسيــها
وتحسن للنواظر من بعيد

لقد غص القصيم بكل نذل وأمسى من تخاصمهم بشغل
فريقا خطتي غي وجهــل فلا الخصمين ليس له بأهل
ولكن من لتنكيل المريد

إليهم أرسلت بغداد جنـــدا ليهلك فيه من عبث ويفــدي
لقصد ابن الرشيد أضاع قصدا فلا يابن الرشيد بلغت رشدا
ولا بلغ السعود ابن السعود

مشوا يتحركون بعزم ســاكن ورثة حالهم تبكي الأماكن
وقد تركوا الحلائل والمساكن جنود أرسلت للموت لكن
بفتك الجوع لا فتك الحديد

قد التفعوا بأسمال بــوال مشاة في السهول وفي الجبال
يجدون المسير بلا نعــال بحال للنواظر غير حــــال
وزي غير ما زي الجنود

مشوا في منهج جهلوه نهجا يجوبون الفلا فجا ففجــــا
إلى حيث السلامة لا ترجى فيا لهفي على الشبان تزجى
على عبث إلى الموت المبيد

وكل مذ غدا للبيت أمــــا فودع أهله زوجا وأمــــا
وضم وليده بيد وشمــــا بكى الولد الوحيد عليه لما
غدا يبكي على الولد الوجيد

تقول له الحليلة وهو مــاش رويدك لأبرحت أخا انتعاش
فبعدك من يحصل لي معاش فقال ودمعه بادي الرشاش
وكلتكم إلى رب ودود

عساكر قد قضوا عريا وجوعا بحيث الأرض تبتلع الجموعا
إلى أن صار أغناهم ربوعــا لفرط الجوع مرتضيا قنوعا
لقد لو أصاب من الجلود

هناك قضوا وما فتحوا البلادا هناك بأسرهم نفدوا نفــادا
هناك بجيرة عدموا الرشـــادا هناك لردعهم فقدوا الرقادا
هناك عروا هناك من البرود

أناديهم ولي شجن مهيــج وأذكرهم فينبعث النشيج

ودمع محاجري دمع مزيج ألا يا هالكين لكم أجيج

ذكا بحشاي محتدم الوقود

سكنا من جهالتنا بقاعـــا يجور بها المؤمر ما استطاعا

فكدنا أن نموت بها ارتياعا وهبنا أمة هلكت ضياعـــا

تولى أمرها عبد الحميد

أيا حرية الصحف ارحمينا فأنا لم نزل لك عاشقينـــا

متى تصلين كيما تطلقينا عدينا في وصالك وامطليـنا

فأنا منك نقنع بالوعود

فأنت الروح تشفين الجروحا يحرج فقدك البلد الفسيحـــا

وليس لبلدة لم تحو روحـــا وإن حوت القصور أو الصروحا

حياة تستفيد لمستفيد

أقول وليس بعض القول جدا لسطان تجبر واستبـــــدا

تعدا في الأمور وما استعـدا ألا يا أيها الملك المفـــدى

ومن لولاه لم نك بالوجود

انم عن أن تسوس الملك طرفا أقم ما تشتهي زمرا وعزفـا

أطل نكر الرعية خل عرفـــا سم البلدان مهما شئت خسفـا

وأرسل من تشاء إلى اللحود

فدتك النفس من ملك مطاع ابن ما شئت من طرق ابتداع

ولا تخش الآله ولا تراعي فهل هذي البلاد سوى ضياع

ملكت أو العباد سوى عبيد

تنعم في قصورك غير دار أعاش الناس أم هم في بوار

فأنك لم تطالب باعتـــذار وهب أن الممالك في دمـــار

أليس بناء يلدز بالمشيد

جميع ملوك هذي الأرض فلك   وأنت البحر فيك ندى وهلك
فأنى يبلغون وذاك إفـــــــك   لئن وهبوا النقود فأنت ملك
وهوب للبلاد وللنقود

تأسيس دائرة الطابو:

بعد أن جرى تسجيل الأراضي الأميرية أيام الوالي مدحت باشا في بعض أنحاء العراق شرع في تسجيل الأملاك وكانت تسجيلات البيـــوع تجري آنذاك في المحكمة الشرعية للمســـلمين وفـــي الكنـــائس لغـــير المسلمين وتصدر الوثيقة (سند التملك) من تلك المحاكم.

وفي أيام الوالي محمد رؤوف باشا سنة ١٢٨٩هــ يقابلـــها ١٨٧٢م تشكلت دائرة الطابو في بغداد واستمرت في تسجيل الأملاك غير أنه لـم يجر بوجه صحيح كما هو اليوم إلا في أيام الوالي عبد الرحمـــن باشـــا بنفس السنة فتهافت الناس عليها وأخذوا يسجلون أملاكهم بعد أن كـــانوا يجهلون فوائد الطابو ومزاياه والمحاذير الناتجة عن عدم التسجيل.

البريد والبرق:

كان البريد في بغداد يسمى(بوسته) ومحله يسمى(بوسته خانه) ولـــم يكن منظما وكثيرا ما كنت أشاهد صاحب البريد يأتي من باب المعظـــم ممتطيا جواده وبيده(قمجي) سوط يلوح به في الهواء وأمامه عدد مـــن

الخيل تحمل البريد وتركض وهو ينادي بصوته الجهوري(بوسته كلدي) أي جاء البريد تنبيها للناس، والناس حينما يسمعون يذهبون إلى دائـــرة البريد يجتمعون في ساحتها ودائرة البريد تقع في محلة الميـــدان وقــد ذهبت ضمن شارع حسان بن ثابت الآن وبعد اجتماع الناس بضمنـــــهم التجار وأصحاب المراسلات يأتي الموظف المختص بتوزيع الرســـائل ويقف يتلو عناوين الرسائل الواردة من الخارج ويعطيها إلى أصحابـــها الحاضرين والرسائل التي لم يحضر أصحابها توزع عليهم بمحلاتـــــهم بواسطة(بوسته جيه) أي موزعين والموزع الذي يوزع الرسائل الواردة إلى أصحابها في محلاتهم يتناول عن كل رسالة عشرة بارات (بخشيش) أي هدية.

أما البرق فكان يسمى(تلغراف) ومحله يسمى(تلغرافخانه) وفي سـنة ١٣٢٠هـ يقابلها سنة ١٩١١م وضع حجر أساسي لبناية دائرة للـــبريد والبرق جديدة في محلة الميدان مقابل مدرسة الإعدادية المركزية للبنيـن الآن وتم بناؤها سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م وقد أجريت مراسيم افتتاحها بحضور الوالي حسين جلال بك وأكابر الموظفين وهي باقيـــة إلى الآن وتسمى دائرة البريد المركزي.

مطبعة دار السلام:

وأول مطبعة أسست في بغداد بعد مطبعة الحكومة هي مطبعــة(دار السلام) ومحلها في سوق السراي وقد بدأت أعمالها في ٢٨ ربيـع الأول سنة١٣٠٩هـ يقابلها سنة ١٨٩١م أيام الوالي الحاج حسن باشا وقد طبع

بها الخــط الســلطاني ودســتور قــانون الأساســي باللغــة العربيــة سنة١٣٢٦هــ.

إعلان الدستور العثماني

(الحرية)

في ١٠ تموز سنة ١٣٢٤ رومية قابلها ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦هـ يقابلها ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨م أعلن الدستور العثماني أي الحرية وخرج الناس من دورهم زرافات ووحدانا قاصدين سراي الحكومة رافعين أعلام الفرح والسرور ووجوههم ضاحكة مستبشرة وقد كتب على الأعلام بالقلم العريض هذه العبارة: (حريت عدالت مساوات أخوت) وعقدت الاجتماعات وتليت الخطب والقصائد وأحس الناس أن قيود الذل والعبودية التي كبلوا بها منذ٣٣ سنة قد تحطمت وانهم اصبحوا أحرارا في تصرفاتهم ومقدراتهم وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (تموز الحرية) يشيد بهذا الشهر الأغر وذلك الحدث التاريخي وهي:

إذا انقضى مارت فاكسر بعده الكوزا وأحفل بتموز إن أدركت تموزا
أكرم بتموز شهرا إن عاشره قد كان للشرق تكريما وتعزيزا
شهر به الناس قد أضحت محررة من رق من كان يقفو أثر جنكيزا
سل أهل باريز عن تموز تلق لهم يوما به كان مشهودا لباريزا
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم بسالة هدت البستيل مبروزا
وأن تموز شهر قام فيه لنا على البقاع لواء العز مركوزا
في شهر تموز صادفنا لما وعدت بيض الصوارم بالدستور تنجيزا
هي المساوات عمتنا فما تركت فضلا لبعض على بعض وتمييزا

أمست لنا قسمة في المـــلك عادلة   حكما وكانت على علانها ظيزى
كنا من الجور عميانا وليـــس لنـــا   من قائدين ولم نملك عكاكـــيزا
حتى نهضنا إلى العليـــا تقدمـــنا   عصابة برزت في المجد تبريزا
إن تلقهم تلق منهم في الوغى جيـلاً   أو هجتهم للمنايا هجت رامـــوزا
قوم إذا طمعوا في حـــومة تخـذوا   قصاصهم من قحوف القوم لا الشيزا
قمنا على المـــلك الجبـــار تقرعـــه   بالسيف منصلت والرمح مهزوزا
حتى تركنا وفي الهيـــجاء معضلـــة   ألقت ضراماً على الطاغين مأزوزا
أنا لنأبى علـــى الطاغـــي تهضمـــنا   حتى نهوز في الهيجـــاء تهويزا
ونا كل الموت دون القـــرنمضغه   كمضغنا التمر برنينا وسهـــريزا
وعاش من لايخوض الموت مرتضياً   بقاءه بعصى الذل موكــــوزا
راعت سلانيك دار المـــلك فانتبهت   من ذاك طهران تخشي أمر تبريزا
حتى غدت وهي في تموز ناكســـة   وبات شاه رماه الخلع مجنـــوزا
فالشاه في شهر تموز هوى وكـــذا   عبد الحميد هوى في شهر تموزا
يا شهر تموز لا راعـــتك راعيـــة   ولا لقيت من الأحداث ارزيـــزا
ياشـــهر تموز قـــد زينت رايتنـــا   بالعـــدل توشية فيها وتطريـــزا
من لي بأنجم الأفق انظمـــــــها   قصائدا فيك مدحا اوراجـــيـــزا
أو تحت المـــاس أقلامـــا مقرضـــة   أمدهـــا ذهبا في الطرس ابريـــزا
واجعل الجو في تمـــوز امدحـــه   طرسا أجادته كف النور ترزيزا

الصحافة في بغداد:

الصحافة صدى الحقائق للأمة تنطق بأسم الجمهور وهـــي المــرآة الصافية لآراء أفراد الشعب تعكس صورهم وتمثل رغباتـــهم فتنشـــرما يهمهم وتكتب ما يروقهم وتدافع عن مصالحهم وتجعلها فوق كل شئ.

الصحافة تتطلب حرية ولولا الحرية لم تكن صحافة وعلـــى أثـــر إعلان الدستور العثماني وهبوب نسيم الحرية أخـــذ النـــاس يتنفســـون الصعداء فقام المفكرون في بغداد وأخـــذوا يســـعون الســـعي الحثيـــث لاستنشاق هذه النسمات فأقدموا على إصدار الجرائد والمجلات فصدرت صحف كثيرة سياسية وأدبية وهزلية.

الجرائد:

إن أول جريدة صدرت في بغداد بعد جريدة الزوراء هي جريدة:

بغداد:

كانت جريدة سياسية أصدرها باللغة العربية في بغداد مـــراد بـــك فبرز عددها الأول في أول يوم من كانون الثاني سنة ١٩٠٩م.

العراق:

جريدة سياسية أصدرها في بغداد عبد الجبار باشا الخيـــاط فـبرز عددها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٠٩م.

الرقيب:

جريدة عربية سياسية أصدرها في بغداد عبد اللطيف جلبي ثنيـــان فبرز عددها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٠٩م.

الإرشاد:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد فريد أفندي فـــبرز عددهـــا الأول في ١٢ شباط سنة ١٩٠٩م.

الانقلاب:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغـــداد ثريـــا و.م رؤوف فـــبرز عددها الأول في ٢١ مارس سنة ١٩٠٩م.

التعاون:

أصدرها في بغداد باللغتين التركية والعربية رشيد أفنـــدي فـــبرز عددها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩٠٩م.

الروضة:

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد عبد الحسين الأزري فـــبرز عددها الأول في ٢٢حزيران سنة ١٩٠٩م.

الحقيقة:

جريدة سياسية أصدرها في بغداد باللغة العربية طلعت أفندي فـبرز عددها الأول في ٩تموز سنة ١٩٠٩م.

صائب:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد م. عـــارف أفنـــدي فـــبرز عددها الأول في ٣ آب سنة ١٩٠٩م.

صدى بابل:

جريدة سياسية عربية أصدراها في بغداد داود صليوا ويوسف غنيمة فبرز عددها الأول في ١٣آب سنة ١٩٠٩م.

الزهور:

جريدة سياسية عربية تركية أصدراها في بغداد نسيم يوسف سوميخ ورشيد أفندي الصفار فبرز عددها الأول في ٤تشرين الثاني سنة ١٩٠٩م.

بين النهرين:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد محمد كامل أفندي الطبقجلي.

(فليتخ)أي السيف:

جريدة سياسية أصدرها في بغداد باللغتين التركية والعربية حسين فوزي أفندي فبرز عددها الأول في ٣١كانون الأول سنة ١٩٠٩م.

الرياض:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد سليمان أفندي الدخيل فبرز عددها الأول في ٧كانون الثاني سنة١٩١٠م.

(يلدرم) أي الصاعقة:

جريدة سياسية أصدرها باللغتين التركية والعربية محمد نجيب ثنيان فبرز عددها الأول في ٩كانون الثاني سنة ١٩١٠م.

الظرائف:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد أبو الصفا طلعت أفندي فبرز عددها الأول في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩١٠م.

أخوت:

جريدة عربية فارسية أصدرها في بغداد الحاج محمد تقي اليزدي فبرز عددها الأول في ٣نيسان سنة ١٩١٠م.

الرصافة:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغــداد الســيد محمــد صــادق الأعرجي فبرز عددها الأول في ١٧ حزيران سنة ١٩١٠م.

مصباح الشرق:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري فبرز عددها الأول في أول آب سنة ١٩١٠م.

صائب:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد محمد بهجت أفنــدي فبرز عددها الأول في ١١آب سنة ١٩١٠م.

سبيل الرشاد:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد محمد بهجت أفندي فــبرز عددها الأول في ٢٨ أيلول سنة ١٩١٠م.

الوجدان:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها أبو الصفا طلعت أفندي فبرز عددها الأول في ١٢ كانون الأول سنة ١٩١٠م.

خان جغان:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد طلعت أفندي فبرز عددها الأول في ٥ مارت سنة ١٩١١م.

خان الذهب:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفندي لطفي فبرز عددها الأول في ٢٢مارت سنة ١٩١١م.

سيف الحق:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عثمان أفندي نوري فبرز عددها الأول في ٣٠ مارت سنة ١٩١١م.

البلبل:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفنـــدي لطفـــي فبرز عددها الأول في ١٦ نيسان سنة ١٩١١م.

أفكار عمومية:

جريدة سياسية تركية عربية أصدراها في بغداد حسين عوني أفندي ونزهت كامل فبرز عددها الأول في ٨ نيسان سنة ١٩١١م.

(يكي موده) المودة الجديدة:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد عبد الرحيم أفندي صـــــائب فبرز عددها الأول في ٤ مايس سنة ١٩١١م.

(كرمه ونرمه) حار وبارد:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد لطفي أفندي فكرت فـــبرز عددها الأول في ١٦ مايس سنة ١٩١١م.

الأسرار:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد عبد الرحيم أفندي صائب فبرز عددها الأول في ٢٣ مايس سنة ١٩١١م.

الصاعقة:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عبد الكريم الشيخلي فبرز عددها الأول في ٨ حزيران سنة ١٩١١م.

المصباح:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري فبرز عددها الأول في أول آذار سنة ١٩١١م.

دونبد:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد لطفي أفندي فكرت فبرز عددها الأول في ٦ أيلول سنة ١٩١١م.

النوادر:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد محمود أفندي الوهيب فبرز عددها الأول في ٦ أيلول سنة ١٩١١م.

المصباح الأغر:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري فبرز عددها الأول في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١١م.

الحقوق :

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد معـــروف أفنـــدي فـــبرز عددها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩١١م.

المضحكات:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفنـــدي لطفـــي فبرز عددها الأول في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٢م.

القسطاس:

جريدة سياسية عربية أصدراها في بغـــداد عبـــد الجبـــار أفنـــدي الأعظمي ومحمد هادي أفندي فبرز عددها الأول في ٥ شباط ١٩١٢م.

تفكر:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد سلمان عنبر فبرز عددها الأول في ٢١ شباط سنة ١٩١٢م.

المعارف:

جريدة أدبية عربية تركية أصدرها في بغداد نادر أفندي فبرز عددها الأول في أول آب سنة ١٩١٢م.

الرياحين:

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد إبراهيم أفندي صالح شكر فبرز عددها الأول في ٢٨ مارت سنة ١٩١٣م.

شمس المعارف:

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد إبراهيم أفندي صالح شكر فبرز عددها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٣م.

النهضة:

جريدة اجتماعية سياسية عربية أصدراها في بغداد إبراهيم أفنـــدي حلمي العمر ومزاحم الباجه جي فبرز عددها الأول في ٣ تشرين الأول سنة ١٩١٣م.

غنجة اتحاد:

جريدة أدبية تركية عربية أصدرهـــا فـــي بغـــداد صــــلاح الديـــن الكركوكلي فبرز عددها الأول في ٣ كانون الأول سنة ١٩١٣م.

مكتب:

جريدة أدبية عربية تركية أصدرها في بغداد المحامي يونس وهبـــي أفندي فبرز عددها الأول في أواخر كانون الأول سنة ١٩١٣م.

صدى الإسلام:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عطاء الله أفندي الخطيـــب فبرز عددها الأول في ٢٣ تموز ١٩١٥م.

المجـــــلات

زهيرة بغداد:

مجلة أدبية شهرية أصدرها في بغداد الآباء الكرمليون فبرز عددها الأول في صفر سنة ١٣٢٣هـ يقابلها ٢٥ مارت سنة ١٩٠٥م وكانت تطبع في(الجلاتين).

الأيمان والعمل:

مجلة دينية على غرار مجلة(زهيرة بغداد) أصدرها الآباء الكرمليون المذكورون فبرز عددها في أواخر صفر سنة ١٣٢٣هـ يقابلها سنة ١٩٠٥م.

تنوير أفكار:

مجلة دينية سياسية كانت تصدر في بغداد مرة في كل شهر صاحبها عبد الهادي الأعظمي ومديرها المسؤول نعمان الأعظمي فبرز عددها الأول في ٢٠ شعبان سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٣٢٦ رومية.

العلوم:

مجلة علمية أدبية صحية تاريخية أصدرها في بغداد رزوق عيسى فبرز عددها الأول في ٢٧ شوال سنة ١٣٢٨هأ يقابلها أول تشرين الثاني سنة ١٩١٠م.

لغة العرب:

مجلة شهرية أدبية أصدرها في بغداد الأباء الكرمليون فكان الأب أنستاس ماري الكرملي صاحبها والشيخ كاظم ألدجيلي مديرها المسؤول فبرز عددها الأول في غرة رجب سنة ١٣٢٩هـ يقابلها تموز سنة ١٩١١م.

الرياحين:

مجلة أدبية تهذيبية أخلاقية كانت تصدر في بغداد مرة في كل شهر موقتا صاحبها إبراهيم منيب الباجه جي ومديرها ومحررها إبراهيم صالح شكر فبرز عددها الأول في غرة جمادى الأول سنة ١٣٢٢هـ يقابلها ١٥ مارت سنة ١٣٢٩ رومية.

الحياة:

مجلة شهرية سياسية اقتصادية تاريخية اجتماعية أصدراها في بغداد إبراهيم حلمي العمر وسليمان الدخيل فبرز عددها الأول في غرة صفـو سنة ١٣٣٠هـ يقابلها كانون الثاني سنة ١٣٢٧ رومية.

الرصافة:

مجلة دينية تاريخية علمية أصدرها في بغداد السيد محمد صـادق الأعرجي فبرز عددها الأول في جمادى الأولى سنة ١٣٣١هـ يقابلـها سنة ١٩١٣م.

جهاد :

مجلة علمية أدبية أصدرها في بغداد باللغة التركية عثمان عزت آل كاتب الفارسية فبرز عددها الأول في أول نيسان سنة ١٩١٣م.

شمس المعارف:

مجلة عربية علمية أدبية تاريخية أسبوعية أصدرهـا فـي بغـداد إبراهيم صالح شكر فبرز عددها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٣م.

سبيل الرشاد:

مجلة دينية علمية اجتماعية فلسفية تاريخية أصدرها في بغداد محمد رشيد الصفار فبرز عددها الأول في ١٨ آذار سنة١٩١٢ م.

الغرائب:

مجلة فكاهية ذات روايات غرامية ووقائع تاريخية أ صدرها في بغداد المعلم داود صليوا فبرز عددها الأول في شباط سنة ١٩١٣م.

مقتبسات:

مجلة علمية اجتماعية أصدرها في بغداد عيسى أفندي ريزه لي باللغتين التركية والعربية فبرز عددها الأول في ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٢هـ يقابلها أول مايس سنة ١٩١٤م.

النور:

مجلة علمية أدبية تاريخية أصدرها في بغداد السيد محيي الدين فيض الله الكيلاني ومديرها المسؤول عبد الجبار أفندي سعد الله السكوتي فبرز عددها الأول في غرة شعبان سنة ١٣٣٢هـ يقابلها سنة ١٩١٤م.

(بانك كورد) صدى الكرد:

مجلة أدبية أصدرها باللغتين التركية والعربية في بغداد جمال الدين بابان فبرز عددها الأول في ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٢هـ يقابلها سنة ١٩١٤م.

الألقاب العثمانية

في الدولة العثمانية ألقاب متعددة أولها(خان) بمعنى الحاكم وقد ألحقت هذه الكلمة بأسماء سلاطين آل عثمان للاحترام مثل السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان عبد المجيد خان، ومنها (باشا) مكونة من باش آغا والآغا الرئيس وقد استعملت عنواناً في الدولة العثمانية لأصحاب المناصب من عسكريين وملكيين والوزراء، ومنها(بك) بمعنى الكبير والحاكم والرئيس وهي عنوان لابناء الذوات ولأصحاب المناصب والرتب الملكية والعسكرية المتوسطة،ومنها(أفندي) وهي عنوان لأسماء صغار الموظفين في الدولة وتلحق بأسماء أولاد السلاطين للاحترام، وفي سنة ١٣٢٧هـ يقابلها سنة ١٩٠٩م قرر مجلس التركي إلغاء ألفاظ التعظيم وبهذا زالت عثرة كبيرة في أسلوب التحرير والكتابة في الدوائر التركية.

العرائض في اللغة العربية:

كانت الحكومة العثمانية لا تسمح باللغة العربية في مخابراتها الرسمية ما عدا الجرائد والمجلات وبين الناس وبعد إعلان

المشروطية(الحرية) وردت الأوامر بأن العرائض التي تقدم إلى دائرة العدلية يصبح أن تقدم باللغة العربية ولما انتشر الخبر في بغداد فرح الناس فرحاً لا مزيد عليه لاسيما كتاب العرائض لأن أكثرهم لا يحسنون الكتابة باللغة التركية ولو أنهم يتكلمون بها.

النقود العثمانية الذهبية:

كانت النقود المتداولة في العهد العثماني في بغداد متوفرة وحسنة التداول في طليعتها النقود الذهبية وذو الخمس ليرات يساوي الآن عشرين ديناراً وذو الليرتين والنصف يساوي الآن عشرة دنانير وذو الليرة الواحدة يساوي الآن ثلاثة دنانير ونصف والنصف ليرة يساوي الآن ديناراً وسبعمائة وخمسين فلساً والربع الليرة يساوي الآن ثمانمائة فلس.

النقود العثمانية الفضية:

أما النقود الفضية مجيدي الواحد يساوي الآن ريال ٢٠٠ فلس ونصف مجيدي يساوي الآن درهمان ١٠٠ فلس وربع مجيدي يساوي الآن درهم ٥٠ فلساً وذو القرشين يساوي الآن عشرين فلساً وذو القرش الواحد يساوي الآن عشرة فلوس، وهنا أود أن انبه القارئ أن كل قرش صحيح يساوي أربعة قروش رايج وهذا يساوي عشرة بارات بمعنى أن القرش الرايج وهو من النيكل. والشيء الغريب في بابه هو أن الحكومة

العثمانية كانت موافقة على تداول العملة الأجنبية وخاصة العملة الإيرانية وهي(قران) ويسمونه أهل بغداد(منكنه) بالكاف الفارسية ونصف(قران) وربع(قران) ويسمى(أم قمري) وأم ست فلوس وتسمى(بيجوة) و(شاهية) وهي من النحاس، والعملة الإنكليزية(روبية) الهندية فقط وان الحكومة العثمانية إذا أرادت أن تبيع الملح -والملح يومذاك لا يباع بالأسواق كما هو اليوم - والذي يشتري الملح يجب عليه أن يشتري بالعملة العثمانية ولا يباع بالعملة الأجنبية وبقي هذا الأمر إلى أن نزحت الحكومة العثمانية عن بغداد، وبعد أن أعلن الحكم الوطني في بغداد اخذ بعض الأعراب البدو يجلبون الملح على ظهور الجمال ويبيعون بالطرق بدون معارض يعارضهم.

وفي سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م أيام الوالي حسين جلال بك وردت أوراق نقدية عثمانية للتداول بها وأقسامها الليرة مائة قرش صحيح ونصف الليرة خمسين قرشاً والربع ليرة خمسة وعشرين قرشاً وذي العشرين قرشاً وذي القرشين وذي القرش الواحد.

وكان مصير هذه النقود التدهور الفظيع ولذلك ساءت الحالة في بغداد وبلغ أهلها الضيق والجهد وكانوا يعانون الأمرين من جراء النقود والتعامل بالأوراق النقدية وأنها لا فرق بينها وبين الذهب وهددوا بلزوم تقديم الذهب إلى(رئيس لوزام الفيلق) ومن وجد عنده هدمت داره ومنع التعامل بالنقود المعدنية(النيكل) وأمروا بتداول الأوراق النقدية الصغيرة وأنها لافرق بينها وبين الذهب وأشتدت الأزمة على اليهود في أخريات الحرب العظمى وكان يضيق معاون الوالي فائق بك ومدير الشرطة سعد الدين بك الخناق عليهم كلما هبط سعر الأوراق المالية

التركية وينسبان هذا الهبوط إليهم وإلى تلاعبهم بسعرها وأجبرت الحكومة التجار أن يبدلوا الليرة الورق بالذهب وعينت مقدارا على كل تاجر في كل شهر.

وقبضت الحكومة قبل احتلال بغداد على عدد من اليهود ونكلت بهم سرا تنكيلا شنيعا وجدعت أنوفهم وقطعت آذانهم وسملت عيونهم ثم وضعتهم في أكياس والقتهم في نهر دجلة، ومهما كان من ظلم العثمانيين لليهود في أبان الحرب فانهم قد استفادوا في تجارتهم فائدة عظيمة واثرى كثيرون منهم لأن مقاليد التجارة بيدهم وكانت مخازنهم مشحونة بضائع وارتفعت الأسعار ارتفاعا هائلا.

مجلس المبعوثين(النواب):

وعلى أثر إعلان الحكومة العثمانية(الحرية) وتنفيذ أحكام الدستور فقد أعلنت أجراء الانتخابات النيابية وقد جرى بكل هدوء وسكينة فحاز أكثرية الأصوات الذوات الآتية أسماؤهم فأصبحوا(نوابا) وكانوا يسمون النواب(مبعوثان) فمن ولاية(بغداد) إسماعيل حقي بابان والحاج علي الألوسي وساسون حسقيل، وعن ولاية(الديوانية) السيد مصطفى نور الدين الواعظ وشوكت باشا بن رفعت بك، وعن ولاية(كربلاء) الحاج عبد المهدي الحافظ، وعن ولاية(البصرة) السيد طالب النقيب وأحمد باشا الزهير، وعن(المنتفك) (الناصرية) رأفت السنوي وخضر لطفي، وعن ولاية (الموصل) محمد علي حافظ وداود اليوسفاني، وعن

مدينة(السليمانية) الحاج ملا سعيد كركوكلي زاده، وعن مدينة(العمـــارة) عبد المحسن بك السعدون وعبد المجيد الشاوي.

وبعد أن أخذ المبعوثان أي النواب أهبتهم للســـفر إلـــى اســـتانبول ليمثلوا أمة العراق في مجلس النيابي العثماني غادروا بغداد يوم الجمعة ١١ ذي الحجة(عيد الأضحى) سنة ١٣٢٦هـــ ووصلوا استانبول فـــي ٩ المحرم سنة ١٣٢٧هـــ وقد نظم الشاعر معروف الرصافي في هـــؤلاء المبعوثان النواب أبياتا وهي:

يا أهل بغداد متـــى ينجلـــي   هذا العمى عنكم وهذا الفـــتور
قـــد أعلـــن الدستور لكنكـــم   لم تظفروا منه ولا بالقشـــــور
يقول من شاهـــد مبعوثكـــــم   سبحان من يبعث من في القبور

خلع السلطان عبد الحميد ونصب محمد رشاد:

في يوم الثلاثاء ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧هـــ يقابلها ســـنة ١٩٠٩م انعقد المجلس العمومي من الأعيان والمبعوثين وبعد المذاكرة رأوا مـــن المصلحة خلع السلطان عبد الحميد وإنزاله عن عرش السلطنة وإجلاس ولي العهد السلطان محمد رشاد الخامس نجل السلطان عبد المجيد وبعـــد تلاوة الفتوى واعطاء القرار بالخلع انتخب المجلس هيئتين هيئـــة تبلـــغ السلطان عبد الحميد بالخلع وهيئة تبلغ السلطان محمد رشاد بالبيعة.

ثم توجه أعضاء المجلس العمومي من الأعيان والمبعوثين إلى محل المبايعة وهو دائرة(السر عسكر) وحضر محمد رشاد وأول من بايعـــه شيخ الإسلام والصدر الأعظم وتلاهما أعضاء المجلس العمومـــي مـــن

الأعيان والمبعوثين ثم وكلاء الدولة والـــوزراء والعلمــاء والمشــائخ وأجريت المراسيم المعتادة والاحتفال العظيم وأطلقت المدافع ١٢١ طلقة وعندما وصل الخبر إلى بغداد أطلقت المدافع أيضـــا وزينـــت المـــدن ورفعت الرايات وعم الفرح والسرور في جميع أنحاء البلاد وقد تشـــاءم الناس من سلطنة محمد رشاد وأصبحوا يقولون(إذا حكم رشـــاد ســـبى العباد) ودامت سلطنته أيام الحرب العظمى إلى ما بعد ســـقوط بغـــداد واحتلال البريطانيين لها وكان واليا في بغداد حين ارتقاء السلطان محمد رشاد عرش السلطنة الوالي نجم الدين ملا وهو من الولاة المخضرميـــن أدرك العهدين عهد الاستبداد وعهد الحرية.

الوالي نـاظم بـاشا:

المشهور أن الوالي ناظم باشا من الولاة الذيـــن خلـــدت مـــآثرهم وأعمالهم في تاريخ الولاة الذين قدموا إلى بغداد، وجدير بنا البحث فـــي أيام حكمه وما نجم عنها من إصلاحات شاملة ورقي زاهر دخل نـــاظم باشا بغداد بعد أن تطلعت إليه الأنظار واشرأبت أليه الأعناق وذلك يـوم الخميس ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨هـــ يقابلها سنة ١٩١٠م وهو مزود بصلاحيات واسعة فيما يختص بالولايـــات الثـــلاث بغـــداد الموصـــل والبصرة ولم يحل ببغداد بعد الوالي مدحت باشـــا واليـــا نـــال شـــهرة واكتسب ذكرا كناظم باشا ولما تربع على دست الولاية اتصل برؤســـاء بغداد وسبر غورهم وجس نبضهم وشمر عن ساعد الجد والعمـــل وأول عمل عمله جدد الحياة العسكرية في الدولة لأنه كما نعته الوالي ســـليمان

تنظيف بك بأنه أكبر جندي في الجيش العثماني، وأخذ ينظم الجيش وزوده بأسلحة حديثة الطراز وجدد ألبسته وجعل له معسكرا خارج بغداد وجمعه فيه ومنح الجنود رواتبهم المتأخرة، وكان قبل إعلان الدستور في حلول مواسم الأعياد يهجم الجنود على أسواق بغداد لنهب ما في الحوانيت لعدم دفع الرواتب لهم ويسمى هذا النهب(فرهود) ثم أمر الوالي ناظم باشا بجمع العساكر أي الجنود وأخذ يعمل لهم بين الآونة والأخرى(مناورة) أي تدريبا عسكريا وذلك في شمال باب المعظم في محل محطة قطار شمالي بغداد الحالية ولم أنس ليلة من ليالي المناورات وقد تعالى بها هدير أصوات المدافع والرشاش وأزيز الرصاص وصراخ الجنود المتوالي وبذلك أرهب الناس والعشائر وأمنت السبل وساوى بين القوي والضعيف والغني والفقير.

فتاوى العلماء:

وأحسن عمل عمله ناظم باشا وهو من باكورة أعماله مهمة العشائر ورفع غوائلها فلقد استطاع أن يحصل على فتاوى من علماء الحنفية والجعفرية بقتل الذي يتجاهر بالظلم والذي يستولي على أموال الناس بطريق النهب والسلب بحجة الغزو وإصدار هذه الفتوى عن أبناء الحنفية مفتي ولاية بغداد العلامة محمد سعيد الزهاوي والعلامة الشيخ غلام رسول من علماء الهند المقيم في بغداد ونقيب أشراف بغداد السيد عبد الرحمن النقيب العلامة السيد نافع الطبقجه لي والعلامة الشيخ عبد الوهاب النائب مدرس جامع منورة خاتون والعلامة السيد محمود شكري

الآلوسي مدرس جامع الحيدرخانة والعلامة الشيخ محمد سعيد مدرس جامع الإمام الأعظم وعن علماء الجعفرية العلامة الشيخ كاظم الخراساني من النجف والعلامة الشيخ عبد الله المازندراني من النجف أيضا والعلامة السيد محمد القزويني من الحلة والعلامة الشيخ محمد حسين من كربلاء والعلامة الشيخ محمد باقر من كربلاء أيضا والعلامة السيد إسماعيل الصدر من الكاظمية.

وكانت لهذه الفتاوى الأثر العميق في نفوس أبناء العشائر فسكتوا مدة بقاء الوالي ناظم باشا في بغداد وعادوا إلى ما كانوا عليه من الغزو والتمادي في السلب والنهب.

وعلى أثر إصدار هذه الفتوى أمر في جمع العشائر كلها في بغداد وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا أغدق فيه على رؤسائهم النعم وخلع عليهم الخلع فأحبه الجميع وأطاعوه وناهيك عن محبة أهل بغداد له وانه إذا مر في سوق بغداد وأزقتها تقف له الجماهير حبا به وخشية منه!

تنظيف الطرق:

ومن أعماله التي سجلت بمداد الفخر والإعجاب تنظيم أزقته الضيقة وعدم طرح أوساخ(زبالة) البيوت فيها وعمل عربائن خشبية أعدت لحمل تلك الأوساخ ونقلها خارج المدينة بعد أن كانت تحمل بواسطة الحمير والذي مكلف بحمل الأوساخ يقف صباحا في المحلة وبيده(جرس) كبير يدق به دقات متوالية تنبيها لذوي البيوت ليخرجوا ما لديهم من الأوساخ فيتناولها ويلقيها في العربة المعدة لحمل الأوساخ

وهكذا تعود أهل بغداد على تلك الحالة المفيدة لما أمر بوضع ما يستخرج من المراحيض في علب(تانكيات) من الصفيح وطرحه في المحل المعد له بدلا من وضعه في(الظروف) المعمولة من جلود الغنم التي تحمل بواسطة الحمير بوضع يستلفت النظر.

الكلاب السائبة:

ولا ننسى كلمة(الحبل) والتي مضى عليها عدة سنوات والحبل هو الذي تربط به الكلاب السائبة التي يقبض عليها وإيداعها بمحل اعد لها قرب مقبرة اليهود ببغداد والشيء المضحك أن كل كلب في ذلك العهد يسمع كلمة(حبل) يهرب فترى الأولاد الصغار حينما يشاهدون كلبا ينادون(حبل حبل) فيهرب الكلب لمجرد سماعه هذه الكلمة.

فتح شارع النهر:

ولم تكن أعمال الوالي ناظم باشا مقتصرة على هذا فقط بل تعددت إلى مشاريع عمرانية أخرى منها فتح شارع النهر وأمر بفتحه على القنصلية الإنكليزية وشطرها شطرين وهذه القنصلية يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٩٧م وتتمتع بامتيازات لم يبلغها غيرها من القنصليات فلها ١٢ قواسا وعدد من الجنود المسلمين الهنود يبلغون ٦٠ جنديا وكان تحت تصرف هذه القنصلية باخرة صغيرة يقال لها(كوميت) وأهل بغداد يسمونها(مركب كمد) وكانت ملازمة لهذه القنصلية ليلا ونهارا.

جمع العشائر لعمل السد:

وأمر الوالي ناظم باشا بجمع العشائر لعمل سد ضخم وبضمنهم عمال بغداد وهذا السد يحيط بمدينة بغداد من شرقيها ليقيها من الغرق وقد سمى هذا السد باسمه وإلى الآن يسميه أهل بغداد(سدة ناظم باشا) وبهذا العمل ساعد أبناء العشائر وأهل بغداد مساعدة كانوا أحوج الناس أليها.

الإفطار في رمضان:

وأحسن عمل له يشكر عليه فقد مر في عهده رمضانان ولم نر من يتجاهر بالإفطار في رمضان فكل من تراه الشرطة(البوليس) مفطر تجلبه إلى مركزها وبعد أن تجلده عشر جلدات تحكم عليه المحكمة بالحبس لمدة شهر فكان لرمضان في زمنه حرمة عظيمة ومكانة مرموقة.

عزل ناظم باشا:

روعت بغداد بعزل والي بغداد ناظم باشا وقد وقع النبأ وقوع الصاعقة على أهل بغداد فقامت المظاهرات وكثرت الاحتجاجات من قبل أهل بغداد وفي مقدمتهم الوجيه عبد القادر باشا الخضيري وقد ضحى بمال كثير وهو في دائرة البرق والبريد يخابر استانبول ويندد

بعزل هذا الوالي المصلح وكان الواسطة بينه وبين الحكومة في استانبول مبعوث الحلة العلامة المرحوم السيد مصطفى نور الدين الواعظ الذي بذل كل ما في وسعه في إبقاء ناظم باشا واليا على بغداد ولكن إرادة(الباب العالي) في استانبول أصرت على عزله وفي يوم الجمعة ١٦ ربيع الأول سنة١٣٢٩ هـ يقابلها سنة ١٩١١م أودعت وكالة ولاية بغداد إلى الفريق يوسف باشا بناء على عزل الوالي ناظم باشا ويا ليت كنا نعلم ما هو السبب عزل هذا المصلح الكبير.

لقد تكاثرت الأقوال وتباينت الحجج فمن قائل يقول أن عزله كان إرضاء للحكومة الإنكليزية لهدم قنصليتها وآخر يقول من ازدياد الشغب الذي حصل عليه من جراء قضية(سارة خاتون) بنت أوانيس أسكندر الأرمنية وفحواها أن أحد الضباط من أعوان ناظم باشا أحب(سارة خاتون) وأراد أن يتزوجها فامتنعت عن ذلك فتدخل بالأمر ناظم باشا فحدثت شكاوى عليه وكثرت الأحاديث ولما لم يجد أعداء ناظم باشا غير هذه القضية ذريعة يشوهون بها سمعته جعلوها وسيلة للتنديد بأعماله ولقد انتهز الشاعر جميل الزهاوي هذه الفرصة فنظم قصيدة بعنوان(طاغية بغداد) هاجمه فيها ويصف بها قضية (سارة خاتون) الأرمنية ولا عجب من الزهاوي إذا ما هاجم هذا المصلح فان الاتحادية هي التي دفعته إلى هذه الثورة النكراء تجاه ناظم باشا وفي يوم الثلاثاء صباح ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م غادر ناظم باشا بغداد قاصدا استنبول ولسان حاله يقول:

لا تلم كفي إذا السيف نبا   صح مني العزم والدهر أبى

قتل ناظم باشا:

وبعد وصول ناظم باشا إلى استانبول ولامر يريده الله عين وزيـــرا للحربية خلفا للمرحوم محمود شوكت باشا شقيق الأستاذ حكمت سـليمان ولم يكد ناظم يتمتع بالحكم حتى غاله القدر المحتوم وفي ١٥ صفر سنة ١٣٣١هـ يقابلها كانون الأول سنة ١٩١٣م اغتيل فشق نعيه في جميـع الممالك التركية عامة وبغداد خاصة وبكاه الكبير والصغير لما له مـــن المحبة في قلوب أهل بغداد ورثاه الشاعر عبد الرحمن البناء بقصيـــدة بعنوان(شهيد الحق) وقد أرخ بها عام وفاته وهي:

بكينا دما لا بالدمــــوع السواجم — عليك شهيد الحق يا خيـــر ناظم
بكينا فابكينا العــــــداة كرامـــة — عليك ذكاء المـجد بــدر الأكارم
بكينا فابكينا الامـــاجد رحمـــــة — عليك أبا الإصلاح رب المراحـم
أناظم عقد المجد والفخر ضوالنهى — عليك اضطربنا كاضطراب الاراقم
أناظم سالمت الزمـــان بعفــــــة — ولم تدر أن الدهر غير مســـالم
أناظم لو تدري بفقدك ما جـــرى — فقد بدلـــت أفراحنـــا بالمآتـــم
أناظم ما فزنا برؤيـــاك مــــرة — وما قد كسبنا غير عض الاباهم
أتى فوق جنح البرق نعيك طائرا — فلله صيت طائر في العوالـــم
ولا جئتنا يا ذا(التلغراف) مخبـــر — قضى ناظم نحبا بضربة ظالـم
فما جئتنا إلا .وطـــارت نفوسنـــا — شعاعـــا تلبيـــه بغير قـــوادم
كفاه افتخارا قائد الجيش قد قضى — شهيدا ولم يقتل بحرب المخاصم
وراح لدار الحق بالحــق فائــزا — ولم يلتفت نحو الخطوب الهواجم
وخاطر في نفس علينا عزيـــزة — وبالعز قد وافى الردى غير سادم

له الهمة الكبرى بكـل ملحمـة وكان سديد الرأي ماضي العزائم
وقد رامت البلقان تغضب ملكنا فقام له مثـل الشجا بالغلاصـم
عليه سلام الله ما ذكـر أمـرؤ وما قد بكت مثواه عين الغمائـم
عليه سلام الله مـا قـد تمايلت غصون وما هبت هبوب النسائم
عليه سلام الله مـن خير أمـة تنوح أسى لا مثل نوح الحمائـم
عليه سلام من قلوب حزينـة جروح بها لـم تلتئم بالمراهـم
عليه تحيات العراق وأهلـه مضمخة من ماء ورد الكمائـم
عليه من الزوراء آلف تحيـة عليه شذاهـا ترتدي باللطائـم
سأنظم في علياه در مدامعـي بعقد ولاء زين في سلك ناظـم
أناشدكم يا أمة الفخـر والعلـى بحريـة شيدت بخيـر دعـائـم
فمذ أعلن الدستور وانشق نوره فهل قد قضى أرخ شهيدا كناظـم

الوالي جمال باشا:

كان الوالي جمال باشا كسائر الولاة الذين اشتغلوا منصب الولاية في بغداد وكانت الأخبار ترد من حين لآخر عن حركاته في طريقه إلى بغداد حتى وصل يوم السبت أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م.

وأول عمل قام به تأييد ما قام به الوالي ناظم باشا ونشر بيانا أعلنه للعشائر وجمعهم في بغداد كما فعل ناظم باشا مهددا لهم بأن الغزو أمـو مرذول لا يجوز الأقدام عليه ووعد في بعض المشاريع التي سيقوم بـها ومنها إنشاء جسر حديدي ببغداد وجسور أخرى وكـان قصـده بـهذه

المواعيد تطمين الآهلين وهي(كمواعيد عرقوب) وسرعان ما جهز قـوة عسكرية بقيادة(اليوزباشي) سليمان عسكري الذي صار مؤخـرا قـائد الجيش في الحرب العالمية فقام بإرهاب العشـائر وتنكيـل رؤسـائها وصارت تحصل الضرائب بالقوة وفي عهد جمال باشا أعلنت إيطاليـا الحرب على الدولة العثمانية في ١٨ شوال سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سـنة ١٩١١م وحصلت فـي بغـداد مظـاهرات وتجمـع النـاس فـي دار الحكومة(السراي) وابدوا السخط والاستنكار من أعمال إيطاليـا فتكلـم الوالي جمال باشا بخطاب وخطب الشاعر جميل الزهاوي وحث النـاس على الجهاد.

لقد كان جمال باشا- كما وصفه الأمير شكيب أرسلان- ذكي الفؤاد متوقد الذهن سريع الفهم ماضي العزم مهاب الطلعة ولكنه كان سـريع الانفعال متكهرب الأعصاب مغرما بالمجد مولعا باكتساب الذكر البعيـد متغطرسا جبارا مفتونا بأن يوصف بالجبروت محبا للانتقام والبطـش، ولقد جنت الدولة العثمانية جناية كبرى على نفسها وعلى العرب والترك معا بأن سلمته زمام سوريا مدة الحرب تسليما مطلقا فمضى في شهواته وأهوائه غير حاسب ولا مراقب ولا ناظر شيئا من العواقب وقد قضـى على أحرار العرب في الشام وبهذا عرف بالسـفاح وان الذيـن قتلـهم أبرياء من جناية الدولة ولم يكن لهم ذنب سوى وجودهم فـي الحـزب المعارض لحزب الاتحاد والترقي والقانون العثماني لا يعـرف حـزب الاتحاد وإنما يعرف السلطنة العثمانية مع العلم أن أحرار العرب الذيـن فتك بهم لا يوجد لفريق منهم وثائق خطية ولاقرائن قطعية توجب الفتـك بهم وقد برر جمال باشا هذا العمل من بـاب القتـل السياسـي وهـذا

الإغراق في التشفي والتعذيب لا مبرر له ولا يؤيده قانون ولا يقره عدل ولاأنصاف!

وفي مدة ولايته في بغداد اشتهر بالمخازي والموبقات وعكف على رقص(الدانص) مع(مدامة) مدير البانق العثماني وكان يقيم في قصر عبد القادر باشا الخضيري على نهر دجلة قرب(الدباغخانة) وبيته مجاورا لبيت جمال باشا.

استقالة جمال باشا:

وبعد قبول استقالة الوالي جمال باشا من منصب ولاية بغداد سافر إلى استانبول من طريق حلب في عصر يوم السبت ٤رمضان سنة ١٣٣٠هـ يقابلها ١٧آب سنة ١٩١٢م وهناك نال وظائف عديدة منها متصرفيات وولايات حتى ارتقى إلى وزارة البحرية فذهب إلى سورية قائد جبهة فهاجم(قناة السويس)وكان نتيجة هجومه الخيبة والفشل فعاد إلى وزارة البحرية وبعد متاركة(موندروس) تغيب عن استانبول وقضى مدة في أوربا ثم سافر إلى الأفغان لتنظيم الجيش وبعد ذلك عاد إلى(برلين) عاصمة المانية ليرى أسرته وفي أثناء عودته إلى الأفغان ظفر به الأرمن في(تفليس) واغتالوه مع ولديه، وهكذا انطوت صحيفة هذا السفاح.

أهم الحوادث في بغداد

شاه إيران:

في يوم الاثنين ٢٨ شعبان سنة ١٢٨٧هـ يقابلها سنة ١٨٧٠م حل ببغداد ناصر الدين شاه لزيارة العتبات المقدسة وقد حل ضيفا على الحكومة العثمانية أيام الوالي مدحت باشا وكان الاحتفال بقدومه باهرا فاستقبله الجند من خانقين وقد بنى له قصرا في حديقة المجيدية ليكون له مسكنا طيلة إقامته في بغداد.

سقوط مطر في الصيف:

في يوم السبت ١٢ شعبان سنة ١٢٩٥هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م أيام الوالي عبد الرحمن باشا سقط مطر في بغداد بالصيف ومثل هذا المطر لم يقع إلا نادرا وقد أرخ عام سقوطه والدي مصطفى العلاف بقوله:

في الصيف غيث قد هما أرخ(بغير محله)
١٢٩٥

قحط وغلاء :

وفي أيام الوالي عبد الرحمن باشا سنة ١٢٩٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٠م حصل قحط وغلاء في بغداد وشمل ولايات كركوك والسليمانية والموصل وكان غلاءا خطرا حتى أصبحت جثث الموتى مكدسة بالطرقات والأسواق كما أن البنات والأولاد بيعت بثمن بخس لعدم قيام أهلها بمعيشتها وسمي هذا الغلاء بمجاعة(البرسيمة) أي جوعان باللغة الكردية، لان الكرد حينما نزحوا من كركوك والسليمانية فرارا من الجوع الذي أصابهم ودخلوا بغداد صاروا ينطقون بكلمة(برسيمة) أي جوعان.

الهيضة(أبو زوعة) :

لقد ابتلى الله هذا البلد الأمين(بغداد) بكوارث عديدة منها القحط والغلاء والغرق والوباء وآخر ما حل به هو مرض الهيضة(ابو زوعة) كما يعبر عنه، وفي سنة ١٣٠٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٩م ظهرت الهيضة في بغداد أيام الوالي مصطفى عاصم باشا وبظهور هذا المرض الفتاك غلقت الأسواق وتعطلت الأعمال وفر الكثير من الآهلين وبضمنهم اليهود وأكابر البلد إلى القرى المجاورة لبغداد واستمر هذا الموض ٣٠ يوما وبلغ مقدار الوفيات كل يوم ما ينوف على المائة وثلاثين الأمر الذي احدث قلقا عظيما واضطرابا بين سكان بغداد .

المشير رجب باشا:

في يوم ٩شوال سنة ١٣٠٨هـ يقابلها سنة ١٨٩٠م وصل إلى بغداد المشير رجب باشا قائد(آلتنجى اوردوى) أي الفيلق السادس فاستقبل بحفاوة بالغة من قبل أهل بغداد.

كان المشير رجب باشا ضابطا في بغداد قبل تعينيه قائدا وعرف أهل بغداد مزاياه واعماله الطيبة.

وكان في أيامه الفريق شعبان باشا آمر لواء كركوك وقد نقله المشير رجب باشا إلى كركوك، ومن النكات الظريفة التي جرت بين المشير رجب باشا وبين الفريق شعبان باشا وهي بعد مدة من نقل شعبان باشا إلى كركوك طلب من المشير رجب باشا نقله إلى بغداد لانه سئم المقام في كركوك فاجابه رجب باشا بجملة لطيفة بالعبارة التركية وهي:(رجب جقماز ايسه شعبان كره مز) بمعنى لايدخل شعبان ما لم يخرج رجب!

كنز نقود عباسية:

في أيام الوالي نامق باشا الصغير عثر يوم السبت سنة ١٣١٧هـ يقابلها سنة ١٨٩٩م على شاطئ دجلة من خضر الياس بجانب الكرخ على دفينة(كنز) وكيفية العثور عليها أن قفافا اسمه صالح بن خلف المشهداني مر من هناك حينما أراد العبور بقفته إلى جانب الرصافة فصادف(بستوقة) وعند لمسها بغرافته انكسرت فانصبت النقود الذهبية

منها واندفعت في النهر وقد أخبرت الحكومة بالأمر وأمرت الغواصين بإخراج النقود الذهبية من الماء وبنتيجة إحصائها بلغت ثلاثة آلاف قطعة من المسكوكات العباسية، وقد أرخ والدي مصطفى العلاف عام العثور على هذا الكنز الثمين بقوله:

وربَّ كنز دام في مخبأ — به صروف الدهر تعتز
واليوم لما أن بدأ ظاهرا — أرخته قد ظهر الكنز

١٣١٧هـ

اهتزاز في بغداد:

في ليلة ٧جمادي الآخر سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م أيام الوالي الحاج حسن باشا حدث اهتزاز في بغداد مرتين متواليتين وقد استولى الخوف والرعب في قلوب الناس وصاروا لايامنون على حياتهم بسبب هذا الحادث المفزع.

سقوط وفر(ثلج) :

في ٢٠المحرم سنة ١٢٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالي جمال باشا اجتاحت بغداد موجة وفر(ثلج) مصحوبة ببرد شديد وتعطلت حركات السير والمرور وقد بدأ الوفر يتساقط كالقطن المندوف طول الليل فغشى جميع الطرق وكافة سطوح الأبنية والنخيل والأشجار وكسا قبب الجوامع والمآذن حلة بيضاء وأصبحت تزهو بمنظرها الجذاب

ووضعها الغير منتظر وتكرر سقوط الوفر في يوم الاثنين صباحا من ذلك الشهر ومثل هذا الحادث الغريب لم تألفه بغداد من زمن بعيد!

سكة حديد بغداد:

في صباح يوم السبت سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢ م أيام الوالي جمال باشا احتفل بوضع الحجر الأساسي لسكة حديد بغداد في جانب الكرخ وهذه هي سبب النزاع الحاصل بين الدولة الألمانية والدولة البريطانية وقد حضر الاحتفال كافة رجال الحكومة العثمانية من عسكريين وملكيين وقناصل الدول وكان الاحتفال عظيما ما شاهدت بغداد مثله.

حريق في خان النفط:

وفي مساء يوم السبت ٢٣ جمادي الأولى سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا حدث حريق هائل في بغداد بخان النفط الواقع في محلة العوينة العائد إلى السيد محمد السيد محسن آل العطار وهم السادة الحسنيون المعروفون في بغداد ودام إلى يوم ٣٠ من الشهر أي إلى يوم السبت كان ما التهمته النار يربو على ثلاثة عشر آلف صندوقا من النفط و٢٥٠ صندوقا(اسبرتو)و٢٠٠ صندوقا من(البانزين) وقد كنا نشاهد صفائح النفط تتطاير بعد الانفجار في الجو وهذا اعظم حريق في بغداد عرفته الحكومة العثمانية.

حريق ثان في معمل العباخانة:

في يوم الجمعة ١٤ جمادي الأخرى سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا شبت نار في معمل العباخانة العسكري الذي أسسه الوالي مدحت باشا ودام أربع ساعات وقد احترقت جميع الأقمشة المخزونة فيه وبعد الجهد المتواصل أخمدت النيران وتقدر الأضرار التي نجمت من جراء هذا الحريق بخمسة آلاف ليرة ذهب عثمانية.

حريق ثالث في سوق الشورجة:

في يوم الجمعة ٢٧رجب سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا حدث حريق ثالث في خان عبد العزيز في سوق الشورجة التهمت النار جانب سوق العطارين مقابل(خان الدجاج) وامتدت النار إلى جامع مرجان وقد بذل أهل بغداد همة تشكر لإنقاذ هذا التراث الخالد ولولاهم لذهب أكلة سائغة لهذا الحريق وقد دام هذا الحريق نحو أسبوع وتقدر الخسائر التي تكبدها الحاج عبد العزيز نحو اثني عشر ألف ليرة عثمانية، ومن سوء حظ الوالي جمال السفاح أن هذه الحرائق حدثت أبان حكمه في بغداد.

استشهاد محمود شوكت باشا:

في يوم ٦رجب ١٣٣١هـ يقابلها ١٥ حزيران سنة ١٩١٢م روعت بغداد بنبأ خطير ومصاب عظيم وهو اغتيال بطل الحرية محمود شوكت باشا وكيفية اغتياله بينما كان راجعا من وزارة الحربية ذاهبا إلى الباب العالي وصلت سيارته إلى منعطف شارع(ديوان يولي) فرأى السائق نعشا محمولا على الأكتاف يحف في تشيعه خلق كثير فاضطر على توقيف السيارة احتراما إلى الميت وعندما وصل حاملو النعش إلى محل وقوف السيارة وإذا بالرصاص يدوي في الفضاء ومن جرائه أصيب محمود شوكت باشا فخر صريعا؟! وقد قتل معه مرافقه كما اصبح ذلك الشارع خاليا من الناس رغما على انه من أمهات الشوارع في الأستانة ولا يخلو من الازدحام المستمر ولم يبقى فيه سوى النعش مطروحا على الأرض وقد كان خاليا. هذه حادثة استشهاد بطل الحرية محمود شوكت باشا الذي لهج الناس به وكثر إطراؤهم فيه.

نال محمود شوكت باشا شهرة لم ينلها أحد من قبله فلقد اعتلى هذا البطل كرسي الصدارة العظمى وتقلد وزارة الحربية في وقت كانت شقة الخلاف متسمة بين حزبين متطاحنين هما حزب الاتحاد والترقي وحزب الائتلاف ونتيجة ذلك التطاحن اغتيل ونال رتبة الشهادة في ٦رجب سنة ١٣٣١ هـ يقابلها ١١حزيران سنة ١٩١٣م وقد نعته الحكومة العثمانية فوقع نبأ نعيه في بغداد وقوع الصاعقة واعترى أهلها الدهشة لهذا الحادث المؤلم والمصاب الجلل وقد رثاه الشاعر معروف الرصافي بقصيدة وهو إذ ذاك في استنبول وهي:

لقد بت مطروف النواظر بالسهـد   تقلبني فـوق الفـراش يد الوجـد
تساورني رقشاء من لاعج الجوى   ويقدح في قلبي الأسى واري الزند
فأرقب تغو ير النجـوم بمقلـــة   ترقرق فيهـا الدموع منفرط العقد
أقول وفرع الليل أسحم والأســى   يدب دبيب السم في العظم والجلد
متى يسفر الصبح الذي أنا راقب   أليس قميص الليـل عنه بمنـــقد
إلى أن رأيت الفجر قد لاح خيطه   كما أصلت السيف الجراز من الغمد
فما أنـا إلا غفـــوة فخيالـــة   لدى العالم العلوي في ربوة الخلد
رأيت كأني قمـت حـول سرادق   من النور مرفـوع الدعائم ممتـد
أقاموا لواء الحمـد فوق عمـاده   وخطو علـى حافاته سورة الرعد
وقد أشرقت ملء السمـوات حوله   قناديل خضر تستنيـر بلا وقـد
وقد لاح لي محمود شوكت جالسا   به فوق كرسي الجلالـــة والمجد
وفي يده سيف أجيـد صقالـــه   على أنه من صنـعة الله لا الهند
وفي الرأس تاج بالثنـاء مرصع   فويق جبين مشـرق بسنا الحمـد
وقد جللته بـردة سنـدسيـــة   ومن تحتها درع إلهيـة السـرد
وبين يديه زمرة من ملائـــك   مجنحة الأيدي غرانقـة مـــرد
تهنئة بالفوز طـورا وتـــارة   تحييه بالغـض الطري من الورد
وقد قام من حول السرادق موكب   عظيم به اصطفت ألوف من الجند
فلمـا رآنـي واقفـا بحيالـــه   وقد كنت بين الجند معتزلا وحدي
أشار أن اقرب يارصافي مالـــنا   نراك وحيدا قـد وقفت علـى بعد
فجئت وجسمي قد تغشته رجفـة   كما يرجف المقرور من شدة البرد
فقمت لديه وانحنـيت أمامــــه   فقبلت بالتعظيم حاشيـــة البـرد
فقال لقد آنست إذ جئت إننـــا   عهدناك من زوارنا مخلـص الود

ولا ترتجف هــون عليك فأنمــا نزلت قرين الأمن في منزل السعد
فأبلغ تحياتي إلى الوطـــن الذي سعيت إلى إعلائه باذلا جهـــدي
وقل لبنيه إنني لســـت حــاقـدا عليهم فمثلي لا يميل إلى الحقـد
وإني لما أن تمثلــت قائمـــــا بديوان ذي العرش الذي جل عن ند
طلبت لهم عفوا مـــن الله سابغــا وقلت له يارب لا تخزهم بعــدي
أيا رب أني قد قصدت نجاحـــهم فحقق لهم يا رب ما كان من قصدي
وأني لارجو منك مرحمـــــة لهم وإن قتلوني ظالمـــين على عمد
فاني أرى موتـــي بخدمة أمتـــي حياة به طعــم الشهادة كالشهـــد
ألا فاهدهم يارب للمجد والعلـــى فما من مضل في الأنام لمن تهدي
وقال أتدري من هم الجند انهـــم من استشهدوا في حرب أعدائنا اللد
ألم ترهم دامين حتـــى كأنمــــا تسربل كل لبـــدة الأسد الـــورد
فسوف يجول الله آداب صـــدعهم واغزوا العدى فيهم على الضمر الجرد
وأذن في الحي المـــؤذن غدوة وأحسست في رؤياي بردا على كبد
وأصبحت لم أملك بوادر عبـــرة تخط سطور الدمع في صفحة الخد
سأبكي واستبكي الجيوش على فتى فقدناه فقد الغيث في الزمن الصلد
فتى كان في أفق الـــوزارة كوكبا به في دجى الخطب الخلافة تستهدي
وقد كان في وجه الخطوب تبسما إذا عبست يوما بأوجههـــا الربد
وما مات محمود الخصال وإنمـــا تنقل من هذا الفنــــاء إلـــى الخلد
لئن غيبت عنا مرائيه فـــي الثرى فما غيبت عنا معاليــه فـــي اللحد
وما هو إلا السيف قد كان مصلتا على الدهر وهو اليوم قد قرفي الغمد
سيبقى له الذكر الجميل مؤبـــدا تمر به الأيام حاليــة الأيـــــدي

* * *

وقد أرخ عام استشهاده والدي مصطفى العلاف بقوله:

نعى في ليلة ظلمـــــاء نـــاع   وشر النعـــى في سود الليالـــي
وروع قلبنا بعظيـــم خطـــب   به بغداد باتـــت فـــي وبـــال
فأنكرت الحـــوادث وهـــي شؤم   ومثلي بالحوادث لا يبـــالـــي
أمحمود الخصال يمـــوت غدرا   وهمته رقـــت أوج المعالـــي
فلا عجـــا إذا ما أرخـــــوه   أكيد موت محمـــود الخصـــال
١٣٣١ هـ

* * *

العلماء المبرزون قبل الدستور العثماني

العلامة الشيخ داوُد النقشبندي:

هو أبن السيد سلمان بن السيد جرجيس النقشبندي ولد سنة ١٢٢٦ هـ.

كان رحمه الله كعبة الآمال وحجة دامغة لفحول الرجال من المحدثين بالرواية والسند وقد توجه لبيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ومنه عرج إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول الأعظم مجمد صلى الله عليه وسلم ولما رآه بعض أحبته من أهل المدينة قالوا له مولانا قد اشتعل المبيض بالمسود وبدا أثر الذبول على الخد بمدة فراق سبعة عشر سنة فقال:

لقد ظهر المشيب بدا صغارا   وغصن شبابنا أضحى قشيبا
فلا عيب إذا شبنا فهذا   زمان يجعل الولدان شيبا

وقال أيضا:

أقول لأحباب ولعت بحبهم   بطيبة حيا الله ذيالك المغنى
ظننتهم نشوب الود من بعد بعدكم   ليوم السوى هيهات شبنا وما شبنا

وفي طيلة حياته ظل مواظبا على وعظه وإرشاداته وطريقته النقشبندية.

وفي سلخ رمضان سنة ١٢٩٩هـ يقابلها ١٨٨١م أيام الوالي تقي الدين باشا لبى نداء ربه فعظم مصابه وشيع جثمانه بموكب فخم من

رجال الحكومة والأهلين ودفن في جامع الست نفيسة بجانب الكرخ، وقد أرخ عام وفاته الشيخ محمد أمين الجبوري بقوله:

قد فل غارب سيف الدين وانثلما   وانهد ركن بني الإسلام وانهدما
وطود علم جليل دك جانبه   وشامخ من عماد الفضل قد قصما
وشارق من سماء المكرمات هوى   يا طالما كان نورا يكشف الظلما
واغرورقت أعين الإسلام باكية   والدين حزنا على خديه قد لطما
وأدمن العلم قرع السن من ندم   وعض إصبعه حتى قد انصرما
بآخر الصوم قد نادى مؤرخه   داود بالخلد وافى أرحم الرحما
١٢٩٩هـ

اغتيال النائب نجم الدين:

هو الشيخ نجم الدين نائب الباب أي نائب قاضي الشرع الشريف، كان رحمه الله عالما غريراً وشهما غيورا لا تأخذه في الحق لومة لائم، وكان حادث اغتياله حادث مؤلم أبكى العيون وأدمى القلوب وكيفية اغتياله في نهار الثلاثاء ١١ ربيع الأول سنة ١٣٠٤هـ يقابلها سنة ١٨٨٦م أيام الوالي تقي الدين باشا تصدى له المجرم الكاتب.بمحكمة الشرعية مصطفى أفندي وضربه بخنجر فأرداه قتيل، وبعد محاكمة القاتل مصطفى أفندي قد ثبت جرم القتل لنائب الباب نجم الدين وعرض على الذات الشاهانية وبعد صدور الفرمان مؤرخا ١٢ رمضان سنة ١٣٠٥هـ المتضمن قتل القاتل وكان قتله على مشهد من الناس في أيام الوالي مصطفى عاصم باشا وفي يوم السبت ١٩ جمادي الأخرى سنة

١٣٠٥هـ يقابلها سنة ١٨٨٧م نفذ الحكم في القاتل وقطع رأسه الرجل المسمى طه بن ناعور من محلة العوينة في بغداد ومن شدة ازدحام الناس الذين حضروا لمشاهدة قطع راس المجرم سقطت السوق الصغيرة المتصلة بجامع الاحمدية المشهور بجامع الميدان وهلك من جراء ذلك رجل يهودي وامرأة مسلمة.

وقد كان العلامة المفتي فيضي الزهاوي يعترف بقدرة المرحوم النائب نجم الدين الفقهية ولما جاء إلى المحال الذي اعد فيه(الفاتحة) وعند دخوله ارتجل بيتا وهو:

ياله من نجم سعد أفلا   أفلا نبكي عليه أفلا

العلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي:

هو أبن احمد أفندي بن حسن بك بن رستم بك بن كيخسرو بن مير سليمان باشا، ولد سنة ١٢١٢هـ في زهاو وكان رحمه الله عالما شهيرا ومفسرا نحريرا وله بذلك قوة فائقة، ومما يدل على ذلك ما قاله الشاعر عبد الغفار الأخرس:

أرى في لفض هذا الشهم معنى   ينبئ عن مدى علم عظيم
ومهما زدته نظرا بفكري   رأيت نهاه قسطاس العلوم

ولطول باعه وعلو منزلته العلمية عين أولا مدرسا في المدرسة العلمية التي أنشأها سليمان باشا سنة ١٢١٦هـ.

وبعد استعفاء أمين أفندي الكهية من منصب الإفتاء في بغداد عين للإفتاء وبذلك قال الشاعر عبد الباقي العمري:

قد قيل لي إذ رحت انشد عندما شاهدت دين محمد يتجدد
في مذهب النعمان في الزوراء قد أفتى الإمام الشافعي محمد

وقال أيضا:

تالله ما غلط الأمين محمد من منصب الإفتاء باستعفائه
لكن رآك به حريا فالتجى لنزوله بالطوع من إفتائه

وظل يدافع عن الدين الحنيف ويقطع دابر الملحدين إلى أن وافى الأجل المحتوم سنة١٣١١ هـ يقابلها سنة ١٨٩٧م وقد شيع جثمانه تشييعا عظيما يحف به رجال الحكومة والأهليين ودفن في مدرسة السليمانية وقد رثاه تلميذه العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقصيدة وهي:

سأبكي على فيضي وتبكي الأفاضل وينعيه ناد للعلى والمحافل
وتذرف عين المجد بعد وفاته دموعا مدى الأيام طل ووابل
وكيف وربع العلم امحل روضه وعود الأماني حسرة البين ذابل
يعز على أهل العراق بأسرهم إمام إلى تلك المقابر راحل
فمن يكشف الكشاف بعد ذهابه ويهدي لتهذيب الملا وهو كافل
غدت بعده أهل المقاصد لم تنل من الهدي ما كانت إليه تحاول
يحق لهم أن يسكبوا فيض مدمع لرحلة من تطوى عليه المراحل
فلو كان داعي الموت يرضى به الفدى فدته صناديد سراة أفاضل
ومذ قد توارى عيلم العلم في الثرى عجبنا لكون الطود في اللحد نازل
فجيد العلى بالأمس كان مزينا فاصبح عار حليه وهو عاطل
فقدنا هماما كان كالبحر صدره يفيض لدينا من علاه جداول
فكم أحجمت أسدا لديه قساور بيوم نزال لم يرعها منازل

يريك علوما لم يجد من يصونهـــــا سواه لهذا ساجلته اــــلأفاضل
له الحكم طبع والفضيلـــة شانــــه حليم عن الجاني إلى السلم مائل
فليت لنا الأيام تتجـــــــب مثلـــه إمام له تعنو السراة الأوائـــــل
على هذه الدنيا العفا بعـــد موتــــه فليس بها إلا غرور وباطـــــل
تعادي أولي المجد الاثيــــل أصالة ويرضى بها غر لئيم وجاهـــل
وكل جديد للبــــلاء معـــــــــرض (وكل نعيم لا محالة زائـــــل)
فيا قبر قد واريت بحرا مـــن العلى يضيق به رحب الفضا وهو سائل
ومن طبق الدنيا الوسيعــــة فضله وتزهو إذا ما حل فيها المحافل
قضى نحبه والخلد كانت مقيلـــــه يساوره عفوا من الله كامـــــل
سقى جدثا قد ضم قبر أمامنـــــــا سحابا من المولى المعظم شامل

العلامة الشيخ عبد الوهاب الحجازي:

هو ابن الشيخ عبد الفتاح الحجـــازي مفتـــي البصـــرة ولـــد ســـنة ١٢٤٨هـــ يقابلها سنة ١٨٣٢م كان رحمـــه الله أقـــوى العلمـــاء بيانـــا واجودهم حكمة وبرهانا ولذلك اختير من بين أقرانــــه وعيـــن مدرســـا يدرس العلوم على اختلافها بمدرسة جامع الخاتون التي أنشـــأتها مـــع الجامع سنة ١٢٦٧هـــ يقابلها سنة ١٨٥٠م منورة خاتون زوج ســـليمان باشا ثم تقلب في وظائف عديدة منها القضاء الشرعي في كثير من مدن العراق كالحلة والناصرية والسليمانية ثم عين أمينا للفتوى في بغداد ثـــم نائب قضائها الشرعي ثم منصب الإفتاء في مدينة البصرة كما أنـــاطت به وظيفة مدير المعارف ونظارة الأوقاف وعلى ذلك منحته الحكومــــة

العثمانية مقابل خدماته الجليلة التي خدم بها الدين الحنيف و الأمة من ناحية العلم والقضاء وسام(السلطنة العثمانية) ورتبة(باي تخت) وفي سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م أيام الوالي الحاج حسن باشا أنشبت المنية فيه أظفارها بمدينة البصرة وكبر موته لدى البصريين حتى تجمهروا في باب دائرة الأشراف ووجوه القوم ورجال الحكومة مشيعين جثمانه ودفن في تربة حسن البصري وقد أرخ عام وفاته تلميذه العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقوله:

قبر ثوى علم الهدى بصفيحة فغدا سحيق المسك فيه رجامه
علامة العلماء والفضل الذي نشرت على كل الورى أعلامه
من كان للشرع الشريف مشيدا علما محكمة به أحكامه
عجبا لقبر ضم طود مكارم وسحاب فضل لا يجف رهامه
مفتي الأنام وقدوة الإسلام للدين الحنيف قوامه ودعامه
فعلى أبو الندب الأمين بحق لل مجد المؤثل أن تجر لمامه
وله لسان الفضل نادى معلناً أرخ بجنات الخلود مقامه
١٣١٣هـ

السيد سلمان النقيب:

هو ابن السيد علي النقيب ولد سنة ١٢٥٠هـ يقابلها سنة ١٨٣٤م تولى منصب النقابة بعد وفاة والده وهو الذي بنى المجد لآل الكيلاني في بغداد كان رحمه الله شهما وبطلا مقداما يستلين القلوب بلين الجانب وحسن المجالسة رحب الساحة أنيس المجلس مكرما لأهل العلم محبا

للشعراء والأدباء عطوفا على الأرامل والفقراء لا ترى العين منه إلا ما يسر القلب ويشرح الصدر، حج بيت الله الحرام في سـنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م الذي خرج فيه بموكب هيبة وعظمة حتى أن جميع البغال التي حملت أثقاله هي ملكه مع خدمها وتقدر بمائة بغل وقد رفقت الحكومة بخدمته(بلوكا) أي سرية من الجندرمة بقيادة مخلص بـك(آلاي بكي) أي رئيس الفرقة وبعد أن أدى فريضة الحج تشرف بزيارة قـبر النبي صلى الله عليه وسلم توجه إلى استانبول وقـابل السـلطان عبـد الحميد وأنعم عليه برتبة استانبول والوسام المجيدي من الدرجة الأولـى وبعد عودته إلى بغداد عين رئيسا للجنة إدارة الأملاك السلطانية(السنية) وفي سنة ١٣٠٠هـ يقابلها سنة ١٨٨٢م توجه مرة ثانية إلى اسـتانبول بناء على طلب السلطان عبد الحميد وبصحبته ولده السيد داود ضيـاء الدين فأنعم عليه السلطان رتبة(القاضي عسكر في الأناضول) ثم رفـع إلى رتبة(القاضي عسكر في روم ايلي) وهي منتهى المراتب العلميـة كما أحسن عليه بالنيشان(العثماني المرصع) وبمدالية من الذهب والفضة وقد أنعم على أولاده وأخوته بالرتب العلمية وكانوا يتجـاوزون أثنيـن والثلاثين رجلا وفي سنة ١٣٠٤هـ يقابلها سنة ١٨٨٦م عاد إلى بغداد.

ومن أعماله الخيرية إنشاؤه في محلة(السنك) ببغداد مسـجدا ولمـا كملت عمارته سنة ١٣١١هـ يقابلها ١٨٩٥م وأرخه بعـض الأدبـاء بقوله:

يا نقيبا لم تزل خير فتـى	خصك الله برشد وهـدى
أروع الله الخير الـذي	بلغ الوقاد منه المقصـدا
فزت مذ شيدت يوما مسجدا	بنعيم دائما طول المـدى

وترى الإسلام لله بــــــــــه ركعا طورا وطورا سجــدا
فعلى نهج الهدى قــد أرخوا وعلى تقوى أقمت المسجدا

١٣١١هـ

وفي سنة ١٣١٢هـ إنشاء سقاية(سبيل خانة) يردها العطاشا ولمــا تم تشييدها أجرى إليها الماء من نهر دجلة وقد أرخ عام بناءها بعــض الأدباء بقوله:

سيد القوم وفخــر النقبــا من له فوق الثريا نسب
رضى الله علــى أفعالــه وبه يعلو العلى والرتب
بالندى يمناه أجرت موردا جملة الوراد منه تشرب
فإذا قيل لعمري دجلـــة ماؤها عذب فرات طيب
قلت بالواحد لطفا أرخوا سلسبيل القادري أعذب

١٣١٢هـ

ودام كهفاً للأرامل والأيتام حتى وافاه الأجل المحتوم فـــي ١٤ ذي الحجة سنة ١٣١٥م يقابلها سنة ١٨٩٦هـ وقد شيع جثمانــه بموكــب اشترك فيه جميع سكان بغداد ورجال الحكومة ودفــن فــي الحضــرة الكيلانيه في حجرة خاصة وقد أرخ عام وفاته الشاعر شـــهاب الديــن الموصلي بقوله:

هنا قادري الجد جاور جــــده بتربته للحشر يغشاه رضـــوان
على فقده عبد الحميد بملكــــه له أسف قد بثه وهو سلطـــــان
مضى في سبيل الحق والمجد مجده إلى سائر الدنيا له سار إعــــلان
مناقبه الحســـنى وآثاره التـــي له الدهر حتى ينتهي الدور احسان
قد اختار عن دار الفنا دائم البــقا بدار نعيم ليس تفنيه أزمــــان

مع الله منه الصدق قد صح ارخوا ثوى بالتهاني مقعد الصدق سلمان
١٣١٥ هـ

العلامة السيد نعمان خير الدين الآلوسي:

هو ابن الإمام العلامة أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الآلوسي صاحب(تفسير روح المعاني).

ولد ١٢ محرم سنة ١٢٥٠هـ كان رحمة الله جوزي زمانه في الوعظ وقد بلغ في حسن التذكير والإرشاد النهاية، وقد تولى في شبابه بعلمه وفضله ونبله القضاء في بلاد متعددة حمد عليها وحبب إلى القلوب وفيه يقول بعض أدباء الحلة:

تصفا الشريعة للواردين فقد جائها اليوم نعمانها
وقد كان مطروفة عينها فنال الشفا فيه انسانها

وفي سنة ١٢٩٥هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م قصد بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ومر بطريقه على مصر القاهرة، لطبع(تفسير روح المعاني) وفي سنة ١٣٠٠هـ يقابلها سنة ١٨٨٢م ذهب إلى استانبول لإعادة ما اغتصبته يد الجور من حقوقه إلى نصابه ولما وصلها كان موضع تقدير السلطان عبد الحميد وأنعم عليه بمراتب عالية وأصدر أمره بإعادة مدرسة مرجان إليه وبعد أن قضى فيها سنتين رجع إلى بغداد وتصدر التدريس بعنوان رئيس المدرسين وقد هنأته الشعراء وأرخت توجيه المدرسة إليه بقصائد عديدة منها قول شهاب الدين الموصلي:

وافى وعرفانه والعلم عـــــرفه   على رجال ذوي علم وعـــــرفان
موظفا قد أتى لكن بمدرســـــة   قديمة العهد من إنشاء مـــــرجان
وظيفة قبله كانــــت لـــوالده   بموجب الشرط شرط الواقف الباني
واليوم قد عاد مقبول الجناب إلى   بغداد باليمـــن مشمولا بإحسان
وفي صكوك العلى والعلم أرخــه   سجل تدريس مرجان لنعـــــمان
١٣٠٢هـ

وظل يقرط الآذان بوعظه ويخبر الأشعار بتأليفه حتى أتاه اليقيـــن صبيحة يوم الأربعاء ٧ محرم ١٣١٧هـ يقابلها سنة ١٨٩٩مأيام الوالي نامق باشا الصغير وشيع جثمانه تشييعا مهيبا إلى مقره الأخير في جامع مرجان.

العلامة محمد آل جميل:

هو ابن العلامة عبد الغني آل جميل كان رحمه الله شـــهما هماما وبطلا مقداما وعالما فاضلا وأديبا كاملا ورث الشـــرف العظيـم مـن أسلافه الأمجاد عطوفا على الفقراء أليفا للشعراء لا ينفك عنـــهم ليـلا ونهار؟ تقلد وظائف مهمة في الدولة أظهر في جميعـــها مـــآثر حميـدة وأفعال مجيدة وقد تزين صدره بوسامين(وسام العثماني) و(المجيــــدي) لقاء خدماته الجليلة.

توفى فجاءة ليلة الاثنين ٢٦ رجب سنة ١٣١٨هــــ يقابلــها سـنة ١٩٠٠م أيام الوالي نامق باشا الصغير وقد عز فقده على جميـــع أهـل

بغداد الخاص والعام لما له من المنزلة العالية بينهم وقد شـــيع جثمانـــه بالحسرات والدموع ودفن في جامع آل جميل في محلة قنبر علي ببغداد.

وقد رثاه أسعد أفندي الطبقجلي بأبيات أرسلها برقيا من الحلة وهي:

لفقد محمد قد حل خطـــب   به بغداد طأطأت الرؤسا
وأن الصبر في عيسى جميل   فتى يجلو بطالعه النحوسا
بموت أبيه مات المجد لكــن   بأذن الله قد أحياه عيسى

وبعث العلامة السيد محمد القزويني من الحلة هذين البيتين:

لأبي عيسى بكت عين المعالي   فهوى في فقده بدر الكمال
فلعيسى أسوة بالمصطفـــــى   يتسلى وبمحمود الخصال

السيد حسين آل السيد حيدر:

هو العالم الجليل والزعيم الديني الذي كان مرجعا للجعفريـــة فـــي بغداد ومجلسه كان حافلا برجال بغداد وعلمائها وتجارها وكـــانت داره في محلة صبابيغ الآل مركزا للاجتماعات الدينيـــة والمـــآتم الحســـينية ومدرسة للعلوم المختلفة ومنها تخرج عدد كبير من الأدباء والفضـــلاء وهو من السادة الحسنية التي ينتمي إليها آل السيد عيســـى وآل الســـيد حيدر وآل السيد هادي العطار وآل الســـيد راضـــي وآل المرايـــاتي آل حمندي.

جاء إلى بغداد من الكاظمية في عام ١٢٩٥هـ وكيلا عن الإمـــام الكبير السيد محمد حسن الشيرازي(ره) ومن بعده الشيخ محمـــد طـــه نجف. فكان مرجعا للشيعة في مسائلهم الدينية وحل مشاكلهم الخاصـــة.

كان له من الأولاد السيد كاظم وكان عالما فاضلا له مؤلفات خطية سكن الكرخ. ذكره المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ممن ذكره من علماء بغداد في كتابه(المثل العليا). توفي سنة ١٣١٣هـ قبل والده.والسيد عبد الكريم الذي خلف والده في مركزه الديني والسيد صادق التاجر المعروف في سوق الشورجة. توفي السيد حسين في سنة ١٣٢٠هـ فشيعته بغداد ونقل مشيا على الأقدام إلى الكاظمية حيث اقبر في حسينية الأسرة فيها. وقد رثاه عدد كبير من الشعراء الشيخ محمد حسن كبة والسيد راضي القزويني والسيد حسون القزويني والسيد محمد صادق الاعرجي وغيرهم.

العلامة الشيخ قاسم البياتي:

هو ابن الشيخ محمد البغدادي البياتي، كان رحمه الله عالما عليما ومفسرا كبيرا ومحققا بارعا وكان في العلم آية كما كان جنة نعيم لا يجوع طالب فيها ولا يعرى وكان ينطبق عليه قول القائل:

يحل عقود المشكلات برأيه   إذا أشكل المعنى الدقيق وعقدا
وأحيا دروس العلم في علم درسه   بدت فيه آثار الفضائل مذ بدا
وافصح من نهج البلاغة منطقا   تخر له الأقلام في الطرس سجدا

وكثيرا ما كان يخطب وده الولاة فلم يفلحوا في مقابلته، وقد أخذ على عاتقه دراسة العلوم على اختلافها حتى توفاه الله تعالى في سنة ١٣٢٥هـ وشيع جثمانه بموكب حافل مشى فيه جميع طبقات الأمة

ودفن في مقبرة العيدروسي، وقد أرخ عام وفاته معـــروف الرصـــافي بقوله:

على قاسم شيخ الطريقة قد بكـــت ... جواهر فضل ما لها الدهر قاسم
بكاء التقى والعلم والحلـــم والنهى ... وحسن السجايا والعلى والمكارم
فقدنا الذي قد كان في العلم عيلما ... فماجت لمنعاه البحار العيالـــم
لئن قد طواه الموت عنا فذكـــره ... مع العلم منشور على الدهر دائم
رزءناه حبرا في الطريقة مرشدا ... به اتضحت للسالكين المعالـــم
عفت أربع الإرشاد بعد ارتحاله ... وكانت به منها تقوم الدعائـــم
حليف التقى ما دنس الدهر ثوبه ... بآثم ولا مرت عليه المحـــارم
ترحل للأخرى وأبقى مناقبـــا ... تهنى من الدنيا بهن المواســـم
يصوم نهار الصيف لله طائعـــا ... ويحيي الليالي وهو لله قائـــم
إذا ما بدا للقوم لاحت بوجهـــه ... دلائل من نور الهدى وعلائـــم
ولما مضى للخلد قلت مؤرخـــا ... لقد بات في أعلى الفراديس قاسم
١٣٢٥هـ

وكذلك أرخ عام وفاته جميل الزهاوي بقوله:

كبير الموت كبار الأعاظـــم ... فان بهم عماد الدين قائـــم
أيبقى قائم للديـــن بيـــت ... إذا انهدمت من الدين الدعائم
قضى والهفتا من كان يحيـــا ... لتزكية النفوس من المآثـــم
قضى العلامة الحبر الذي لـــم ... تلد كمثاله أم المكـــــارم
قضى الشيخ الوحيد فقلت أرخ ... توفى أشرف الزهاد قاســـم

العلماء المبرزون بعد الدستور العثماني

العلامة مصطفى نور الدين الواعظ:

هو ابن السيد محمد أمين الواعظ ابن السيد محمد الادهمي ولد في ربيع الأول سنة ١٢٦٣هـ يقابلها سنة ١٨٤٤م وقد أرخ عام ولادته الشاعر عبد الباقي العمري بقوله آخر بيت من قصيدة:

أضاء من نادى الأمين فأرخوا بالمصطفى مجد الأمين انتعشا

كان رحمه الله بارعا في كافة العلوم وبالغ القصوى في تحقيق المنطوق والمفهوم رحيما في سيرته شفيعا بحسن طويته لايرد مراجعة مظلوم ولا يخشى بطش ظالم.

نصب مدرسا في مدرسة الخاتونية وهو ابن عشرين سنة وفي سنة ١٢٨٩هـ يقابلها سنة ١٨٧٢م نصب مدرسا وواعظا وخطيبا في مدرسة بمدينة البصرة في الجامع المسمى بابي(منارتين) وعين في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٩٠هـ يقابلها سنة ١٨٧٣م عضوا في محكمة التميز والحقوق بالبصرة وقد استمر في هذه الوظيفة حتى ١٦ذي القعدة سنة ١٢٩١هـ يقابلها سنة ١٨٧٤م ثم عاد إلى بغداد وفي سنة ١٢٩٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٠م عين رئيسا لمحكمة جزاء البصرة وقد سافر إليها في ١٣ شعبان من السنة نفسها وقد بقى فيها حتى جمادي الأخرى سنة ١٢٩٩هـ يقابلها سنة ١٨٨١م ثم استقال منها وفي ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٠٠هـ يقابلها سنة ١٨٨٢م نصب للإفتاء بمدينة الحلة وقد أرخ علم توليته للإفتاء الشاعر أحمد التميمي بقوله:

أني اهني سمى المصطفى بعلا ‏ سما على غارب الجوزا وكوكبها
فلو يروم إلى الفتوى سواه فتى ‏ من البرايا لعمري كان مشتبهـا
يفتي ويوعظ عن علم وموعظة ‏ يصغي لها من غدا للوعظ منتبها
بشرى إلى حلة الفيحاء في علم ‏ وسيدا من كرام الناس أنجبهـا
لما تهنت به نادى مؤرخـه ‏ المصطفى مفتي فيحاء العراق بها
١٣٣٠هـ

وقد أنيطت به رئاسة مجلس المعارف ومديرية الأوقاف علاوة على الإفتاء في مدينة الحلة، وفي سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م انتخب(مبعوثا) أي نائبا عن مدينة الحلة وسافر مع النواب المنتخبين إلى استانبول وبعد أن انفض مجلس المبعوثان في استانبول رجع إلى بغداد مع زملائه المبعوثين وعاد إلى أسرته الأولى للوعظ والإرشاد وفي يوم الثلاثاء ٢٤جمادي الأولى سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م أيام الوالي محمد زكي باشا لبى نداء ربه وبموته أخرس لسان الوعظ وانطفىء مصباح الخطابة وقد شيع جثمانه تشييعا فخما اشترك فيه جميع أهل بغداد ودفن في تكية البكري في محلة باب الشيخ وقد أرخ عام وفاته العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقوله:

وأجل خطب غصت الدنيا به ‏ في عصرنا فقد الهمام المصطفى
كنز المواعظ من علت أسلافه ‏ أوج العلى والفرع بالأصل اقتفى
كالبحر علما والسحاب إفادة ‏ فلكم أفاد المستفيد واسعفـا
في كل علم لا يبارى علمه ‏ كشف الغوامض مذ أجاد وألعـا
ناداه داعـي ربه فأجابه ‏ مستبشرا بلقائه مستطفـا

فبكت لفقد حياته أهل النهـــى والكل أصبح واجما متأسفـــا
ولسان حال الوعظ نادى أرخوا من للمنابر مثل نهج المصطفى
١٣٣١هـ

وكذلك أرخ عام وفاته العلامة السيد علاء الدين الآلوسي بقوله:

أسفا لقد حل الحمام بفاضـــل من فقده الزورا بأمر باهـــظ
قد كان في علم الشريعة حافظـــا ولسنة المختار جد محافـــظ
وله اليراع العضب يرعف ثغره للدين خير مآزر وملاحـــظ
فقضى حقوق العلم غير مقصـــر بكتابة وخطابة ومواعـــظ
وبمذهب النعمان جاهد حقبـــة من عمره جهد الغيور اللاحظ
حتى قضى نحبا وسار لربـــه همم المحامد في أمان الحافظ
وثوى جوار أب أبر مجاهـــد في الدين نصار(أمين) حافـــظ
تبكي عليه قلوب أرباب النهـــى حزنا فقد دهمت برزء غائـــظ
كم من لسان يوم مات المصطفى يولي الثناء وبالرائي لافـــظ
والدين ناح عليه لما أرخـــوا الدين نواح على ابن الواعـــظ
١٣٣١هـ

العلامة الشيخ سعيد النقشبندي:

هو ابن الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد الغني العبيدي، كان رحمه الله في علومه كزق عسل إن فتحت فمه خرج عسل حلو وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو وفتحت يده خرج عسل حلو كله جيد وكله نافع له اليد الطولى في العلوم النقلية والعقلية لا يضاهيه بها أحد ولا يجاريه بها

فرد وكان مدققا ومحققا عن وجوه الاستنباط والأدلة له معرفة كلية بالأحكام الدينية حتى عد في رتبة المرجحين وفوق هذا كله كان يسعى لاستقلال العرب وقد لاقى في هذا السبيل مصاعب جمة وكان رئيسا لحزب(المشور) الذي كانت خطته الوحيدة إرجاع الشريعة الإسلامية إلى حضيرتها الأولى وهذا الحزب تشكل في العهد العثماني بعد إعلان الحرية واستيلاء الاتحاديين في شؤون الدولة في بغداد وتشكل هذا الحزب بكل من الفريق كاظم باشا ومحمد فاضل باشا الداغستاني والسيد عبد الرحمن النقيب والسيد محمود النقيب والسيد عبد الله النقيب وعيسى أفندي آل جميل وعبد الرحمن أفندي آل جميل وعبد الرحمن باشا الحيدري وسالم أفندي الحيدري وجميل أفندي أمين الإدارة ومن أعمال هذا الحزب أن أخذ يقاوم الفكرة اللادينية حتى قضى عليها وفي سنة ١٣١٤هـ يقابلها سنة ١٨٩٦م سافر إلى استانبول بناء على طلبه من قبل المشير توفيق باشا أحد تلامذته بعد أن عرض صفاته إلى المابين ولما حل في استانبول مثل بين يدي السلطان عبد الحميد ومن هناك صدرت الإرادة بإنشاء مدرسة دينية كبرى في مدينة سامراء على أن يكون الشيخ سعيد شيخا للعلم فيها وعلى أثر هذه المنحة الدينية رجع إلى بغداد ولما عاد مر في قاهرة مصر واجتمع بعلمائها الأعلام وقد زار ضريح الإمام الشافعي وهناك ارتجل الأبيات التالية:

أتيت لقبر الشافعي إمامنا ... لكي ارتوى من بحره المتلاطم
فلما أتيت القبر شاهدت لجة ... علتني علو الست منها بسالم
فنوديت ما هذا عليك بفلكنا ... فأنا وضعناها إلى كل قادم

ولما حل ببغداد أنشأت المدرسة بسامراء واكتضت بطلاب العلم وبقي يدرس العلوم فيها حتى وفاة العلامة السيد محمد حسن الشيرازي وفي سنة ١٣١٨هـ يقابلها سنة ١٩٠٠م نقل إلى التدريس في مدرسة الإمام الأعظم أبو حنيفة وقد أرخ عام نصبه مدرسا معروف الرصافي بقوله:

ألا قد سر طالب كل علم	ومن بذل النفائس في طلابه
صبيحة شرف الزورا سعيد	بمقدمه المبارك في غيابه
وتدريس العلوم لطالبيها	لدى النعمان عاد إلى جنابه
هو البحر الخضم بغير حد	فرائد كل علم في عبابه
فقلت بمعرض التاريخ بشرى	وأمر الدرس عاد إلى نصابه

١٣١٨هـ

وفي سنة ١٣٣٦هـ يقابلها سنة ١٩١٧م نصب شيخا للإرشاد في(تكية الخالدية) وأخذ الناس يفدون عليه من جميع أنحاء العراق للسلوك في طريقة النقشبندية.

وهكذا بقي يناصر الدين الحنيف حتى وافى أجله المحتوم سنة ١٣٣٩هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية وشيع جثمانه من داره إلى جامع الفضل ودفن في تربة آل النائب وأرخ عام وفاته شقيقه العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب وكتب التاريخ برخامة ووضع فوق باب التربة وهو:

هنيت يا قبر بمن قد حوى	شريعة المولى الرؤوف الحميد
قد كان يحيي القلب في وعظه	وبرشد السالك والمستفيد
كان من الأخلاق تمثالها	وفي التقى قد كان بيت القصيد

مدارس العلم بكت بعـــــده فهو لعمر الله نعم العميـــــد
أم المعالي عقمت بعـــــده هيهات أن تأتي مثل الفقيـــد
في روضة الجنات قد أرخوا حل بدار الخلد فردا سعيـــد
١٣٣٩هـ

وكذلك أرخ عام وفاته مؤلف هذا الكتاب بقوله:

أبعد السعيد يطيـــب المنـــام فذاك لعمري علينا حـــرام
وكيـــف يطيب الكرى في الدنا وفيها فقدنا التقي الهمـــام
ناداه اقـــدم إلـــه السمـــا وابشر فانت بأعلى مقـــام
فلبـــى النـــداء بتاريخـــه وأضحى سعيدا بدار السلام
١٣٣٩هـ

العلامة السيد علي علاء الدين الالوسي:

هو ابن العلامة نعمان خير الدين الآلوسي ولد فـــي شـــعبان ســـنة ١٢٧٧هـ يقابلها سنة ١٨٦٠م كان غصنا يانعا من دوحة علم أصلـــها ثابت وفرعها في السماء حج في صباه مع والده وسافر إلى اســـتانبول مرارا منها مرة مع أبيه وتعلم اللغة التركية والفارسية واتقـــن الأولـــى حتى نظم الشعر فيها وانتظم في سلك طلاب النيابة والقضاء ونال منـــها الشهادة ولما توفي أبوه سنة ١٣١٧هـ يقابلها سنة ١٨٩٩م قام مقامـــه وولي تدريس مدرسة مرجان في الرصافة ومدرسة الشيخ صندل فـــي الكرخ ولما أعلن الدستور العثماني والتام المجلس في استانبول انتخبـــه

الشعب العراقي مبعوثا أي نائبا عنه، وله قدم صدق في المطالبة بحقوق البلاد والذود عنها بكل ما أوتي من طول وحول وبقى إلى أن انفـــض المجلس، وفي سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٦م دعي إلى القضاء في بغداد فزهد فيه وأصروا عليه فلم يجد بدا من تقليده على كره منه وقـام به حق قيام.

وما اصدق قوله واحكمه حينما أصرت عليه الحكومة بقبول قضـاء بغداد وهو:

إن القضاء هو البلاء فلا تكن	متعرضا فتصاب في سوء القضا
إذا ابتليت به على كره فقـد	نهج العدالة أنها سبب الرضـا
والله عون الحق ينصر أهله	ويذل من هضم الحقوق واعرضا

وبقي في منصب القضاء يجله الوقار ويكتنفه الجلال وقد صلحـت به العباد وانحسم الفساد إلى أن أصابه مرض الفالج ليلة عيد الفطر سنة ١٣٣٨هـ ولم يزل هذا ناشبا أضفاره فيه حتى اختارتـه المنيـة ليلـة السبت ٨جمادي الأولى سنة ١٣٤٠هـ بعد احتلال بغداد وشيع جثمانـه من الاعظمية تحفه طبقات الدوائر الرسمية والعلمية والأهلية ودفن فـي جامع مرجان.

العلامة السيد محمود شكري الآلوسي:

هو ابن العلامة السيد عبد الله بهاء الدين الآلوسي ولد ١٩ رمضـان سنة ١٢٧٣هـ يقابلها سنة ١٨٥٦م توفي أبوه وهو لم يزل فـي سـن

الصبا وتعهده عمه العلامة نعمان خير الدين الالوسي فغذاه غذاء علميا واسقاه من معين علمه الزلال حتى أهلته مواهبه للتدريس فدرس في جامع الحيدر خانة وجامع السيد سلطان علي ولما ذاعت شهرته وطبق الخافقين صيته لاسيما بعد أن ظفر كتابه(بلوغ الأرب في أحوال العرب) بجائزة لجنة اللغات الشرقية المتحدة في(استوكهولم) بدعوة من ملك النرويج قصده المستشرقون(كمرغليث) الإنكليزي و(ماسينون) الافرنسي اللذان اعترفا بفضله وارتفع صوته رحمه الله كمصلح وصار يدوي في المطالبة بتطهير الدين الحنيف مما لحقه من ضياع وقد شن في سبيل ذلك غارات شعواء على الجامدين تعرض من ورائها إلى سخطهم وغضبهم فراحوا يشنعون عليه ويرمونه بتهم شتى هو براء منها حتى أغروا الوالي عبد الوهاب باشا أن يقدم إلى الباب العالي طلبا بنفيه وقد صدر الأمر بأبعاده عن بغداد ومر بطريقه إلى منفاه بمدينة الموصل فقام الموصليون وقعدوا وقابلوا ذلك بالسخط المرير لما للالوسي عندهم من المكانة السامية وابرقوا للسلطان عبد الحميد يسألونه الصفح عنه واتفق أن أعلن الدستور العثماني فصدرت الإرادة بالعفو وعاد إلى بغداد، ولا ننسى ما للالوسي من المكانة المرموقة والاحترام الشامل عند ولاة بغداد ومنهم الوالي سري باشا فكان لا ينقطع عن الاجتماع به والاسترشاد برأيه فاناط به إنشاء القسم العربي من جريدة الزوراء التي أنشأها الوالي مدحت باشا ولم يغفل الوالي جمال باشا حين عهدت إليه ولاية بغداد عن مواهبه السامية وآرائه الصائبة فانتدبه خلال الحرب العالمية الأولى إلى نجد لمفاوضة أميرها بشؤون سياسية ولم يكن الآلوسي وهو عالم تحرير يصلح بمثل هذه المهام فاخفق فيها وعاد إلى

بغداد وعكف على دراسته وإرشاداته حتى سقوط بغداد من قبل البريطانيين سنة ١٣٣٥هـ فعرضوا عليه قضاء بغداد فزهد فيه ثم عرض عليه أوائل تشكيل الحكومة العربية الموقتة الإفتاء فرئاسة مجلس التمييز الشرعي فالقضاء فالمشيخة الإسلامية فرفض كل خدمة غير العلم الصحيح، وبعد مرض مزمن ألم به طيلة بضع سنوات، وفي ٤شوال سنة ١٣٤٢هـ لبى نداء ربه وقد شيع جثمانه بالحسرات والدموع واشترك في التشييع العلماء ورجال الحكومة والأهلين ودفن بقبرة الجنيد البغدادي بجانب الكرخ واقيمت له(فاتحة) في داره وقد أنشدت فيها قصيدة مع الشعراء الذين أنشدوا القصائد في رثائه وهي:

صبرا وإن كان المصاب جليلا قد طبق الدنيا بكا وعويلا
ويلاه من هذا الزمان فانه لم يدر إلا الغدر والتنكيلا
أبدا يريش نباله لكنه لم يصم إلا أصيدا ونبيلا
لله أي مصيبة ورزية أضحى لها طرف العلو كليلا
يا أيها النبا المغادر دجلة عز الفرات به وعز النيلا
اليوم قد رزء العراق بفقد من مقل الورى سحت عليه سيولا
اليوم بيت العلم طاح عماده فانهار من بعد السمو مهيلا
اليوم أقفرت المدارس وانمحت منها الرسوم وعطلت تعطيلا
اليوم أقفلت النوادي كلها اليوم أصبحت الديار طلولا
اليوم شمل العلم عاد مشتتا مذ بات عقد نظامه محلولا
هيهات بعد(أبي المعالي) أن ترى لعلومه بين الأنام مثيلا
من ذا ترى(للحيدرية) بعده في العلم والتقوى يكون بديلا
ياراحلا والمكرمات تحفه يممت ظلا في النعيم ظليلا

مالي أراك وأنت تسرع في السرى | هلا وقفت إلى الوداع قليـــــلا
ما شيعوا للقبر نعشـــك وحـده | بل شيعوا التكبير والتهليـــــلا
قد كنت للزوراء أقـــوى ساعد | واليوم ساعدها انثنى مشلـــولا
سل الزمان عليك عضبا مرهفـا | يا ليت مرهفة انثنى مفلــولا
مولاي يومك ما اجـل مصابـه | أذهلت فيه من الأنام عقـــولا
إني وددت بان أكـــون لك الفدى | لو كان يرضى الموت في بديلا
وابيت قبلك في التـراب مغيبـا | لو إنني ألقى لذاك سبيـــــلا
فلا رثنيك ما حييت علـى المدى | ولابكينك بكرة وأصيــــــلا

وفي عصر الأربعين ١٣ذي القعدة سنة ١٣٤٢هـ أقيمت حفلة تابينية كبرى في جامع الحيدرخانة اشترك فيها جماعة مـن الشـعراء والأدباء وكنت من ضمنهم وقد ألقيت قصيدة في رثاء العلامة الالوسـي وهي:

جئنا نقيم بهذا اليـــوم تأبينـــا | والدمع كالغيث يجري من مآقينـا
جئنا نجدد ذكرى ما ألـــم بنـا | من المصاب لو أن الذكر يجدينـا
جئنا نشاهد آثـــارا مخلـــدة | تهدي إلينا ونهديهـا لتالينــــا
جئنا نعزي المعالي والعلــوم بمن | إلى طريق الهدى قد كان يهدينـا
الله اكبر مات العلـم واندرسـت | آثاره وخلت منـــه نواديـنـــا
الله اكبر ما للدهـــر يفجعنـــا | ما أن نصادقه إلا يعادينــــــا
لا تعتبين على دهـــر يفرقنـــا | فشيمة الدهر تفريـــق المحبينـا
يا كوكبا غاب في الأجداث منطفئا | وجوهرا بات تحت الترب مدفونا
لئن نسيت عهودا فـــي محبينـا | فنحن لسنا لعهد منـــك ناسينـا
بعدت عنا ولم تسمـــع تحيتنـا | وطالما كنت يا(شكري) تحيينـــا

قم من ضريحك وانظر امة وقفت   تبكي علاك وتبكي العلم والدينــا
قم من ضريحك وانظرنا بعين رضا   فنظرة منك بعد اليوم تكفينـــــــا
مذ سرت سار الهنا عنا وودعنـــا   والحزن ظل مقيما في نواحينــــا
تركت أنجالك الطلاب في جــزع   مشتتين مدى الأيام باكينـــــــا
كانت أمان لنا يا قوم زاهيــــــة   بموت(شكري) لقد ضاعت أمانينا
عزوا المحافل عزوا اليوم(بهجتهــا)   عزوا المدارس بل عزوا الدواوينا
عزوا تلاميذه الأنجاب قاطبـــــة   وعزوا أسرته الغـــــر الميامينـــا

العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب:

هو ابن الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد الغني ولد سنة ١٢٦٩هـــ كان رحمه الله خاتمة المحدثين وإمام المفسرين لا يجادله أحد إلا أفحمه ولا يناظره جاحد إلا خذله كان رحمه الله آية من آيات العلم ومعجـــزة من معجزات الأدب ولغزارة علمه أنيط به مـــن المنـــاصب الشـــرعية والفتاوى العلمية ما هو أهل لها وهي أهل له فضلا على نصبه مدرســا في مدرسة(جامع الخاتون) وواعظا في جـــامع مرجـــان فـــي شـــهور رمضان في كل سنة وفي جامع الفضل عصر كل يـــوم بعـــد الصـــلاة وكانت مجالس وعظه لا تخلو من ولاة وعلماء وقضاة ووجوه واعيـــان فضلا على جماهير الناس المحتشدة في كل مكان بالجامع.

وظل شيخنا النائب يتمتع بثقة الولاة وبرقى إلى أعلا المناصب بين تدريس وإفتاء وحكم وقضاء، وعضويتي مجلس الإدارة والعلمي نظـــارة الأوقاف وبذلك أسدى للحكومة خدمة جليلة مما جعـــل الســـلطان عبـــد

الحميد أن يمنحه رتبة(ازمير) بعنوان أقضا القضـاة بموجـب فرمـان شاهاني مؤرخ في يوم الأول من جمادي الآخرة سنة ١٣١٥هـ كمـا منحه رتبة(الحرمين الشريفين) وهذه أيضا بموجـب فرمـان شـاهاني مؤرخ ٢٤ربيع الثاني سنة ١٣٢١هـ وكذلك منحه السلطان محمد رشاد رتبة(أدرنه) بعنوان اقضى قضاة المسلمين بموجـب فرمـان شـاهاني مؤرخ سنة ١٣٢٥هـ وقد حاز أوسمة مرصعة رفيعة الشان قدمت لـه بحفلات رسمية.

لقد عاش شيخنا النائب وروحه تواقة إلى الأعمال الخيرية ورفـع مستوى العلم فشيد ثلاث مدارس من خالص ماله(الأولى) فـي محلـة الفضل كما نوهنا آنفا(والثانية) جنب دار ضيافته في(الراشدية) واختـار لها مدرسا الشاعر معروف الرصافي وخصص له راتبا مـن خـالص ماله(والثالثة) في قرية(الجديدة) ولكرمه الحاتمي وهب تلك المدارس إلى الحكومة لتكون تحت رعايتها فشكرته الحكومة وتقبلتها منه قبولا حسـنا وهي لاتزال إلى الآن، وفوق كل هذا فقـد دفعتـه غريزتـه العلميـة والاحتلال ضارب إطنابه في جميع أنحاء العراق للسعي في فتح مدرسة أهلية التي هي اليوم تسمى(مدرسة التفيض) وبعد أن كابد المشاق وجابه الصعاب حصل الاجازة بفتحها وذلك سنة ١٩٢٠م وبعد إخماد الثـورة العراقية وتشكيل حكومة وطنية اختير لرئاسة محكمة الصلـح ببغـداد وهي أول محكمة تشكلت بعد الاحتلال وتعيينه لهذه اكبر دافـع علـى الأخذ بيد الأهليين وخلاصهم من تعسف المحتليـن واختـير لمنصـب رئاسة التمييز الشرعي سنة ١٩٢٤هـ كما اختير لتدريس تفسير القرآن الكريم بجامعة آل البيت وبقي يدرس فيها إلى أن سدت.

إن كثيرا من الناس من يظن أن ليس لشيخنا النائب مؤلفات علمية وهذا خلاف ما يظنون فلقد آلف كتبا قيمة وحواش ثمينة ومنظومات غالية ولكن النفس الخبيثة واليد الأثيمة سرقتها ضمن الكتب التي سرقت من خزانة كتبه وشاء الله أن يفضح ذلك السارق فقد عثر على بعض الكتب المسروقة لدى ملا خضر بائع الكتب في سوق السراي ولما علم شيخنا النائب بذلك قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وتمثل بهذا البيت بعد أن عرف السارق!

رب من ترجو به دفع الأذى   سوف يأتيك الأذى من قبله

وقيل لشيخنا النائب في حديث جرى بمجلسه العامر حبذا لو أكثرت في التأليف العلمية لأنها هي التراث الخالد فسكت ثم قال مرتجلا:

عاق تدريسي عن التدريس لكن   فبهذا لست أني متأسف

من تلاميذي ألفت كتابا   كل فرد هو بالعلم مؤلف

وهكذا ظل شيخنا النائب يبث العلوم وتعليم الناس معالم دينهم وإرشادهم بالحسنى إلى الخير والسعادة حتى أخذت آثار المرض تبدو عليه فاوهن قواه وفي ظهيرة يوم الخميس ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٥هـ فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها وانطوت صحيفة أعماله العلمية من سجل الحياة وفوجئ العالم الإسلامي بخبر وفاته فشق نعيه على جميع الناس وشيع جثمانه بالتهليل والتكبير بصورة ما رأت بغداد مثله واجتازوا به شارع الرشيد حتى انتبهوا به إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وبعد أداء الصلاة عليه عادوا به إلى مقره الأخير في جامع الفضل ودفن في الروضة المقابلة لروضة الإمام محمد الفضل

واقيم له مجلس فاتحة في الجامع المشار إليه وقد تليت في مجلس الفاتحة عدة قصائد لجمهرة من الشعراء وقد أرخت عام وفاته بقولي:

أي رزء أودى بشعب العراقي ومصاب قد عمّ في الآفاق
هو فقد الإمام العالم الحبر وشيخ العلوم بالاتفاق
قد قضى نحبه وراح مطيعا ومجيبا لدعوة الخلاق
يالـه الله من فقيد عظيم قد رقت روحه لأعلى المراق
فهنيئا له بدار نعيم قد خلت من دسائس ونفاق
علمه الجم بعده سوف يبقى كبقاء السواد في الأحداق
لم يمت فضله وقد أرخوه فضل عبد الوهاب بالصحف باق
١٣٤٥هـ

وبعد مضي أربعين يوما لوفاة شيخنا المرحوم عبد الوهاب النائب أقيمت له حفلة تأبين كبرى في جامع الفضل اشترك فيها خيرة الشعراء والكتاب وقد ألقيت فيها قصيدة وهي:

ترحل صاحب الفضل العميم وخلف في القلوب لظى الجحيم
مضى عنا وكان العيش غضا بجانب ذلك الفذ الرحيم
ومادت راسيات الأرض حزنا عليه وقد هوت زهر النجوم
وقد فاضت عليه كل عين ولم تنج القلوب من الكلوم
ووجه الشمس أضحى مكفهرا يمثل صورة الخطب الجسيم
وبيت الفضل أمسى وهو قفر فليس بربعه غير الرسوم
فلا نطق سوى نوح فجيع ولا صوت سوى ناع مقيم
بكى العلم الشريف على شريف بكى الرأي الحكيم على حكيم
بكى الوطن العزيز على عزيز بكى العزم الشديد على الزعيم

بكى الكرم المضاع عليه دوما بدمع قد حكى هطل الغيوم
فلا عجب إذا ما راح يبكي فقد يبكي الكريم على كريم
فقل للشاتمين من الأداني شماتتكم على خطاء عظيم
فلم يرحل لأمر دنيوي ولكن حن للوطن القديم
وقل للحادثات من الليالي لقد بلغت ويحك ما ترومي
فبعد النائب الشهم المفدى فمن يرعى الجوار من الحريم
وبعده من يحيي الوفد عنا ويلقى الضيف بالثغر البسيم
وبعده من يرد الخطب عنا ويدفع عدله كيد الخصيم
وبعده من يرى أمر الأيامى ومن يرثى إلى حال اليتيم
ومن للشرع بعد أبي(حسين) ومن للعلم بعد أبي العلوم
ومن للشعر بعد أبي(علاء) وصوت الشعر أصبح في وجوم
ومن للزهد بعد أبي(كمال) ومن يحمي حمى الدين القويم
ومن للفضل بعد أبي(جلال) وصرح الفضل أصبح كالهشيم
أبا(حسن) إذا ما غبت عنا فذكرك(خالد)عند العموم
لقد عفت الحياة ونحن فيها نكابد لوعة العيش الذميم
وحقك ما الحياة حياة عز تطيب لكل شيطان رجيم
خيار الناس تلقاهم نياما على مضض كأصحاب الرقيم
فكيف يطيب عيش في بلاد يذل بها الكريم إلى اللئيم
تنعم في الجنان فأنت فيها مدى الأيام في عيش نعيم

الشيخ محمد حسن كبة:

هو العالم الأديب والشاعر الأريب والرجل الفذ الذي جمع من الصفات ما لا يمكن لغيره فقد عرف انه من العلماء الأعلام ومن الفقهاء المبرزين في بغداد.وانه أديب نابه وشاعر مخلق دلت مساجلاته الشعرية التي كانت تجري بينه وبين أقرانه من فطاحل الشعراء كالحبوبي والعمري والسيد حيدر الحلي من مساجلات أدبية وقصائد شعرية ومراسلات نثرية تدل على بعد غوره +وتضلعه في هذه الفنون.وما كتاب العقد المفصل الذي ألفه الشاعر المعروف المرحوم السيد حيدر الحلي في الشيخ محمد حسن كبة.والذي يعتبر بحق انه من خيرة كتب الأدب التي الفت في العراق ومن يرجع إلى الكتاب المذكور الذي طبع في عام ١٣٣١هـ في بغداد يجد فيه مرجعا خصبا للحركة الأدبية في العراق عامة وفي بغداد خاصة في القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر الهجري. كان لأسرته الكريمة التي أحرزت في بغداد خاصة مكانة مرموقة ونفوذا كبيرا في المجتمع ولدى الولاة وأرباب الدوائر. لما لها من أياد كبيرة على الناس وخيرات كثار تشهد لهم ماتركوه من آثار لاتزال حتى اليوم يشار لها بالبنان. فما هذه الخانات التي أنشئت في القفار لتكون مأوى لقوافل الزائرين لمراقد الأئمة الأطهار. يجدون فيها الماء والسكن والامان.

وكان لهذه الأسرة دور كبير في خدمة الحركة الأدبية أثناء القرن المنصرم فقد تبنوا الأدب، وكان عميدهم المرحوم والد المترجم الحاج محمد صالح المتوفى سنة ١٢٨٨هـ واخوته المهدي المولود سنة

١٢١٩هـ والمتوفى سنة ١٢٧١هـ والحاج محمد رضا المولود سنة ١٢٤٥هـ والمتوفى سنة ١٢٨٢هـ والحاج مصطفى المولود سنة ١٢٥٥هـ.

كان لهؤلاء فضل يذكر ومكانة مرموقة في الوجاهة والتجارة ولكن الشيخ محمد حسن عرف بالفقه والشعر والأدب.

ولد المرحوم في رمضان سنة ١٢٦٩هـ. ولدى انصرافه عن التجارة إلى دراسة الفقه سكن مدة في سامراء أيام الشيرازي الكبير وبعده درس على الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية وقضى اكثر من عشرين عاما منقطعا عن التأليف في الفقه والأصول،وتوفي في الحادي عشر من رمضان سنة ١٣٣٦هـ وكان لوفاته وقع شديد وأسف عظيم من الجميع.

كانت له مساجلات شعرية وقصائد مشتركة بينه وبين أقرانه من الشعراء تجد ذلك في كتاب العقد المفصل وديوان الحبوبي وديوان العمري.وشعر المترجم جامع بين الرقة والمتانة ونقاء الديباجة والجزالة تقرا فتحس كأنك تقرا ابن سناء الملك وتارة كأنك تقرا أبا فراس الحمداني.

هكذا وصفه الدكتور مهدي البصير في كتابه(نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر).ومن شعره متشوقا إلى بغداد:

أرحها أيها الحادي على مغنى ببغداد
وطارحها أحاديث هوى فت بأعضاد
وقرط سمع داعيها بإنشاء وإنشاد

بحيث رياضها باد وألفي زهرة النادي
بروحي أنت من ألف وان عز لك الفادي
فصل مضناك تغليسا وزور من غير ميعاد
هزأت فليس غير المجد لي ألفا ببغداد

الشعراء المبرزون في عهد الدستور العثماني

جميل صدقي الزهاوي:

شاعر عبقري وفيلسوف عظيم ولد سنة ١٢٨٠هـ يقابلها سنة ١٨٦٣م أيام الوالي نامق باشا الكبير تربى في بيت علم بكنف والده العلامة محمد فيضي الزهاوي مفتي العراق فكان جميل الشاعر وكان جميل الفيلسوف وبعد إعلان الدستور العثماني استبشر جميل خيرا بإعلانه فسافر من بغداد والقى عصا ترحاله في استانبول دار السلطنة العثمانية وعين أستاذا في المكتب الملكي أي المدرسة الملكية للفلسفة ومدرسا في جامعة(دار الفنون) للآداب العربية.

ولم تدم إقامته هناك لمرض ألم به فعاد إلى بغداد واشترك في الانتخابات النيابية مرشحا عن حزب الاتحاد والترقي فاز بالأولى بنيابة(المنتفك) والثانية ببغداد ووقف وقفته المشهورة في ساحة مجلس النواب باستانبول في جلسة ٢٩حزيران سنة ١٩١٤م مطالبا إدخال اللغة العربية في المحاكم التي تشكل في ولاية بغداد وقد لقى المتعصبون من(المبعوثان) أي أعضاء مجلس النواب هجوما عنيفا من الزهاوي ففي ذات مرة كان المجلس يبحث في ميزانية البحرية فقرر أن تخصص مبالغ إلى موظفين يقومون بتلاوة بعض الأحاديث النبوية الشريفة من(البخاري) دفعا للخطر الذي يداهم الأسطول العثماني فاعترض الزهاوي على ذلك وقال بتهكم أيها السادة أن البواخر تسير بالبخار

وليس بالبخاري فضج المحافظون سخطا واستنكارا، وخطب الزهاوي في مناسبة أخرى فقال لقد جاء في الآية الكريمة(إن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ليس هم العباد النساك إنما القصد هم الصالحون لأعمارها فارتفعت أصوات المعممين تطالب بإخراج هذا الزنديق من المجلس، ومع هذا لم تلهه لاهية عن طلب حق العرب المغصوب وهو في المجلس رغما على نزعته الاتحادية ولما شبت نار الحرب العالمية الأولى وخرج العراق من الحكم العثماني ودخل في حكم الإنكليز راح الزهاوي يسايرهم ويجاملهم فمدح الإنكليز ليبعد عن نفسه تهمة الولاه للعثمانيين فيقول:

أحب الإنكليز واصطفيهم — لمرضي الإخاء من الأنام
جلو في الملك جلوة كل ظلم — بعدل ضاء كالبدر التمام
تبصر أيها العربي واترك — ولاء البعض من قوم لئام
ووال الإنكليز رجال عدل — وصدق في الفعال وفي الكلام

وقد لازم الزهاوي أواخر أيامه سخط عميق ولم ينفك لسانه من التذمر إلى أن وافاه الأجل المحتوم وذلك سنة ١٣٥٥هـ يقابلها سنة ١٩٣٩م وشيع جثمانه إلى مقره الأخير في مقبرة الإمام الأعظم فوقف الشاعر معروف الرصافي على حافة قبره وأبّنه بأبيات وهي:

أيها الفيلسوف قد عشت مضنى — مثل ميت وصرت بالموت حيا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر — ناطق بالبقاء لم تخش شيا
أنت في الفضل عشت حيا وميتا — حزت في الحالتين ذكرا عليا
سوف ابكي عليك شجوا وأني — كنت أبكيك في الحياة شجيا

وقد أرخت عام وفاته بقولي:

لاتندبوا شيخ القريض فانه	يغنيه منكم في الممات عويل
فلقد تولته العناية فاغتـدى	له في فراديس الجنان مقيل
طوبى له في جنة قد ازلفت	رضوانها للمتقين يقـول
مذ تاب تاب الله عنه أرخوا	نال الرضاء من الإله جميل
	١٣٥٥هـ

معروف الرصافي:

لقب الشاعر معروف الرصافي نسبة إلى جانب الرصافة بمدينة بغداد ولد سنة ١٢٩٣هـ يقابلها ١٨٧٦م أيام الوالي عبد الرحمن باشا وبعد أن ترعرع ونشا ٠التحق بالمدارس العلمية وقد غلب عليه حب الشعر فقرضه فكان ريحانة أوانه وجمانة أقرانه.

وقد ظهر في شعره الكوني والفلسفي نزعات قوية دالة على عمق تفكره كما أبان شعره الوصفي عن دقة وقوة تصوير الأشياء أما شعره السياسي والاجتماعي فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة التي تدل على انه كان سياسيا بل كان من الطراز الأول في جيله يتمنى الخير لبلاده ولقومه بل للعرب جميعا وفي سنة ١٣١٨هـ يقابلها ١٩٠٠م أيام الوالي نامق باشا الصغير عين مدرسا للآداب واللغة العربية في مكتب الإعدادي العسكري وظل مواضبا فيه حتى إعلان الدستور العثماني فطلبه صاحب جريدة(إقدام) التركية للتحرير في جريدة عربية باسم(الإقدام) تضاهي جريدة(إقدام) التركية فذهب إلى استانبول وبقي

مدة فيها ثم عاد إلى بغداد لعدم إصدار الجريدة المذكورة وظل يواصل سعيه ويناضل بكل جدارة واخلاص فانتخب(مبعوثا) أي نائبا عن لواء(المنتفك) ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى ودخل الحلفاء إلى استانبول وبعد إعلان الهدنة في ٢٦المحرم سنة ١٣٣٧هـ يقابلها ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٨م خرج من استانبول وحل في الشام، وفي سنة ١٩٢١م رجع إلى بغداد وبقي فيها إلى الحكم الوطني. وقد آلى على نفسه الأبية أن لا ينخدع بزخرفة الدينار العراقي، وبعد أن سئم المقام في بغداد اختار مدينة(الفلوجة) مسكنا له، وفي أواخر أيامه عاد إلى بغداد وسكن في الاعظمية يعاني البؤس والشقاء متمسكا بعقيدته إلى أن داهمه المرض، وفي ربيع الثاني سنة ١٣٦٥هـ يقابلها سنة ١٩٤٥م توفي وشيع جثمانه بدموع الأدباء وحسرات الشعراء ودفن في مقبرة الإمام الأعظم حسب وصيته وقد أرخت عام وفاته بقولي:

قضى رب القوافي الغر نحبا   فوالهفي على رب القوافي
قضى من بعدما قد كان فيها   يحلق بالقوادم والخوافي
قضى والفقر حالفه بعنف   يلازمه بوضع غير خاف
أقول لمعشر نبذوه جهرا   أما فيكم له خل موافي
امثل الشاعر المعروف يبقى   رهين البيت في عيش كفاف
فقم واندب مآثره وأرخ   بعدم مات معروف الرصافي
١٣٦٥هـ

العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي:

علم من أعلام الفضيلة والعرفان يرفرف عاليا في الأدب الرفيع يرد طرفه حاسده النجم الوهاج الرائي إليه خاسئا وهو حسير.

علم شامخ سامي الذرى قمته أفنان الفنون الجميلة واعشوشبت في سفوحه أزهار العلم والأدب النضير.

عالم فاضل اعترفت الحقيقة له بلسان القلم الذي هو باريه بأنه في بديع بيانه قل من يجاريه في مبتكرات معانيه.

هذا هو فتى النجف الأشرف ولد في ٦ رمضان المبارك سنة ١٣٠٦هـ ونشأ في بيت علم وأدب في حجر من أورثه شمما واباء.

شب الشبيبي وأستهل دراسته العلمية على كثير من العلماء الأعلام حتى أصبح دعامة من دعائم النهضة العلمية والوطنية في العراق وانتدب أثناء أنعقاد الصلح في مهمة خطيرة الشأن في الحجاز فقام بأدائها خير قيام على أثر وصوله إلى مكة المكرمة في ٦ذي الحجة سنة ١٣٣٧هـ ثم فارق الحجاز إلى الشام وغرضه درس المسألة العربية هناك وظل فيها إلى أن نشبت الثورة العراقية ففارق دمشق قافلا إلى العراق بطريق البادية يوم الأربعاء ١٤صفر سنة ١٣٣٩هـ يقابلها ٢٧تشرين أول سنة ١٩٢٠م ووصل بغداد في ١٠ربيع الأول سنة ١٣٣٩هـ حيث أقبل على استئناف العمل المثمر في الدرس والبحث والتفكير والتأليف،وهو ألان يتمتع بحياة علمية زاهرة في بغداد.

ومن غرر قصائده الشعرية قصيدة(باطل الحمد ومكذوب الثنا)وهي:

فتنة الناس وقينا ألفتنا   باطل الحمد ومكذوب الثنا

رب جهم حوّلاه قمـــــرا وقبيح صيراه حسنـــــــا
أيها المصلح من أخلاقنـــا أيها المصلح الداء هنـــا
كلنا يطلب ما ليـــس لــه كلنا يطلب ذا حتى أنـــا
ربمـــا تنجبنـــا مخضــرة أربع في الأصل كانت دمنا
لم تزل ويحك يا عصر أفق عصر ألقاب كبار وكنـــى
حكم الناس على الناس بمـــا سمعوا عنهم وغضوا الاعينا
فاستحالت وأنا من بعضهــم أذني عينا وعينـــي أذنـــا
اخطا الحق فريق بائـــس لم يلومونا ولامـــوا الزمنـــا
إننا نجني علـــى أنفسنـــا حين نجني ثم ندعو من جنى
بلغ الناس الأمانـــي حقــه وبلغناها ولكـــن بالمنـــى

* * *

خسرت صفقتكم من معشر شروا العار وباعوا الوطنا
ارخصوه ولو اعتاضوا به هذه الدنيا لقلت ثمنـــا
يا عبيد المال خير منكـم جهلاء يعبدون الوثنـــا
إنني ذاك العراقي الـــذي ذكر الشام وناجى اليمينـــا
إنني اعتد نجدا روضتـــي وارى جنة عدني عدنـــا

* * *

أيها الجيل اكتشفت لي حاضرا كلما خرب ماضيك بنـــى
ينهض الشعب فيمشـــي قدما لو مشى الدهر إليه ما انثنى
حالة النفس التي تسعدهـــا وتريها كل صعب هينـــا
ففقير مـــن عنـــاه طمـــع وغني من يرى الفقر غنى

الحاج عبد الحسين الازري:

شاعر وكاتب جال جولة في ميدان الصحافة قبل الحرب العالمية الأولى فظهر كاتبا فاضلا وحام حول الشعر بعد الحرب فاسمعنا شعرا معجبا أنسانا أن ناظمه كاتب مجيد وترى قصائده التي ينظمها وينشدها في محافل العراق رنة استحسان لما تضمنته من العواطف الرقيقة والاحساسات الطيبة فضلا عن سلاستها واتساق معانيها.

ولد الازري في ربيع الأول سنة ١٢٩٨هـ ونشأ فيها وقد تخرج في حداثته من المدارس الابتدائية ثم درس على الشيخ شكر قاضي الجعفرية شيئا كثيرا من علوم الأدب والدين ونظم الشعر وعمره ١٥سنة ودخل حزب(الائتلاف) بعد إعلان الدستور واشتغل في الصحافة وانشأ في سنة ١٩٠٩م جريدة(الروضة) وفي سنة ١٩١٠م انشا جريدة(مصباح الشرق) وفي نفس السنة انشا جريدة(المصباح الأغر) وقد نفي إلى بلاد الأناضول(قيسرى) مع من نفي من الأحرار والمنورين لاشتغاله في القضية العربية وانضمامه إلى حزب(اللامركزية) الذي كان مركزه في بيروت وهو يحسن اللغة الفرنسية وكان يمقت السفور ويتحامل عليه ويناصر الحجاب ويرغب فيه وعلى اثر قصيدة(المرأة في الشرق) التي نظمها المرحوم معروف الرصافي وانشدها على أحد مسارح بغداد نظم قصيدة بعنوان(الكتاب والحجاب) وهي:

أمنازل الخفرات بالزوراء لازعزعتك عواصف الأهواء
قري فانك للفتاة أريكة ضربت سرادقها على النجباء
لا تحزني مما رماك به الهوى ظلما وظنك معقل الإسراء

أين الاسارة من عفاف طاهر　　أين المعاقل من كناس ظبــاء

* * *

أكربمة الزوراء لا يذهــب بــك　　النهج المخالف بيـئة الزوراء

أو يخدعنك شاعــر بخيالـــــه　　أن الخيال مطيـــة الشعــراء

حصروا علاجك بالسفور ومادروا　　أن الذي حصروه عــين الداء

أولم يروا أن الفتــــاة بطبعهـــا　　كالماء لم يحفظ بغيــر إنـــاء

من يكفل الفتيات بعــــد ظهورها　　مما يجيش بخاطــر السفهــاء

ومن الذي ينهى الفتى بشبابـــه　　من خدع كل خريــدة حسنـــاء

ليس الحجاب بمالغ تهذيبهـــــا　　فالعلم لم يرفع علــى الأزيــاء

أولم يسغ تعليمهن بـــــدون أن　　يمــلان بالأعطاف عين الرائي

ويجلن مابين الرجال سوافـــــرا　　بتجــاذف الأرداف والأثـــداء

فكأنما التهذيب ليس بممكـــــن　　إلا إذا برزت بــدون غطـــاء

وكأنما الإصلاح عز بنـــــاؤه　　ما لم يشيد مســرح بنســـاء

أن المسارح لا تدير شؤونهـــــا　　من كلفت برعــاية الأبنـــاء

مثل بها دور الفضيلة أنهـــــا　　تغنيك عن تمثيـل دور أبــاء

وانظر إلى شان المحيط وأهلـــه　　كيلا تفوتك حكمــة الحكمــاء

* * *

نص الكتاب على الحجاب ولم يبح　　للمسلمين تبرج العــــــذراء

قل لي فماذا يصنع العلماء لـــو　　نزهتهم عن سيرة الجهـــــلاء

ماذا يربيك مــن حجاب ساتـــر　　جيد المهاة وطلعة الذلفــــاء

ماذا يربيك مــن أزار مانـــــع　　وزر الغواد وضلة الأهـــواء

ما في الحجاب سوى الحياء فهــل　　من التهذيب أن يهتكن ستر حياء

هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى   لو اصدقتك ضمائر الجلساء
شيد مدارسهن وارفع مستوى   أخلاقهن لصالح الأبناء
وافحص عن الأخلاق قبل حجابها   اوما سمعت بطائر العنقاء
اسفينة الوطن العزيز تبصري   بالقعر لا يغررك سطح الماء
وحديقة الثمر الجني ترصدي   عبث اللصوص بليلة ليلاء

وظل الازري يمرح في رياض الشعر ويطير في سماء خياله إلى أن توفي في ١٧ كانون الأول سنة ١٩٥٤م ودفن في النجف الاشرف.

عبد الرحمن البناء:

كان البناء شاعرا مطبوعا –كما وصفه الأستاذ محمد بهجة الأثري–وكان ينظم الشعر في الفخر والمديح والرثاء والتهاني ولما أعلن الدستور العثماني اخذ ينظم القصائد السياسية والاجتماعية وسطع نجمه فكان ثالث اثنين لجميل الزهاوي ومعروف الرصافي فنال منزله شجعته على مثابرة النظم.

وبعد أن طبع ديوانه الجزء الأول ذاع صيته واشتهر وظل يكافح ويناضل حتى احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني وحينما اندلعت نار الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ م ساهم فيها واعتلى منابر الحفلات واخذ يزأر بوجه المحتل غير هياب ولا وجل، وعلى هذا لقب(بشاعر الاستقلال) حتى أقعده المرض المزمن وظل رهين داره يعاني الآلام التي ألمت به، وفي ٥شوال سنة ١٣٧٤هـ يقابلها سنة ١٩٥٥ توفي

رحمه الله عليه وريثته بقصيدة أرخت بها عام وفاته وطبعت بعد مضي أربعين يوما لوفاته بجريدة الزمان وهي:

خرست لسعيك ألسن الفصحـــــاء   وبكت لفقدك أعين الأدبـــــــاء
وروى الرواة حديث شعرك مرسلا   متحليا بروائع الإنشـــــــــــاء
شعر به أوحى نهاك فصغتـــــه   من مصدر الإلهام والإيحـــــاء
شعر رصين محكمات آيـــــــه   قد ركبت من جوهـــــر الآراء
في حسن مطلعه ومسك ختامـــه   يبدو كقطر سحابة وطفـــــــاء
قد زاحم الشعري العبور شعـاره   وعلت مكانته على الجـــــوزاء
صوت فيه في المحافل داعيـــا   أيام كان الصوت للأعـــــــداء
كم صك مسمعهم بقوة لفظـــــه   واطـــال محنتهم بحســـــن أداء
واراع(لندن) في صواعقه التـــي   أرسلتها تترى بلا إبطـــــــــاء
دافعت عن شعب نشأت بربعــه   حرا بلا زهو ولا خيـــــــلاء
عاهدت نفسك أن تكون له الفدى   والشعب لا يرقى بغير فـــــداء
وبنيت صرح المجد في عليائــه   والفخر كل الفخـــر للبنـــــاء
اذهب لقد قضيت واجبك الـــذي   أديته للشـــعب خيـــــــــر أداء
اذهب فذكرك في البرية خالــد   كالبـــدر يسفر واضـــح الــلألاء
اذهب أخي فأنني بك لاحـــق   فلقد سئمـــت بذي الحياة بقائـــي
ما كان ظني أن يداهمك الردى   قبلي وظني أن تصـــوغ رثائـــي
لا تعتبن على الزمان فانــــه   زمن غدا يمشي مع الجهـــلاء
فلئن قضيت العمر بين معاشــر   قد قابلوك بغلظة و جفـــــــاء
ولئن شقيت وما بلغث مأربــــا   فالحر دوما مبتلى بشقـــــــاء
ما كنت وحدك في البلاد مضيعا   فيها تقاسي العيش في برجـــاء

لك في(الرصافي) أسوة وبغيره من خيرة الأدباء والشعـــــراء

* * *

يا ساكن الصحراء بيـــن دوارس والصمت ملء جوانب الصحراء

ومعانق الأكفان في طي الثـــرى بعد اعتكار الليلة الظلمـــــاء

فارقت دنيا أرهقتك بجورهـــا وغنمت اجر الغارة الشعـــواء

مرت عليك الأربعون وأنت في نوم عميق بعد طول عنـــاء

نم ملء جفنك أمنا ومنعـــما ناء عن الشحناء و البغضـــاء

في مرقد يكفيك من حسناتـــه أن ليس جنبك في الحديث مرائي

في ساحة الفردوس بين رياضها في المقعد الأسمى مع الشهـداء

أرخت بيتا بالعلاء مقــــره رفعت قواعده إلـــى أنـــاء

١٩٥٥م

إعلان الحرب العالمية

تعيش بغداد في هذا الدور باطمئنان ورخاء مستمر وفي ١١رمضان سنة١٣٣٢ هـ يقابلها ١٣آب سنة١٩١٤ م بينما الناس آمنون وعاكفون على صلاتهم معتزين بصيامهم إذا الحكومة العثمانية تفاجئهم بإعلان النفير العام بمناسبة إعلان الحرب العالمية المعروفة عند أهل بغداد(بالسفر بر) وقد شاهدنا على الجدران ألواح مخطوطة بالقلم العريض(سفر برلك وار) أو(وان) وصورت تحت هذه العبارة سيف وبندقية متعانقان وتحتهما صورة مدفع وسرعان ما غير أهل بغداد كلمة(سفر برلك) بكلمة(سفر علك)إشارة إلى الهزيمة وان هذا السفر المشؤوم لم يزل عالقا في أذهان العراقيين عامة والبغداديين خاصة فلقد ذهب ضحيته ماينوف على العشرين ألف جندي قادهم حسام الدين باشا إلى ساحة(ارضروم) للخوض في غمار الحرب مع(روسيا) فكانوا فريسة الأمراض الفتاكة والبرد القارص، وهذه المصيبة العظمى والطامة الكبرى تركت رنة حزن وإسى في بيوت بغداد عامة.

غرق بغداد:

في أيام الوالي جاويد باشا والحرب مشتعلة نارها وفي محرم سنة ١٣٣٣هـ يقابلها ١٥تشرين الأول سنة ١٩١٤م ارتفعت مناسيب نهر دجلة ارتفاعا هائلا استولى الماء على طرق بغداد بصورة لم يسبق لها مثيل وباتت بغداد على شفا جرف الغرق وفي منتصف الليل حصلت

ضجة والناس يستفزون إخوانهم وابناء وطنهم لمقاومة الماء الذي غمر الدور والمساكن وقد حصل الغرق من جهة الباب الشرقي وكانت حالة مؤلمة فقد صادفت أيام احتلال مدينة البصرة في أيدي البريطانيين،وسبب غرق بغداد أن عزت الفارسي رئيس بلدية بغداد قد أمر برفع السد القديم الذي كان حاجزا لمنع مجيء الماء إلى بغداد وعلى اثر رفع ذلك السد هجم تيار الماء الصاخب على محلة باب الشيخ واغرق بعض دورها المجاورة لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني واخذ يتدفق بسرعةٍ هائلة على المحلات المقابلة لجامع الشيخ عمر السهروردي حتى غمر المقابر وبعض الدور وكلما حاول الأهلون أن يضعوا سدا فلم يفلحوا واخذوا يعملون سدودا في الأزقة والطرق وماهي الأ غمضة عين حتى دخل الماء إلى محلة العزة وانساب إلى سوق الفضل فهناك عاد الصراخ والضجيج والبكاء والعويل.

شيخ سعيد النقشبندي يخطب بالناس:

وقد رأيت المرحوم الشيخ سعيد النقشبندي شقيق العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب واقفا بين جموع النساء والأولاد المحتشدة وهو يحثهم على حمل التراب ووضعه على السد الذي أقيم واذكر انه ألقى خطبة ارتجالية لم أتمكن من ضبطها وقد بكى وأبكى الناس وحمل التراب(بجبته) ولما رآه الناس وهو يحمل التراب استماتوا على السد والطبول تضرب والصراخ قائم والبكاء والعويل بالغان أشدهما ولكن(لا عاصم اليوم من أمر الله) فقد جرف الماء ذلك السد واندفق حتى وقف

خلف مدرسة الفضل الابتدائية اليوم ولو لم ينخفض نهر دجلة لكان الوضع على غاية الخطورة وقد ترك أصحاب البيوت التي غمرها الماء اكثر أمتعتهم في البيوت وذهبوا إلى ما شاء الله فمنهم من لجأ إلى الجوامع ومنهم من ذهب إلى جانب الكرخ ومنهم من لاذ بأقربائه البعيدين عن الخطر وقد شاهدت الأثاث البيتية مكدسة في الماء والناس في غنى عنهم وبمناسبة هذا الغرق الفضيع أرخ عامه عبد الرحمن البناء بقوله:

عوذت داري ومن قد حل ساحتها بقل أعوذ برب الناس والفلق

عام به الماء في تشرين حين طغى على الرصافة قد أرخت(بالغرق) ١٣٣٣هـ

إعلان الجهاد:

وبعد أن سقطت مدينة البصرة بيد البريطانيين أصدرت المشيخة الإسلامية في استانبول فتوى شرعية في كافة الممالك الإسلامية وفي جوامع بغداد عامة وذلك في ٢٧ المحرم سنة ١٣٣٣هـ ومضمون الفتوى مداهمة الخطر المحدق بالبلاد الإسلامية وتدعو إلى لزوم الجهاد والنفير العام بوجه الأعداء، وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان(الوطن والجهاد) يستنهض بها همم المسلمين على الجهاد ويحثهم على الدفاع والذود عن حياض الوطن وهي:

يا قوم أن العدى قد هاجموا الوطنا فانضوا الصوارم واحموا الأهل والوطنا

واستنفروا لعدو الله كل فتى ممن نأى من أقاصي أرضكم ودنا

واستنهضوا من بني الإسلام قاطبة   من يسكن البدو والأرياف والمدنا
واستقتلوا في سبيل الذود عن وطن   به تقيمون دين الله والسننـــــا
واستسلموا للعدا بالصبر واتخــذوا   صدى العزائم في تدميرهم جننا
واستنكفوا في الوغى أن تلبسوا أبدا   عار الهزيمة حتى تلبسوا الكفنــا
أن لم تموتوا كراما في مواطنكــم   متم أذلاء فيها ميتـــة الجبنـــا
لا عذر للمسلمين اليوم أن وهــوا   في هوشة ذل فيها كل مــن وهنا
ولا حياة لهم من بعدما جبنـــــوا   كلا وأي حياة للـــــذي جبنـــا
عار على المسلميــن اليــوم انهم   لم ينقذوا مصر أو لم ينقذوا عدنا
قل للحسينين في مصر رويدكمـــا   قد خنتم الله والإســـلام والوطنا
شايعتما الإنكليز اليوم عن سفــــه   تالله ما كان هذا منكما حسنـــا
قد بعتما الدين والدنيا مجازفـــــة   فكنتما في البرايا شر من غبنـــا
لا تفرحا بالوسامين اللذين همـــا   طوقا اسارة مصر فيكما اقترنـــا
قد مثلا منكما للناس قاطبـــــة   عجلا أضل الورى من قبل أو وثنا
مازان صدركما شيئـــا بحملهما   بل اصبحا في كلا صدريكما درنا
أن الحمية لم تنظـــر بمقلتهـــا   إلى وساميكما إلا بكت حزنـــا
ماكان أغلاهما إذ قد غدت لهمـــا   خزائن النيل في أيدي العدا ثمنـــا
ستندمان ولا يجديكمـــا أبـــــدا   إذ تقرعا السن أو أن تقبضا الذقنا
حتى تعود إلى مصـــــر كرامتها   ويطهر النيل من ماء بـــــه اجنا
لازلت يا وطن الإسلام منتصــرا   بالجيش يزحف من أبنائك الامنا
يرد عنك يد الأعـــداء خاســـرة   ويكشف الغم عن افقيك والمحنـــا
سعديك من وطن جلت مفاخـــــره   عن الزوال فلا يحشى بلى وفنـــا
تالله أن معاليك التي سلفـــــــت   تعيي الفصاحة والتبيان واللسنـــا

كم قد أقمت على الأيام من شـرف لنا وانبت في نبع العلا غصنـــا
أنا نحبك حبا لا انتهـــاء لـــه يستغرق الأرض والأكوان والزمنا
نفديك منا بأرواح مطهـــــرة اخلصن الله فيك السر والعلنـــا
إذا دهتك من الأيـــام داهيـــة فلا رعى الله عيناً تالـف الوسنا
وان فتنت بإحدى المزعجات نرق منا الدماء إلى أن تخمد الفتنـــا
فقر عينا وطب نفسا وعش أبـدا وفز بما شئت من حمد وطيب ثنا
ورب مستصحب قد قال يخبرني أن العدو على ارض العراق دنا
فقلت دع عنك هذا انه خبـــر سواه يبعث في أحشائي الشجنـا
أن العراق لعمر الله مسبعــة تواثب الأسد فيها من هنـا وهنا
دون الوصول إليه كل مشعلـة شعواء تترك وجه الشمس مكتمنا
فان فيه رجالاً من بنى مضـر إذا تحارب لا تستشفع الهدنـــا
قوم لقاح أبوا أن يخضعوا أبـدا إلى الملوك وان أعطوهم المؤنا
تحملوا كل عبث في حياتهـم إلا الصغار وإلا الضيم والمننـا
لو أن أماتهم منت على أحـد منهم بألبانها لم يشربوا اللبنـــا
هم المغاوير أن صالوا بملحمـة فلا يرون لهم غير المنون منى
بنوا فاعلوا بناء المجد وارتفعوا به على كل من قد شاده وبنـى
فكيف تقعد عن حرب العدا فئـة أبت سوى العز مأوى والعلى كفنا

☆ ☆ ☆

وقد سافر عدد غير يسير تلبية للجهاد في سبيل الله والإسلام علـى اثر تلك الفتاوى الشرعية. أتذكر منهم السيد عبد الكريم آل السيد حيـدر وجماعة في معيته منهم الحاج سلمان أبو التمن والحاج داؤد أبو التمـن وغيرهم من الوجوه والأشراف.

أول طائرة إنكليزية فوق بغداد:

وفي يوم الأربعاء ٢٧ذي القعدة سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م شاهد أهل بغداد أول طائرة إنكليزية تحوم في سماء بغداد فأخذهم الرعب والخوف من مشهد تلك الطائرة وإنها غدت حديث كل اثنين ولم يحدث منها ما يكدر الأمن.

إعدام أشخاص صلبا في بغداد:

وفي سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م اعدم أشخاص صلبا في محلة راس القرية ببغداد ومنهم التاجر يوسف شكوري وكامل عبد المسيح وقد احدث صلبهم رهبة في قلوب أهل بغداد وقد شاهدت على صدر كل واحد منهم(فرمان) درج فيه ثبوت جريمة التجسس التي اقترفوها.

القائد الألماني غولج باشا:

وفي أواخر المحرم سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م ورد إلى بغداد القائد الألماني فوندرغولج باشا وعين لقيادة الجيش السادس وأجريت المراسيم المعتادة له وكان هذا القائد معروف بعمله وقدرته الحربية ومن المشهور عنه أن فيلقه في جبهة(الفلاحية)دحر جيش الإنكليز المرابط فيها فظل القائد غولج باشا يشدد الخناق بخططه

الحربية على الجيش البريطاني المرابط هناك حتى توفي في ٢٦جمادي الأخرى سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م على اثر مرض ألـم بـه لازمه عدة أيام وجرى دفنه باحتفال رسمي مهيب اشترك فيـه جميـع رجال الدولة العثمانية من عسكريين وملكيين ودفن في المحل الذي اعـد له في باب الشرقي محل بيع البانزين اليوم ثم نقل إلى مقـره الأخـير وانطوت صحيفة هذا القائد العظيم.

انتحار القائد سليمان عسكري:

وبعد إن جرح القائد سليمان عسكري بك في هجومه الذي شنه على الإنكليز نقل إلى بغداد للتداوي في المستشفى العسكري(خسـتة خانـة المجيدية). ولم يمكث في المستشفى غير أيام قلائل حتى عاد إلى سـاحة الحرب وقد شوهد هذا القائد راكبا عربة ولا يزال مضطربا من جرحـه ينتقل من مكان إلى أخر فيسوق الجيش ويدربه وبعد أن راى الجيـش على شفا جرف هرب مولي الأدبار وان معنويته قد ضعفت انتحر سـنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م وانمحى اسم هذا القـائد مـن صحيفـة أعماله المملوءة بالأغلاط الحربية.

استشهاد محمد فاضل باشا الداغستاني:

في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـيقابلها سنة ١٩١٥م نال رتبـة الشهادة الفريق المجاهد محمد فاضل الداغستاني بعد أن أبلى بلاء حسنا

في ساحة الحرب رضى به الله والوطن.ومحمد فاضل باشا غني عن التعريف فهو اشهر من نار على علم في بسالته وبطولته وان صحائف أعماله الناصعة تشهد له أمام الله.

وقد نقل جثمانه من ساحة الحرب إلى بغداد وأجريت له المراسيم العسكرية وحضر تشييع جثمانه جميع رجال الدولة من عسكريين وملكيين وعزلت الأسواق وبكاه الناس بدموع الحزن والأسى لما كانوا يعهدون به من شهامة عربية والحرص على مصالحهم وقد اشترك في تشييع جنازته نساء جميع محلات بغداد على اختلافهن وشاهدت جمهرة من النساء خلف النعش صارخات حاسرات يندبن قائلات(وين أبو داؤد وينه) ودفن في مقبرة الإمام الأعظم وقد أرخ عام وفاته العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقوله:

أن القبور تباشرت بمحمد	الفاضل الندب الكريم الأمجد
في النشأتين له عظيم مفاخر	ودم الشهادة شاهد بالمقصد
ذاك الذي بذل الحياة لدينه	ويلي عليه وويل كل موحد
جبل تسير به الكرام لقبره	أسفا على هذا الأمير الأوحد
قالت ملائكة السماء فأرخوا	هذي الجنان إلى الشهيد محمد
	١٣٣٤هـ

الوالي خليل باشا:

بعد أن نجح القائد نوري الدين باشا في مسعاه بانسحابه إلى(سلمان باك) لم يرق للقيادة العامة إبقائه في منصبه وعين القائد خليل باشا واليا

لولاية بغداد وقائدا للجيش وذلك في ٦ربيع الأول ١٣٣٤هـ يقابلها ١٢ كانون الثاني ١٩١٦م وفي أيامه الأولى اندحر الجيش الإنكليزي في معركة(سلمان باك) مغلوبا وحوصر في الكوت. ومما قاله الشاعر عبد الرحمن إبراهيم المصري في هذه المناسبة:

يا قائدا جيش العراق لك الثنا   والحمد والشكران والإطراء
بك لا بغيرك نسترد بلادنا   وبسيف عزمك تسحق الأعداء
واليك قال الخير انشد قائلا   أرخ تعود البصرة الفيحاء
١٣٣٤هـ

وفي هذه السنة كنت جنديا إجباريا في مستشفى الاعظمية وتسمى(اعظمية غروب خسته خانه سي) برتبة(زرنال جاووشي) أي عريف وعلى الانتصار الذي أحرزه جيشنا نظمت قصيدة قرأتها في المستشفى بحضور الأطباء وجميع الجنود وهي:

قد عقدنا آمالنا بالخليل   وحمانا من كل شر وبيل
دحر الإنكليز دحرا فصاروا   مثل عصف من اللظى مأكول
في سيوف وفي مدافع حرب   وشظايا القتهم في عويل
ما دروا في عريننا أسد حرب   رابضين من كل شهم نبيل
أشبعوهم من القنابل ضربا   طرحتهم إلى الرقاد الطويل
أيها الإنكليز هلا اكتفيتم   من فساد الأفعال والتضليل
كم غدرتم وكم خدعتم شعوبا   بنفاق لنيلة المأمول
أنبئونا يا زمرة الغي جهرا   افهل جاء ذاك في الإنجيل
فاقطعوا للوصول كل رجاء   من فرات ودجلة والنيل
واثقوا بانتصارنا فهو حق   آية النصر مالها من بديل

انزل الله فـــــي كتــــــاب وحيه جاء للنبي الرســـــول
كيف لا والإسلام اومض نورا من(رشاد) الأنام والتبجيـــل
ملك خصه الكريم بنصـــــر ماله في العصور في تحويــل
ملك قبلت يديه ملـــــــوك فاحتمى عرشهم من التقبيــل
غرس العدل في البلاد وساوى بين عال في ماكه وضئيـــل
طود حلم يكاد يستعبد الـــــد هر بعزم وحد ســـيف صقيل
حازم الرأي ذو مراس شديـــد ثابت الجأش ماله مـــن مثيل
نشره العلم في الخلائق شمس نجمه الفتح ماله من أفـــول
ثبت الله عزم جيش رعـــاه في جميع البلاد والدردنيـــل
وبفضل الإله يبقى مليكــــا دائما أمـــنا بظل ظليـــل

* * *

والشائع عن الوالي خليل باشا انه انهمك انهماكا شائنا في بعـــض المومسات في بغداد فاستولت عليه ولعبت بعقله وألهته عن الأمر المــهم الذي أنيط به وانه قال لها وهو نشوان:(أنا قائد الجبهة وأنــت الحــاكم المطلق علي) ولم يتجنب مثل هذه الألفاظ التي لا تليق بمنصبه بصفتـــه والي ولاية بغداد وقائد الجيش. هذا هو خليل باشا وقـــد توفـــي ســـنة ١٣٧٧هــ يقابلها سنة ١٩٥٧م في استانبول.

تسليم الجيش الإنكليزي المحصور في الكوت:

وبعد أن حاول الجيش الإنكليزي المحصور في الكوت التخلص من الانحصار فلم يفلح واخيرا في أوائل رجب سنة ١٣٣٤هــ يقابلها ســـنة

١٩١٦م سلم الجنرال(طاوسند) ومعه خمسة جنرالية و٢٧٧ ضابطـــا و ٢٧٤ضابطا هنديا و ١٣٣٠٠جندي وبذلك عم الفرح والسرور في جميع أنحاء البلاد العثمانية لاسيما في بغداد فقد كان يوم ورودهم إلي بغـــداد عيدا من الأعياد.

أنور باشا في بغداد:

وبعد أن سلم الجيش الإنكليزي المحصور في الكـــوت وفـــي ١٧ رجب سنة ١٣٣٤هـــ يقابلها ١٩ مايس سنة ١٩١٦م وصل بغداد وكيـل القائد العام وناظر الحربية أنور باشا وأجريت له المراســيم العســكرية ومكث في بغداد ستة أيام تفقد فيها جبهة الحرب وزار العتبات المقدســة وأهدى ضريح الإمام الأعظم وضريح الشيخ عبـــد القــادر الكيلانـــي مصاحف ثلاثة رصعت بالماس والياقوت وعاد إلى استانبول.

جادة خليل باشا:

كان في نية العثمانيين من قبل فتح(جادة) أي شـــارع فـــي بغـــداد ولكنهم لم يتجرؤا على فتحه لما كان يكلفهم من المبالغ الطائلـــة ولمـــا أعلنت الحرب وجدوا أن الفرصة قد حانت لفتحه أذلا يستطيع أحـــد أن يعارضهم ولما شرعوا في فتحه ظلموا كثيرين من الناس وجاروا علـــى الضعيف والذين قدروا أن يرشو من بيده الأمر وجد لهم آلف عذر لعدم هدم داره والتعرض لها، وقد فتح هذا الشارع في أيام الوالي خليل باشـــا

ويبتدئ الشارع من الباب الشرقي وينتهي في باب المعظم وقد جرى افتتاحه في ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤هـ يقابلها ٢٣ تموز سنة ١٩١٦م أي شارع خليل باشا وبني بالجدار المطل على الشارع من جامع السيد سلطان علي وبعد احتلال بغداد رفع ذلك اللوح وسمي(شارع الرشيد) وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان(الشارع الكبير) يصف بها هذا الشارع وهي:

نكب الشارع الكبير ببغداد ... ولا تمشي فيه إلا اضطرارا
شارع أن ركبت ثنيه يوما ... تلق فيه السهول و الاوعارا
تترامى سنابك الخيل فيه ... أن تقحكن وعثه والخبارا
فهي تحثو فيه التراب على إلا ... وجه حثوا وتقذف الاحجارا
لو ركبت البراق فيه أو البرق ... نهارا لما أمنت العثارا
تحسب العابرين فيه سكارى ... من عناء تنسموه غبارا
ساطعا يملا الفضا مستطيرا ... حاملا في ذراته الاقذارا
مستجيشا من الجراثيم جيشا ... مسيطرا عرمرما جرارا
هو أن رش جاش وحلا وإلا ... جاش نقعا على الوجوه مثارا
تصهر الشمس فيه ادمغه القوم ... إذا هم تخبطوه نهارا
وإذا ما مشيت في جانبيه ... فتجنب رصيفه المنهارا
وإذا ما أرسلت إلى الاطرا ... ف لحظا أنكرته انكارا
لاترى ما يسرك بالصنعة ... حسنا ويبهج الابصارا
بل ترى العين فيه كل جدار ... تكره العين أن تراه جدارا
فجدار عال وفي الجنب منه ... متدان تقيسه أشبرا
ودكاكين كالافاحيص تمتد ... يمينا بطوله ويسارا

أين هذا من الشوارع فـــــي الأمصار زانت بحسنها الامصارا
عبدوها ومهدوها فجـــــاءت لا اعوجاجا فيهـــا ولا ازورارا
واعدوا بهن كل رصيـــــف يحمه السير فوقه من ســــارا
أقاموا لهم بها كل صـــــرح مشمخر بناؤه اشمخــــرارا
فعلى الجانبين كل بنــــاء خيل في الحسن كوكبا قد أنــــارا
ثم لم يكتفوا بذلك حتـــــى غرسوا في ضفافها الاشجـــارا
فوقتهم ظلالها وهج الشمـــس وسر اخضرارها الانظـــــارا
هكذا فلتكن شوارعنا اليــوم وإلا فما عمرنا الديـــــــارا

طيارات إنكليزية تلقي قنابل على بغداد:

في يوم ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٧م ظهرت ثلاث طائرات إنكليزية فوق بغداد وألقت عليها عدة قنابل ألقيت واحـــدة على(قشلة البيادة) ثكنة المشاة وقد سقطت وراء دائـــرة البلديـــة أمانـــة العاصمة اليوم في دار أيوب جلبي فخربتها وكسرت زجاج شبابيك الدار المجاورة لها وواحدة سقطت في (القلعة) ثكنة المدفعيـــة فـــي الميـــدان أصابت رجلا فقتلته وآخر جرحته وقد احدث وقع تلك القنـــابل ضجـــة عظيمة في بغداد الأمر الذي جعل السكان لا يـــأمنون علـــى أنفســـهم وساورهم الخوف والرعب من جراء ذلك.

سقوط بغداد بيد الإنكليز:

وهكذا شاءت إرادة الله أن تذهب(دار السلام) بغداد عاصمة العباسيين ضياعا ويحتلها الأعداء عنوة فأمرت الحكومة العثمانية بنقل ما لديها من سجلات مهمة ونقود إلى مدينة سامراء. وفي ١٧ جمادي الأولى سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٧م صدر الأمر للموظفين بالنزوح عن بغداد وكنت أنا من النازحين مع الجنود(الخسته خانه) المستشفى وعندما وصلنا إلى سامراء شاهدت تلك المدينة الصغيرة وهي تموج بالموظفين العسكريين والملكيين والجنود أيقنت أن بغداد قد ضاعت من أيدي العثمانيين وبقيت في المستشفى والجرحى والمرضى ينهالون علينا وغصت المستشفى بهم وكثرت الوفيات منهم ولعدم وجود كفن(خام) لتكفينهم كنا ندفنهم بملابسهم الملطخة بالدماء رحمهم الله أسكنهم فسيح جناته مع الشهداء الأبرار.

وفي يوم الأحد ١٧ جمادي الأولى سنة ١٣٣٥هـ يقابلها ١١ آذار سنة ١٩١٧م فوجئنا بخبر سقوط بغداد على أيدي الجيوش الإنكليزية! فوقع وقوع الصاعقة علينا وبعد ساعات ظهرت طيارات في سماء سامراء ورمت القنابل على محطة القطار ومن فزعنا لذنا في ضريحي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام وذهبت أنا ولذت(بغيبة) الأمام المهدي عليه السلام ووقفت وقلت والدموع تذرف من عيني:

فقم لها يا إمام المسلمين فقد

آن الأوان وخذ في كفك العلما

واصرخ على الشرك وأعلن الجهاد وقل

وا احمداه ترى الغبرا تفيض دما

وعلى اثر سقوط بغداد نظم الشاعر معـــروف الرصـــافي قصيـــدة بعنوان(نواح دجلة) وهي:

هي عيني ودمعها نضـــــــاح	كل حزن لمائها يمتـــــــــاح
كيف لا اذرف الدموع وعــزي	بيد الذل هالك مجتـــــــــاح
قد رمتني يد الزمان بخطـــب	جلل ما لليله إصبـــــــــاح
حيث غمت علي وجه سمائـــي	ظلمات تخفى بها الأشبـــاح
وتوارى عن أعيني مضمحـــلا	شرف في مواطني وضــــاح
يوم أمسيت لا حماة تذود الضيم	عني ولا ظبي ورمــــــــاح
فأنا اليوم كالسفينة تجـــــري	لاشراع فيها ولا مــــــــلاح
ضقت ذرعا بمحنتي فتـــراءت	قيد شبر إلى الفجاج الفســـاح
نحت حتى رثي العدو لحالـــي	واعتراني من العويل بحـــاح
فمياهي انسكاب دموعــــــي	وخريري هو البكا و النـــواح
اوما تبصر اضطرابي إذا مـــا	خفقت فـــي جوانبـــي الأرواح
ليس ذا الموج في موجا ولكـن	هو مني تنهـد وصيـــــــاح
أن وجدي هو الجحيم ولـــولا	ادمعي أحرقتني الاتــــراح
لو درى منبعي لما أنا فيــــه	من أسى جـف ماؤه الضحضاح
علـه قـد درى بذاك فهـــــذا	هو باك ودمعـه سفـــــــاح
أين أهل الحفاظ قـد تركونـي	نهبة في يد العـدو وراحـــوا
برحوا وادي السـلام عجـالا	افجد براحهـم أم مـــــزاح
ما لهم يبعدون عني انتزاحــا	وعزيز منهـم علي انتـــزاح

اوما يعلمون أن حريمي	للمعادين بعدهم مستباح
فلئن يبعدوا فان فؤادي	لاليهم بوده طماح
تركوني من الفراق أقاسي	ألما ما تطيقه الأرواح
لو رأوني سبيا بأيدي الأعادي	لبكوا مثلما بكيت وناحوا
لا مسائي بعد البعاد مساء	يوم بانوا ولا الصباح صباح
أتمنى بان أطير إليهم	بجناح وأين مني الجناح
أنا ادري بأنهم بعد هجري	لم يذوقوا غمضا ولم يرتاحوا
بل هم اليوم عازمون على الزحف	بجيش به تغص البطاح
أن تأنوا فرصة الليث تأتي	بعدها وثبة له وكفاح
كيف يقضون من إغاثة وادزانه	من ودادهم اوضاح
فعليه من فخر عثمان تاج	وله راية الهلال وشاح
أنا باق على الوفاء وان كانت	بقلبي ممن أود جراح
فإليهم وهنهم اليوم اشكو	بلغيهم شكايتي يا رياح

وبعد احتلال بغداد أخذت الجيوش العثمانية تنسحب من مدينة سامراء ووجهتها مدينة الموصل غير ملتفته إلى جنودها أبناء العرب فصارت لاتعبا بهم وصاروا يفرون من ساحة القتال ومن مدينة سامراء، أما أنا فلم يطب لي الالتحاق بهم وفضلت العودة إلى بغداد ودخلتها يوم الخميس ١٦ آذار سنة ١٩١٧م ولما شاهدت وضع الاحتلال فيها قلت ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا.

مصير آل عثمان:

ولما ضاع العراق من أيدي العثمانيين دامت سلطنة آل عثمان وهي تنازع سكرات الموت وعلى عرشها لازال السلطان محمد رشاد، وفي سنة ١٣٣٦هـ يقابلها ١٩١٧م توفي وخلفه على عرش السلطنة وحيد الدين ابن السلطان عبد المجيد.

وعند نهوض الغازي مصطفى كمال(اتاتورك) وتشكيل حكومة وطنية وفي ١١ ربيع الأول سنة ١٣٤١هـ قرر المجلس الوطني التركي إلغاء حكومة استانبول وخلع السلطان وحيد الدين من عرش السلطنة، وفي ٢٠ ربيع الأول من هذه السنة اختار المجلس الوطني التركي ولي العهد خليفة باسم الخليفة عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز وهو آخر خليفة من خلفاء آل عثمان.

وبعد المداولة في الأمر قرر المجلس الوطني قراره الأخير بجعل الحكومة العثمانية حكومة جمهورية وإلغاء الخلافة وانتخب الغازي مصطفى كمال(اتاتورك) رئيسا لها وهكذا انقرضت الخلافة التركية ودامت من سنة ٩٢٣هـ إلى سنة ١٣٤١هـ فيكون عمرها ٤١٨سنة هـ وفي خلال هذه المدة طرا عليها من القوة والضعف ما طرا على الخلافة العباسية وقد تداولها ٢٩ خليفة منهم وأولهم السلطان سليمان الأول تاسع الملوك العثمانيين وأخرهم الخليفة عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز، فبهذا انطوت صحيفة آل عثمان من سجل التاريخ وأصبحت كان لم تكن بمنطوق الآية الكريمة قوله تعالى(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل

من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الغر الميامين. حصـــل الفراغ منه في منتصف شهر رجب الفـــرد ســـنة ١٣٧٧هـــ يقابلـــها ٥ شباط سنة ١٩٥٨م.

الولاة الذين حكموا بغداد

■ الوالي مدحت باشا من سنة ١٢٨٦ هـ الى سنة ١٢٨٩ هـ.

■ الوالي محمد رؤوف باشا من سنة ١٢٨٩ هـ الى سنة ١٢٩٠ هـ.

■ الوالي رديف باشا من سنة ١٢٩٠ هـ الى سنة ١٢٩٢ هـ.

■ الوالي عبد الرحمن باشا من سنة ١٢٩٢ هـ الى سنة ١٢٩٤ هـ.

■ الوالي عاكف باشا من سنة ١٢٩٤ هـ الى سنة ١٢٩٥ هـ.

■ الوالي قدري باشا من ١٢٩٥ هـ الى السنة نفسها .

■ الوالي عبد الرحمن باشا مرة ثانية من سنة ١٢٩٦ هـ الى اواخر سنة ١٢٩٧ هـ.

■ الوالي تقي الدين باشا مرة ثانية من سنة ١٢٩٨ هـ الى سنة ١٣٠٤ هـ.

■ الوالي مصطفى عاصم باشا من سنة ١٣٠٤ هـ الى سنة ١٣٠٧ هـ.

■ الوالي سري باشا من سنة ١٣٠٧ هـ الى واخر سنة ١٣٠٨ هـ.

■ الوالي الحاج حسن باشا من سنة ١٣٠٩ هـ الى سنة ١٣١٤ هـ.

■ الوالي عطا باشا من سنة ١٣١٤ هـ الى سنة ١٣١٧ هـ.

■ الوالي نامق باشا الصغير من سنة ١٣١٧ هـ الى سنة ١٣٢٠ هـ.

■ الوالي أحمد فيضي باشا من سنة ١٣٢٠ هـ الى سنة ١٣٢٢ هـ.

■ الوالي عبد الوهاب باشا من سنة ١٣٢٢ هـ الى سنة ١٣٢٣ هـ.

■ الوالي مجيد بك من سنة ١٣٢٣ هـ الى سنة ١٣٢٤ هـ وبقي بالوكالة.

■ الوالي حازم بك من سنة ١٣٢٥ هـ الى السنة نفسها.

■ الوالي ناظم باشا لعدم اتفاقه مع رئيس الاصلاحات طلب النقل فنقل.

■ الوالي نجم الدين ملا من سنة ١٣٢٥ هـ الى سنة ١٣٢٧ هـ وأودعت بالوكالة الى محمد فاضل باشا الداغستاني.

■ الوالي محمد شوكت باشا من سنة ١٣٢٧ هـ وفي السنة نفسها عزل وبقي بالوكالة.

■ الوالي الفريق ناظم باشا من سنة ١٣٢٨ هـ الى سنة ١٣٢٩ هـ ثم عزل وأودعت الوكالة الى يوسف باشا.

■ الوالي جمال باشا من سنة ١٣٢٩ هـ الى سنة ١٣٣٠ هـ.

■ الوالي محمد زكي باشا من سنة ١٣٣٠ هـ الى سنة ١٣٣١ هـ.

■ الوالي حسين جلال بك من سنة ١٣٣١ هـ وفي السنة نفسها عزل وأودعت بالوكالة الى محمد فاضل باشا الداغستاني.

■ الوالي جاويد باشا من سنة ١٣٣٢ هـ الى سنة ١٣٣٣ هـ ثم عزل وأودعت بالوكالة الى معاون الوالي رشيد بك.

■ الوالي سليمان نظيف بك من سنة ١٣٣٣ هـ الى سنة ١٣٣٤ هـ.

■ الوالي نور الدين بك من سنة ١٣٣٤ هـ الى السنة نفسها.

■ الوالي خليل باشا من سنة ١٣٣٤ هـ الى سنة ١٣٣٥ هـ وبهذه السنة احتل الجيش البريطاني بغداد.

المصادر

بلوغ الأرب : للعلامة السيد محمود شكري الالوسي

الروض الازهر : للعلامة السيد مصطفى نور الدين الواعظ

تاريخ العراق بين احتلالين : للأستاذ عباس العزاوي

أعلام العراق : للأستاذ محمد بهجه للأثري

لب الالباب : للأستاذ السيد محمد صالح السهروردي

تاريخ يهود العراق : للأستاذ يوسف غنيمة

قلب العراق : للأستاذ أمين الريحاني

العقد المفصل : للسيد حيدر الحلي

جغرافية العراق : للأستاذ طه الهاشمي

الأدب العصري : للأستاذ روفائيل بطي

ديوان السيد عبد الغفار الأخرس

ديوان السيد عبد الباقي العمري

ديوان السيد جميل صدقي الزهاوي

ديوان السيد معروف الرصافي

ديوان عبد الرحمن البناء

مجلة لغة العرب : للأستاذ انستاس ماري الكرملي

مجلة العلم للأستاذ : هبة الدين الشهرستاني

مجلة الرشاد للأستاذ : رشيد الصفار

مجلة اليقين للأستاذ : محمد الهاشمي

مجلة للأستاذ : احمد عزت الاعظمي

مجلة عصر السلطان عبد الحميد لأبي النصر

مذكرات الجنرال طاوزند

جريدة الزوراء : للحكومة العثمانية

جريدة الرقيب : للأستاذ عبد اللطيف ثنيان

جريدة الزهور : للأستاذ رشيد الصفار

جريدة صدى بابل : للأستاذ داود صليوا

جريدة الرياض : للأستاذ سليمان الدخيل

جريدة صدى الاسلام : للأستاذ عطاء الله الخطيب

تاريخ التعليم في العراق : للأستاذ عبد الرزاق الهلالي

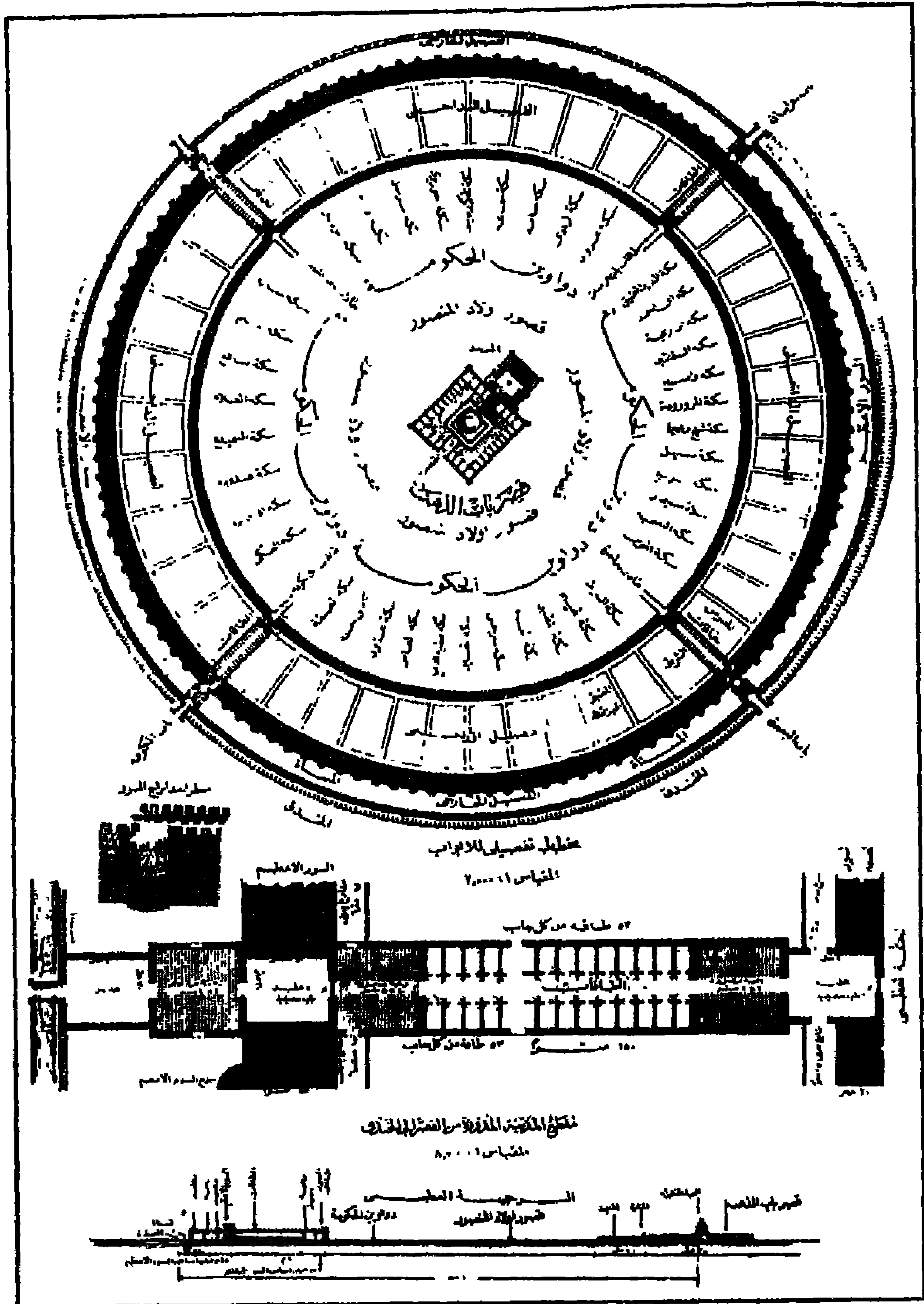
المحتويات

الصفحة

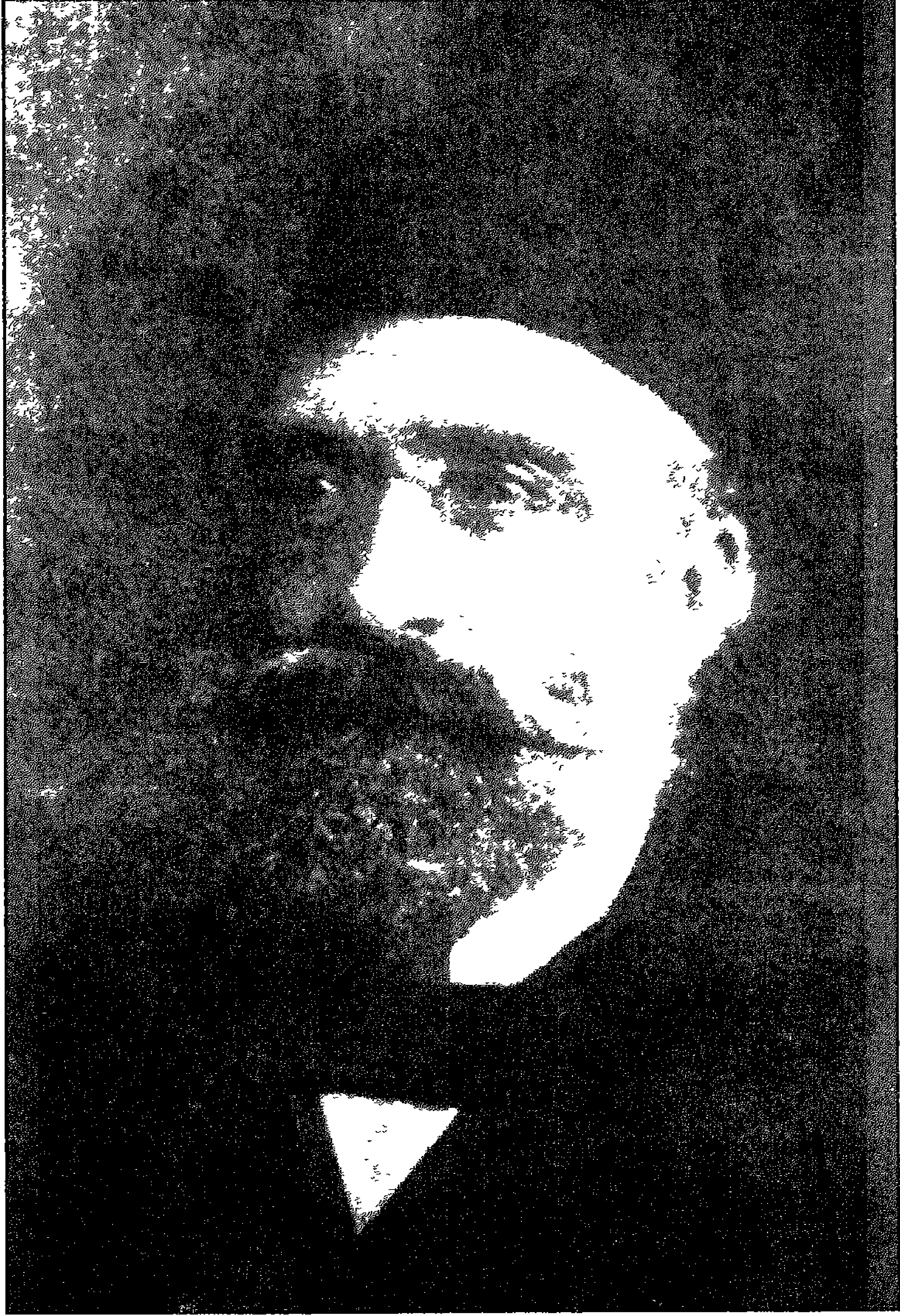
اشهر المقاهي في بغداد :

العلماء المبرزين بعد الدستور العثماني :

الشعراء المبرزون في عهد الدستور العثماني :



مخطط لمدينة بغداد المدورة عند إنشائها من قبل الخليفة أبو جعفر المنصور



الوالي مدحت باشا

١٢٨٦ - ١٢٨٩ هـ - ١٨٦٩ - ١٨٧٢م



الوالي عبد الرحمن باشا
١٢٩٢ - ١٢٩٤ هـ
١٨٧٥ - ١٨٧٧ م

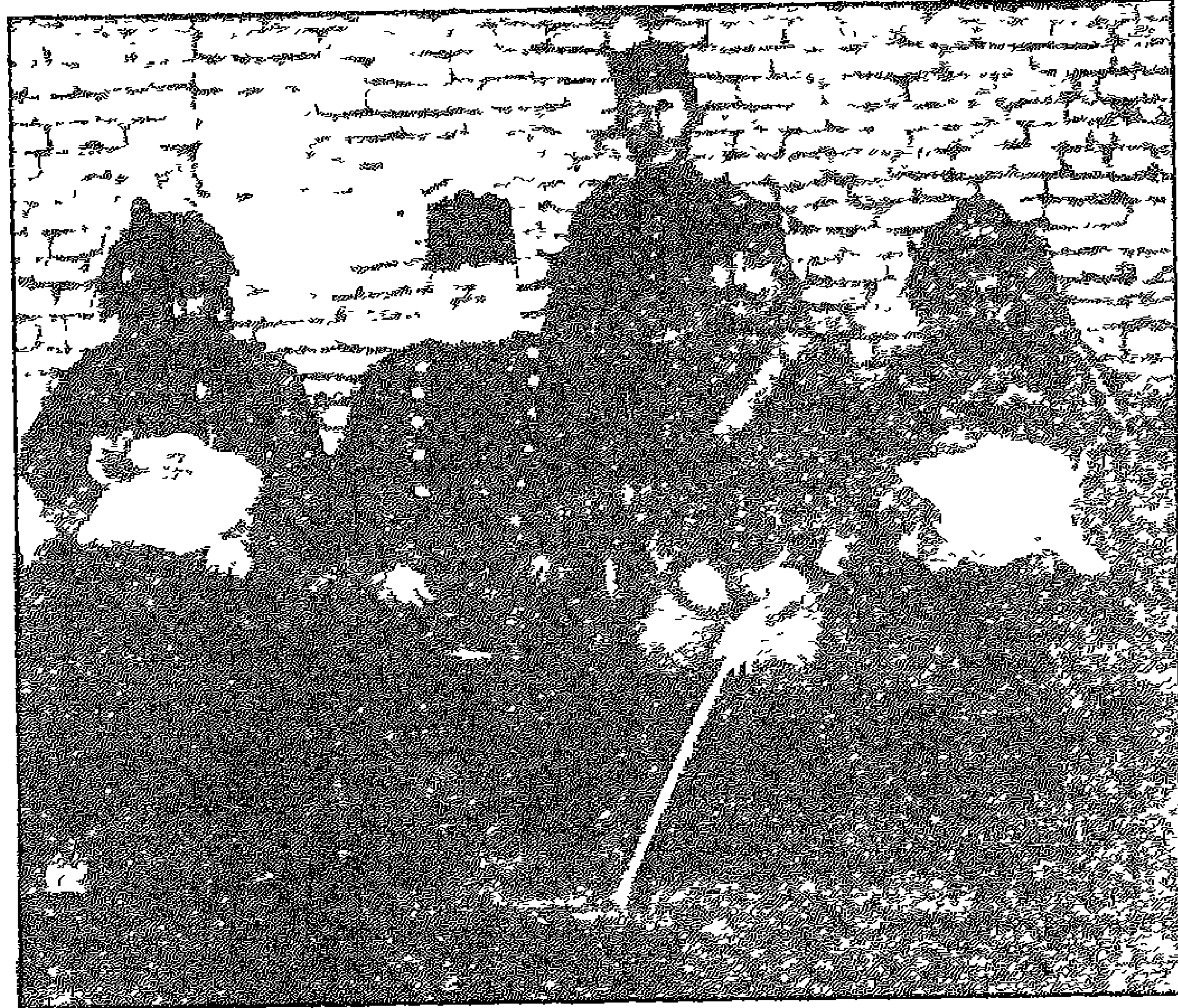


الوالي الحاج حسن
رفيق باشا والي بغداد
١٣٠٩ - ١٣١٤ هـ
(١٨٩١ - ١٨٩٦م)



الوالي ناظم باشا

١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ - ١٩١٠ - ١٩١١م



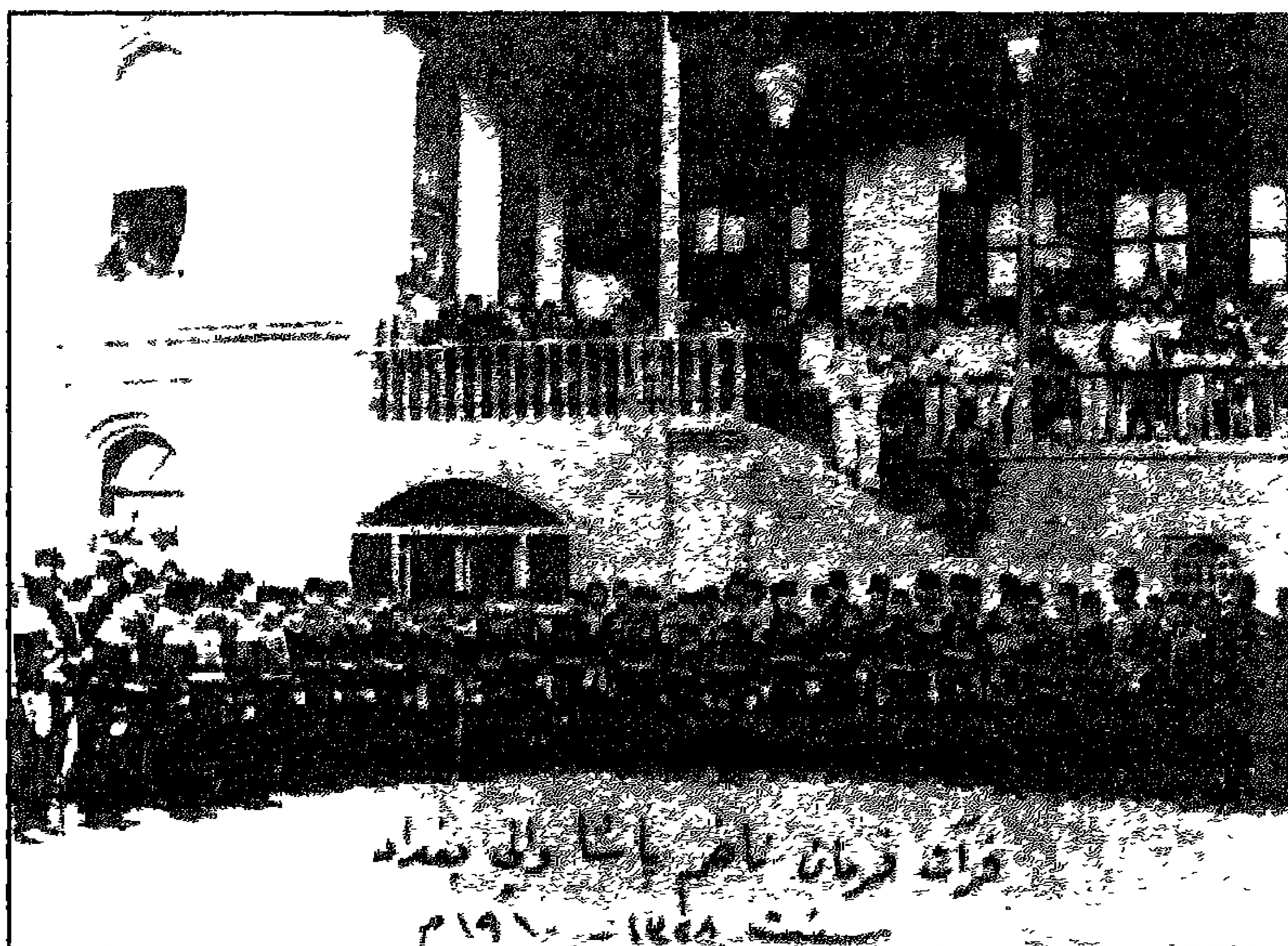
الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني نائب والي بغداد (١٩١٣ - ١٩١٤م)
١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ وبيمينه فارس أغا من رؤساء بيتدر واخوانه



الوالي سليمان نظيف بك
١٣٣٣ هـ (١٩١٥م)

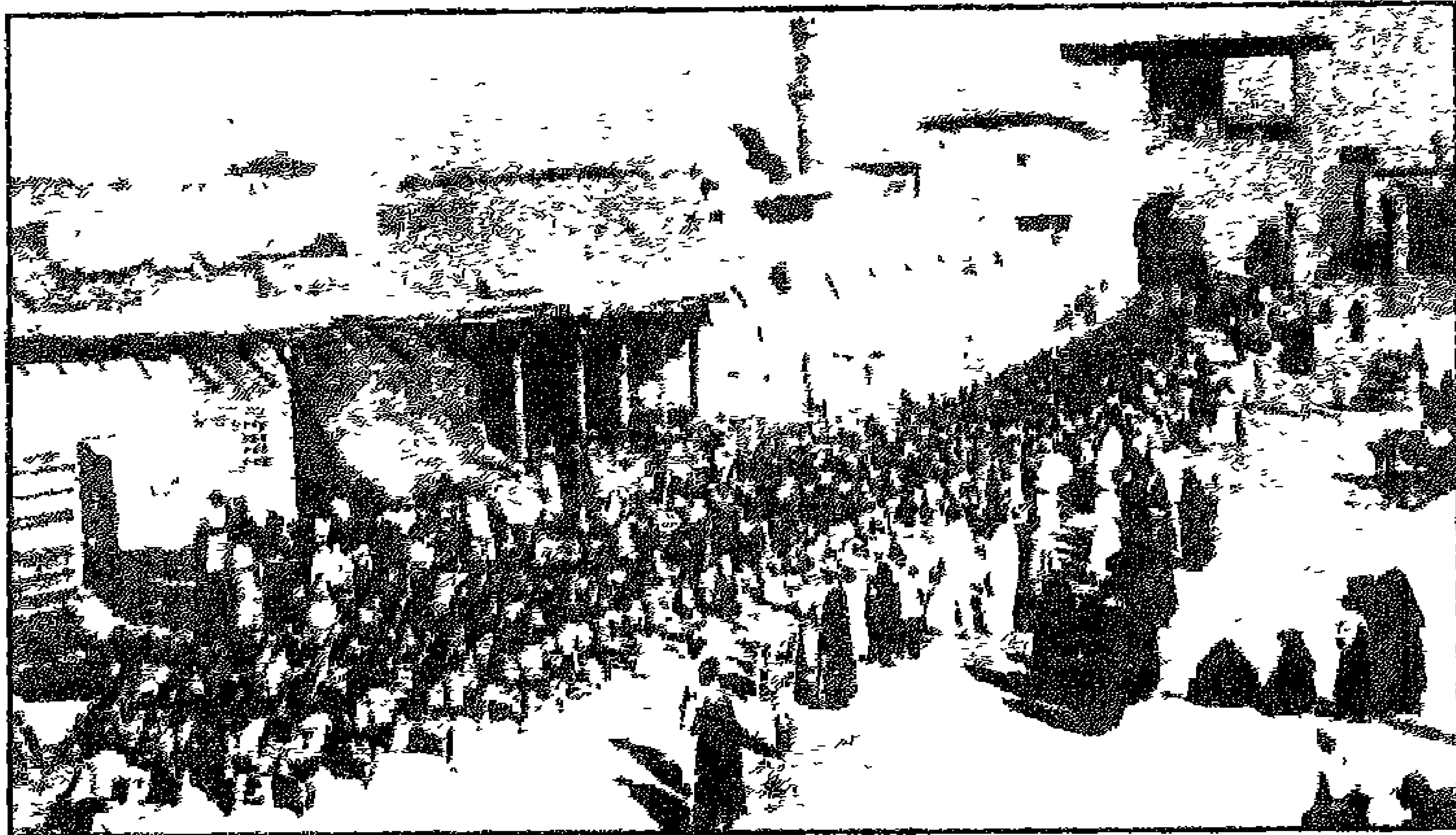


الوالي محمد زكي باشا ١٣٣٠ - ١٣٣١ هـ ١٩١٢ - ١٩١٣ م





الرجل الذي ملأ الدنگچيّة حشمة وهيبة ووقاراً المرحوم عبد الرزاق أفندي آل شاكر أفندي (والد الدكتور سلمان فائق)

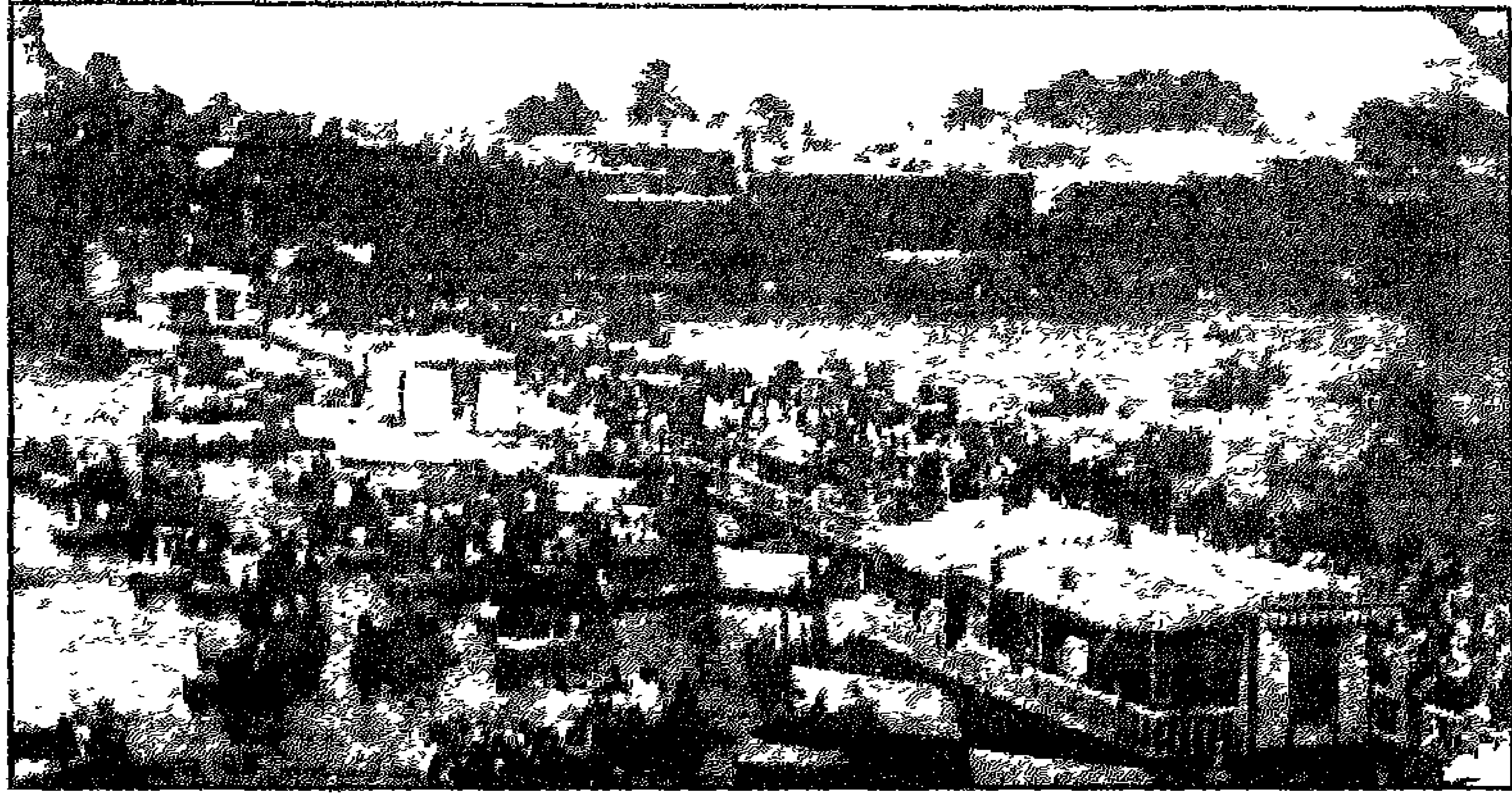


طلائع قوات الجنرال مود وهي تدخل بغداد ١٩١٧م



"ترامواي" بغداد - الكاظمية زمن مدحت باشا

١٢٨٦ - ١٢٨٩ هـ (١٨٦٩ - ١٨٧٢م)

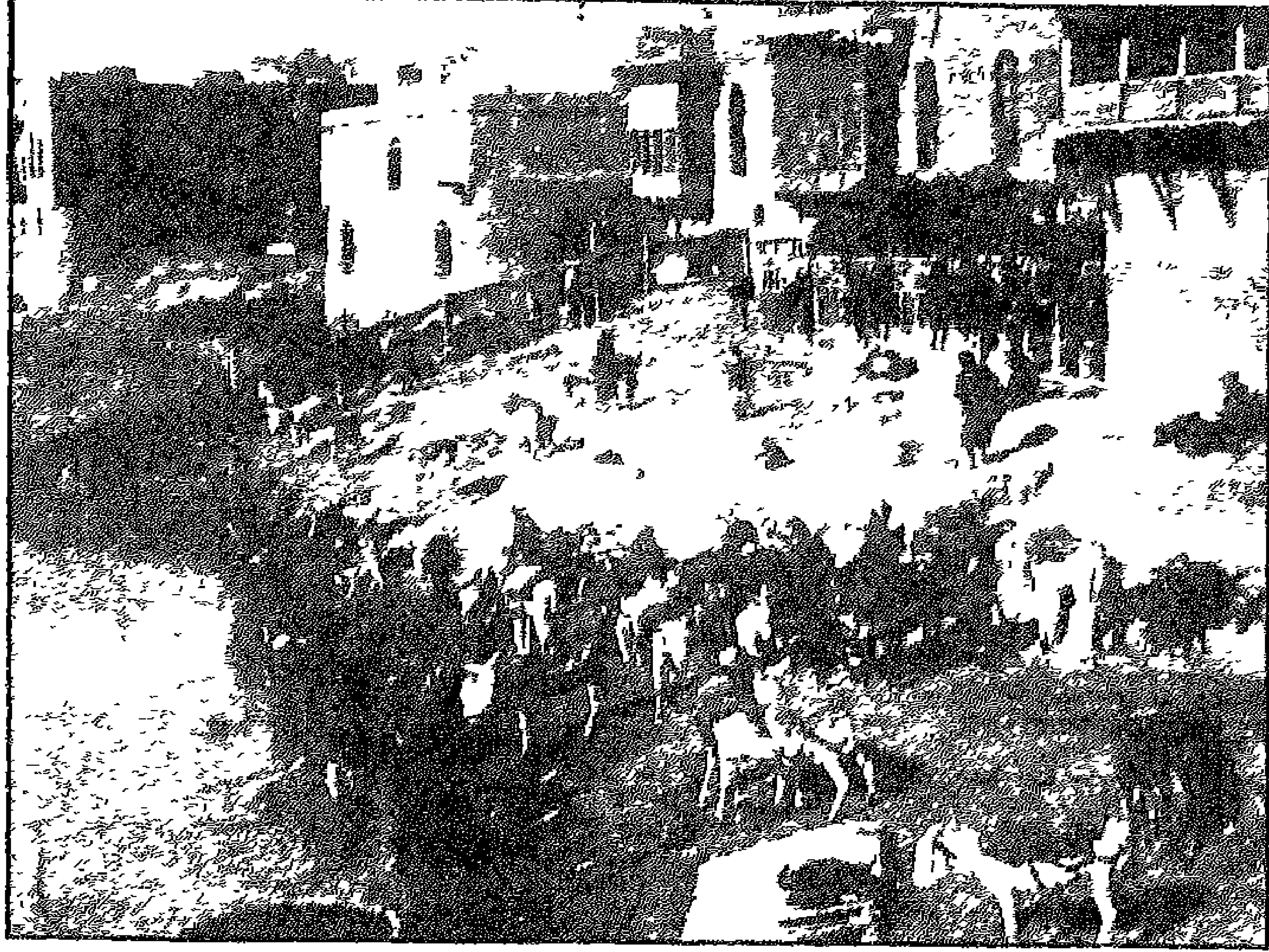


الاحتفال في تدشين جسر بغداد في عهد الوالي نامق باشا

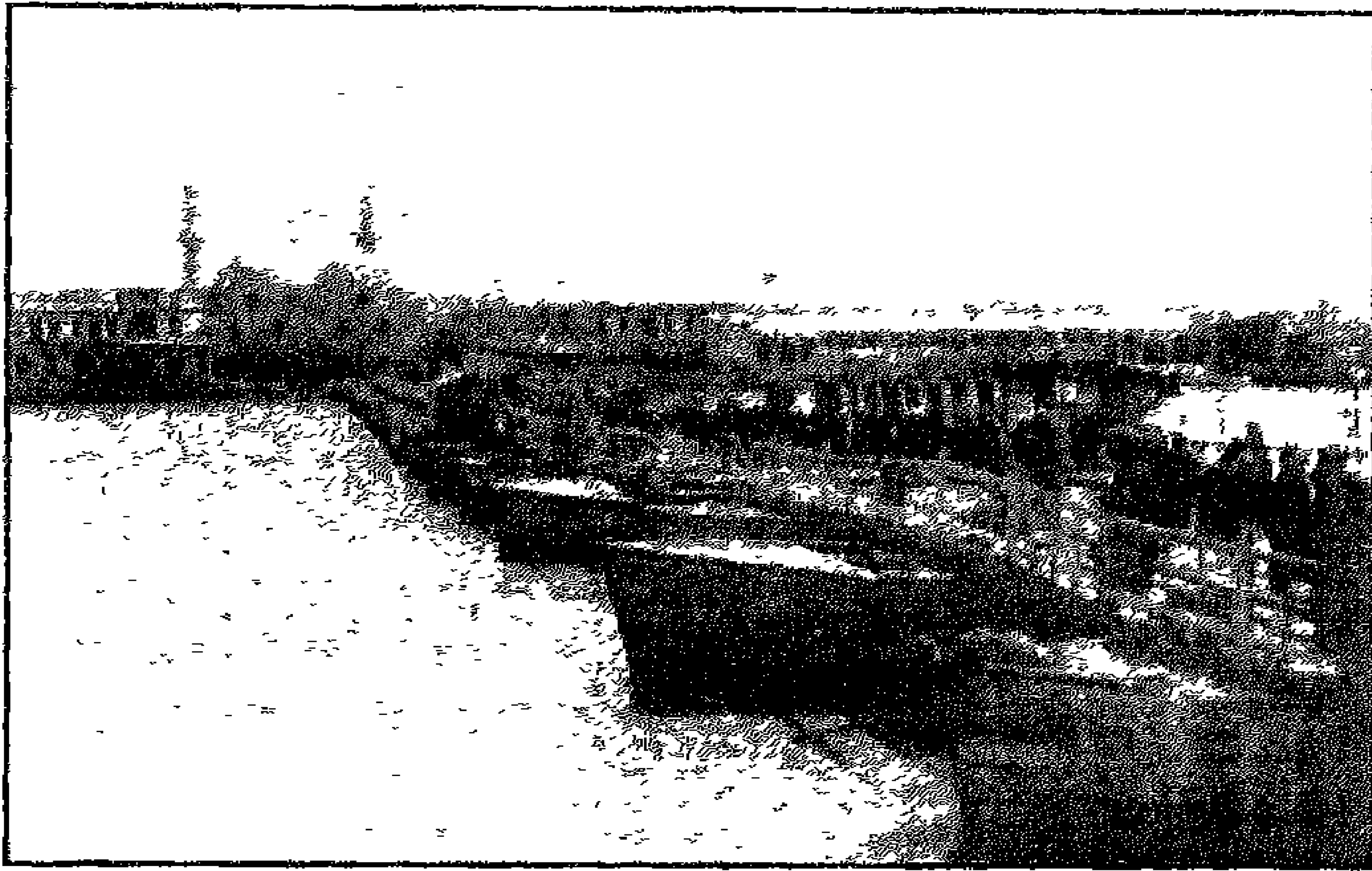
يوم ٢٦ جمادي الاولى ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢م)



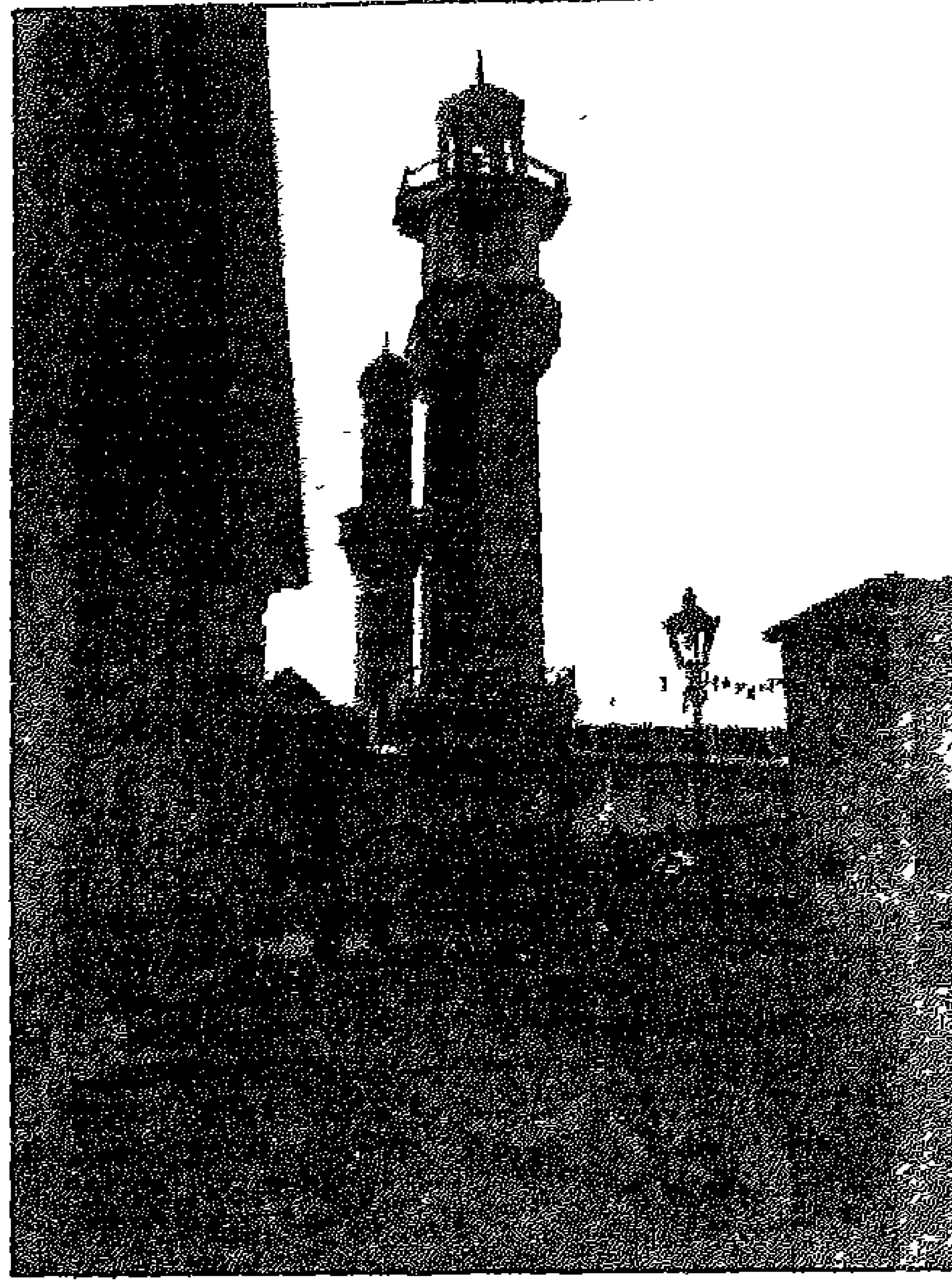
البغدادية ذات الخمار الأسود، التي مرت من عگد الصخر والدنگچيّة وباب الأغا في طريقها إلى سوگ الصفافير لتبيّض الچفچير والچمچه والبريج والسلپچة



شريعة سيّد سلطان علي في العهد العثماني، وتستخدم الحمير لنقل كُرب ماء الشرب إلى الأهلين، والكُفة كواسطة من وسائط النقل النهري، كما تستعمل الشريعة لتعليم السباحة



من الجسور التي كانت قيد الانشاء عند المباشرة بكتابة الكتاب هما جسر ١٤ رمضان في الأعظمية وجسر الرشيد في محلة السنك - شارع الرشيد



تستغرق الرحلة بين
الدنگچيّة وبين مرقد الشيخ
عبد القادر الگيلاني بعربة
(الربل) قرابة الساعة أيام زمان

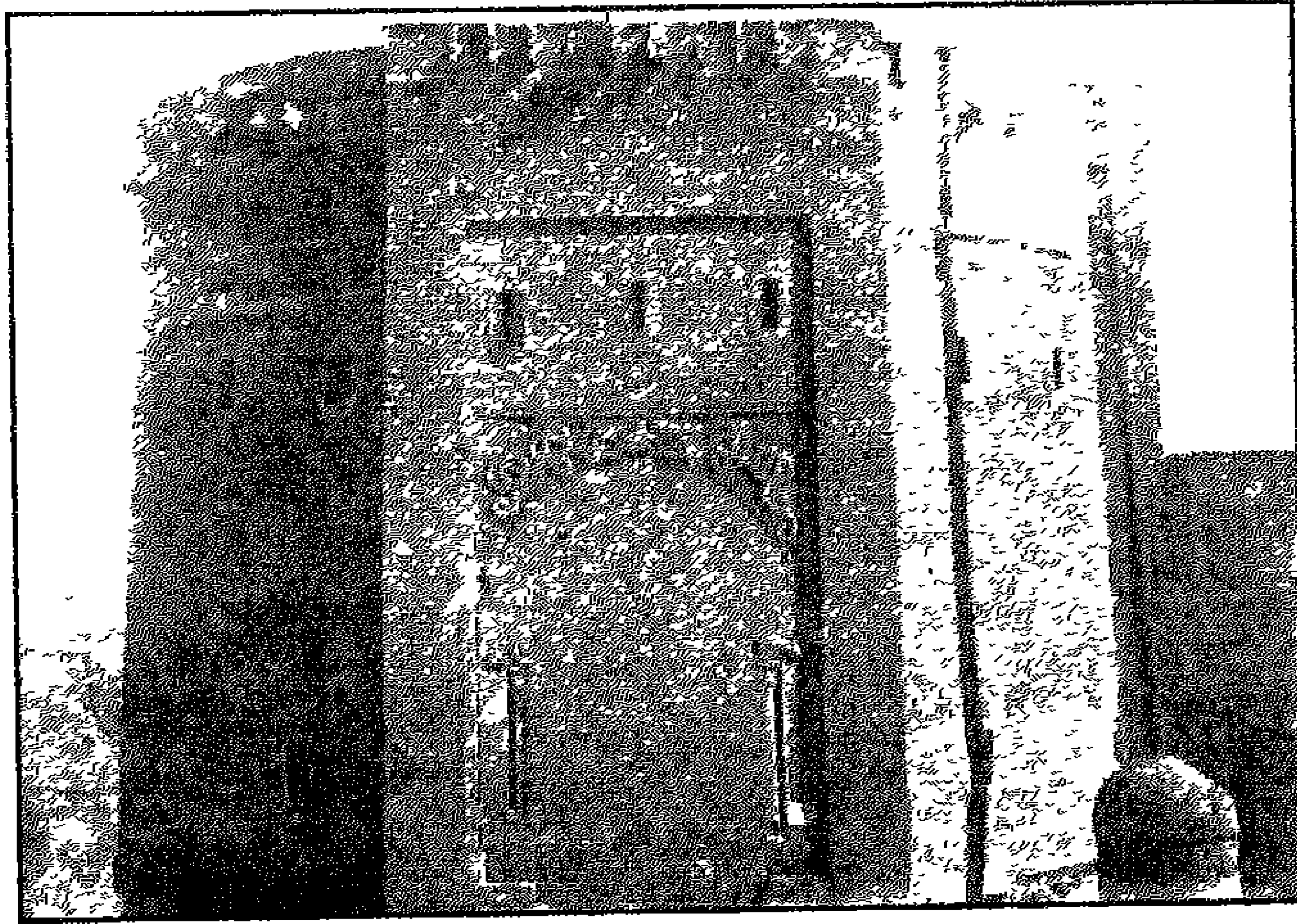


شارع بابا الشيخ، من أهم
شوارع بغداد الأمس وفي
موسم الأمطار يتحوّل إلى
نهر من الأوحال



كهوة الشابندر، مقابل سوگ السراي

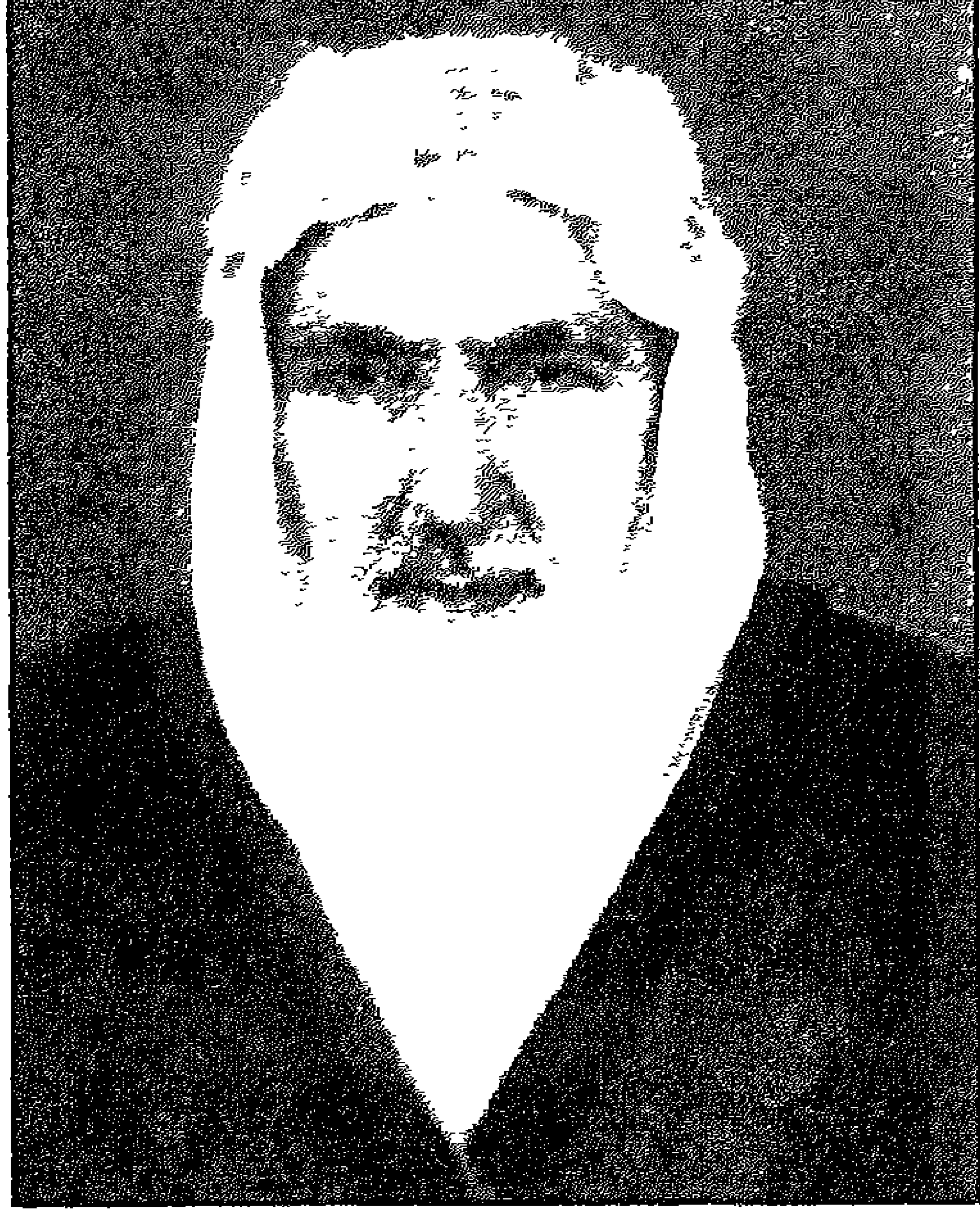
وقد شيدت في موقع مطبعة الشابندر، أول مطبعة عربية - تركية في بغداد الأمس واشتهرت بالمقام العراقي الذي يغنيه رشيد القندرجي



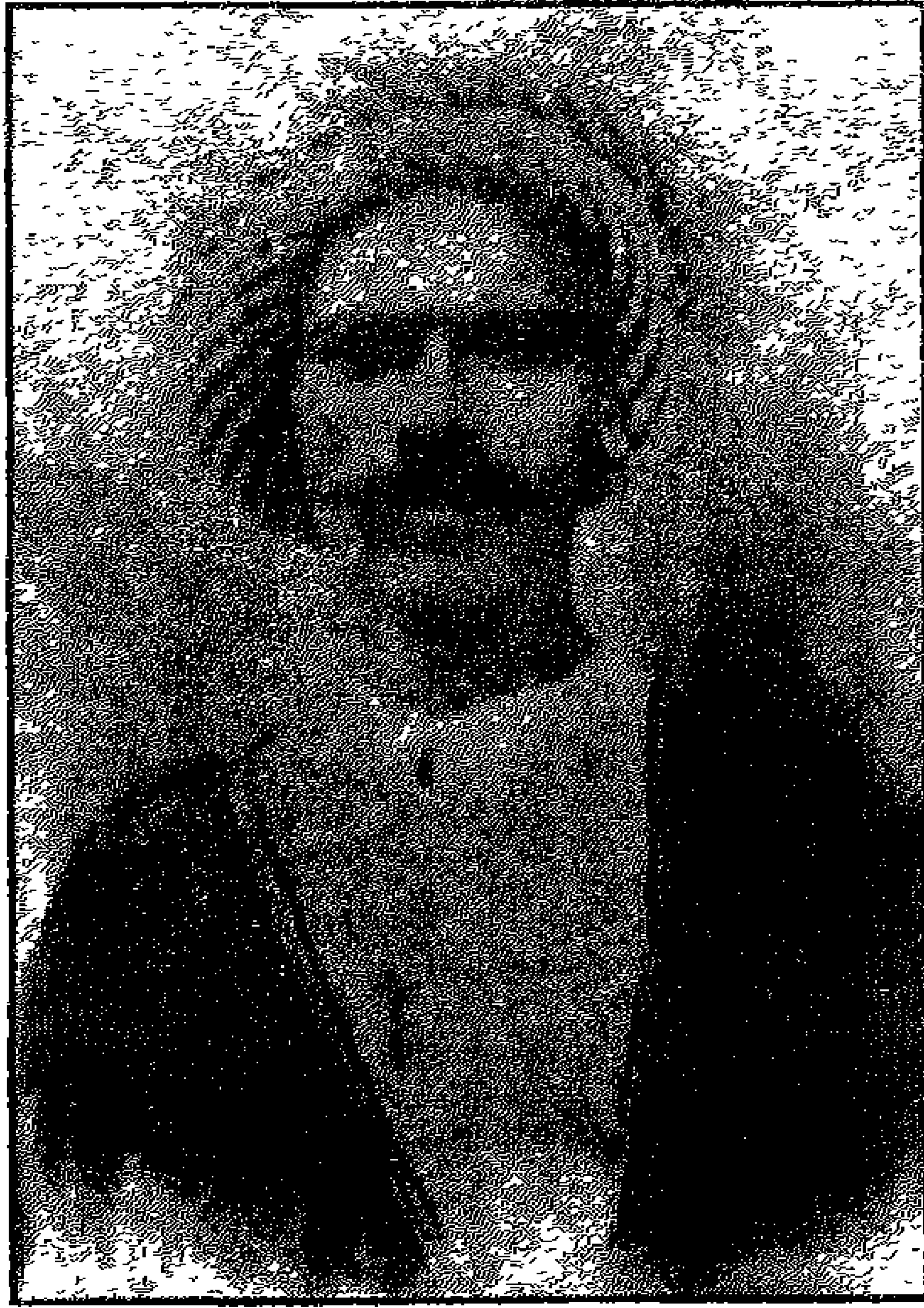
باب الطلّسم، المعروف تأريخياً بباب الحلبة، وهو مخزن البارود الذي فجّره الأتراك ليلة انسحابهم من بغداد في ١١ مارت سنة ١٩١٧



الشاعر معروف الرصافي



المرحوم الشيخ محمد نصيف وهو من أعيان مدينة جدة وعلماؤها



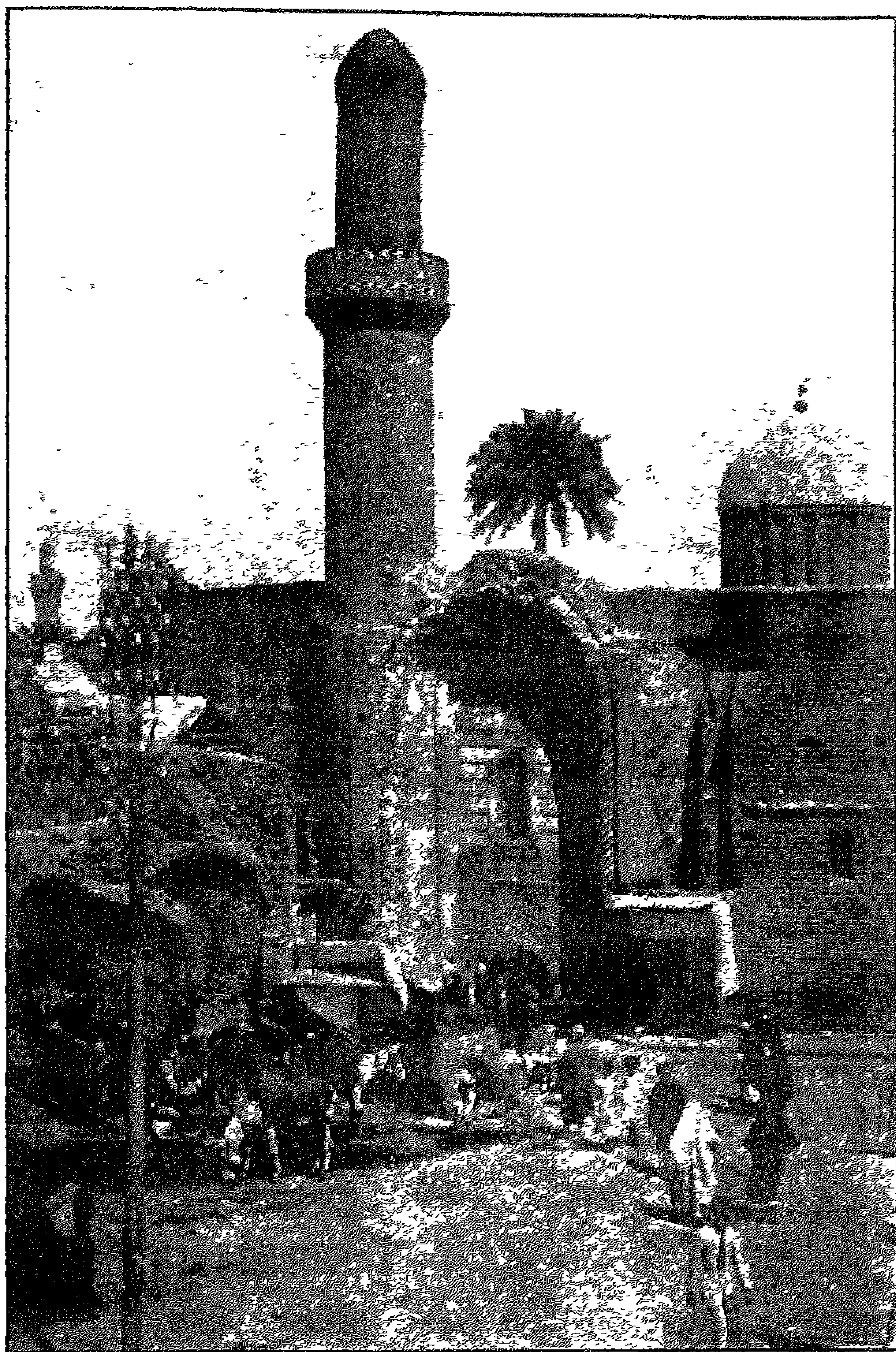
قارئ المقام، نجم الشيخلي (النيّار) بن عبدالله بن صفاء الدين الشيخلي، ولد في بغداد سنة ١٨٩٢ وتوفي فيها سنة ١٩٣٨، وأخذ المقام عن شلتاغ وخليل ربّاز ورحمين نفطار، الذين بدورهم أخذوه عن أستاذهم وعميدهم أحمد زيدان، وهؤلاء وكثيرون غيرهم كانوا يتبارون في المقام في كهورة المميّز التي كانت يومئذ معهداً للمقام العراقي ومنتدىً ليلياً (نايت كلوب) للجالغي البغدادي!



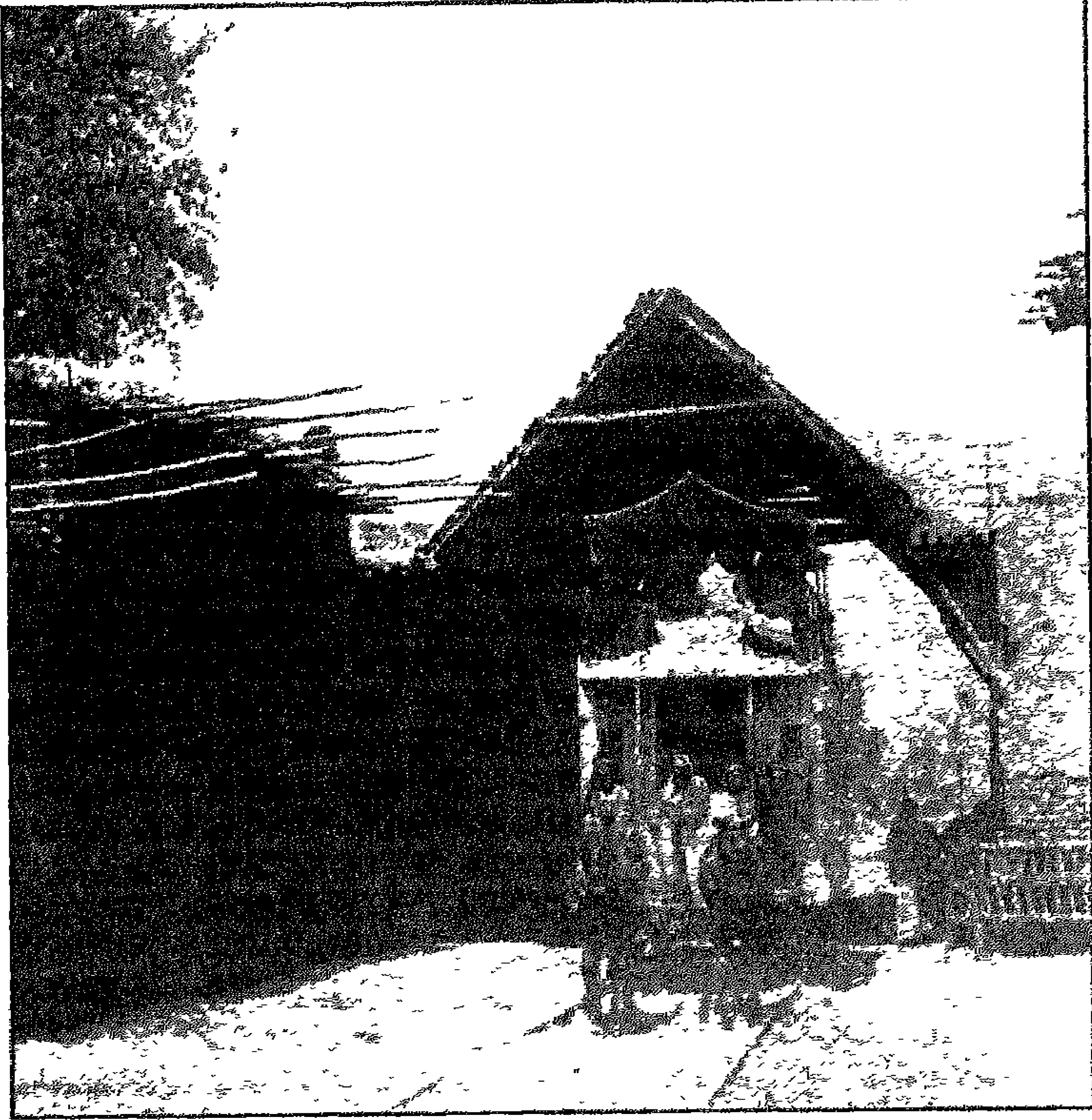
السقّا الذي يحمل الكَرِبة علي الحمار وبيده الباكورة، ليوصل ماء الشرب من الشريعةإلى دور السكن في بغداد الأمس



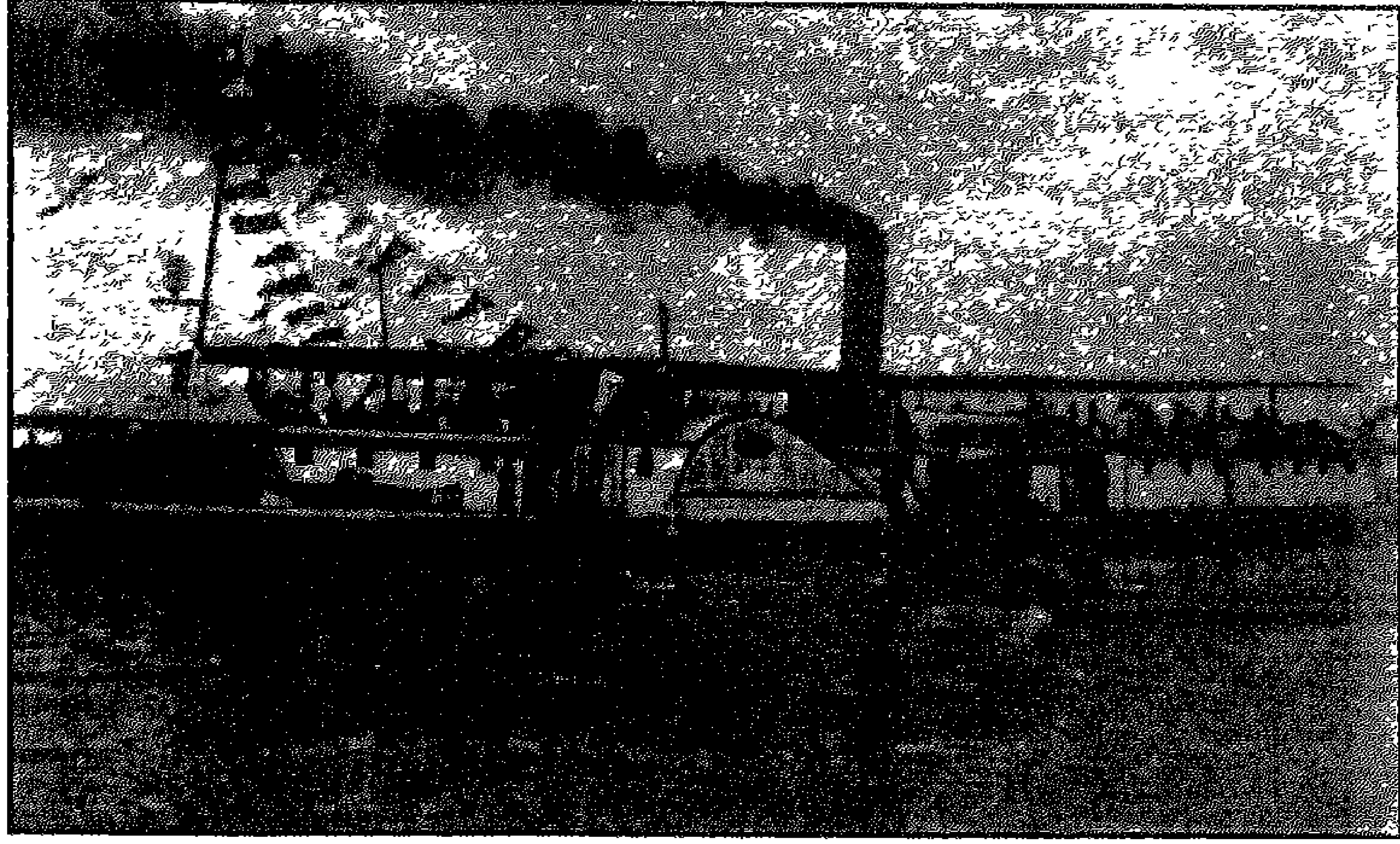
خبز باب الآغا: "حار ومكسّب ورخيص"



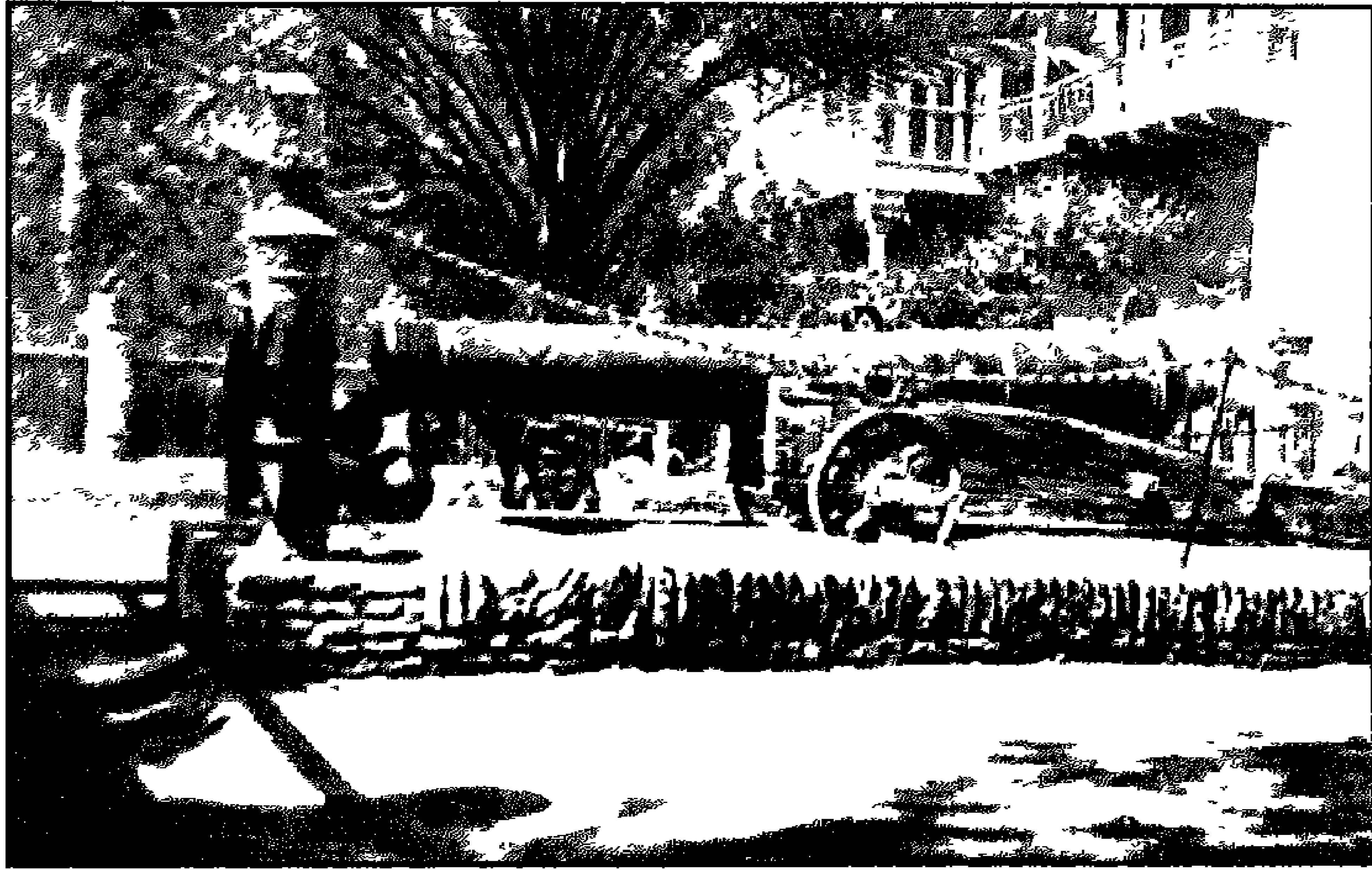
جامع مرجان في أوائل الاحتلال البريطاني لبغداد



ﮔاري الكاظم في بغداد الأمس، الذي يقطع المسافة بين صوب الكرخ والكاظمية بحوالي الساعة بضمنها الانتظار في (ﮔهوة الﮔاريّات) وتبديل الخيل في (المنطﮔة). والتوقف في قصر (أبو الأيّل)، والنزول قرب (باب الدروازة) في الكاظمية.



الباخرة حميدية كانت الواسطة النهرية الوحيدة للسفر بين بغداد والبصرة



طوب أبو خزّامة: ان من لم يدخل رأسه في فوهة هذا الطوب لا يحمل (الجنسية البغدادية) الأصيلة. موقعه القديم أمام مدخل (القلعة) الجانبي. إلى الجهة اليسرى منه المدرسة المأمونية وإلى الجهة اليمنى گهوة البقچة (گهوة سيد بكر). موقعه الحالي في ساحة الميدان



الجنود الانكليز في طريقهم إلى الكوت

يعد كتاب «بغداد القديمة» من أهم الكتب النادرة والموثقة التي قام بتدوين أحداثها أولاً بأول الكاتب عبد الكريم العلاّف ، وهي الأحداث التي مرت على بغداد منذ عهد الوالي مدحت باشا وحتى الاحتلال الانكليزي عام ١٩١٧م .

عندما تقلب - أيها القارىء العزيز - صفحات هذا الكتاب ستجد فيه صفحات مطوية لفترة مهمة من حياة مدينة بغداد التي بناها الخليفة أبو جعفر المنصور ، كيف كانت خلال تلك الفترة . معاهدها العلمية ، مستشفياتها ، أسواقها ، مقاهيها ، حماماتها ، حفلات المولد النبوي ، قراؤها والمقرؤون المجوّدون ، مجالس الأنس والطرب ، سجونها ، مشاهير أشقيائها ، جسورها ، صحافتها ومجلاتها ، أهم حوادثها ، علماؤها ، شعراؤها ، سقوطها بيد الانكليز ، ولاتها الذين حكموا بغداد .

إنه كتاب موسوعي جدير بالقراءة لأنه يمثل أهم فترة من تاريخ العراق السياسي .

